

جامعة البحرين

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية الآداب



طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومُعاصريه

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج
الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إعداد

ياسر عبد الهادي عبد الله

الرقم الجامعي: ٢٠٠٩١٦٩٦

إشراف

د. عبد الله محمد البهلول

أستاذ البلاغة في جامعة البحرين

مملكة البحرين

ديسمبر ٢٠١٨

جامعة البحرين

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب



طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومُعاصريه

رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج الماجستير في اللغة
العربية وآدابها

إعداد

ياسر عبد الهادي عبد الله

الرّقم الجامعي: ٢٠٠٩١٦٩٦

إشراف

د. عبد الله محمّد البهلول

أستاذ البلاغة في جامعة البحرين

مملكة البحرين

ديسمبر ٢٠١٨



استمارة إيداع البحث

ياسر عبد الهادي عبد الله		اسم الباحث:
طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومُعاصريه		عنوان البحث:
ديسمبر ٢٠١٨		سنة النشر:
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية	القسم:	كلية الاداب
00973-33113356	رقم الاتصال:	yjamri@gmail.com
		البريد الإلكتروني:

إقرار الباحث بالموافقة على الشروط التالية:

يحق لجامعة البحرين إتاحة وتوفير الرسالة أو الأطروحة المذكورة أعلاه في مكتبة الجامعة أو من خلال موقع الإسهامات البحثية للجامعة أو على نطاق أوسع في الخارج؛ كما ويمكن إعادة طباعة الرسالة إذا اقتضت الحاجة لذلك أو رقميتها مع إتاحتها على شبكة الأنترنت وذلك حسب تقدير إدارة الجامعة.

تنطبق هذه الشروط على جميع النسخ بما في ذلك النسخ الإلكترونية

تعتبر هذه الرسالة أو الأطروحة من المواد المحمية والتي تخضع إلى حقوق النشر والتأليف، ولا يجوز نشر أي اقتباس من الرسالة بدون توثيق المصدر.

التاريخ: ٢٢/٥/٢٠١٩م

Click here to enter text. توقيع الباحث:

صفحة الاعتماد من قبل لجنة التحكيم



جامعة البحرين

كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

برنامج ماجستير: الماجستير في اللغة العربية

نوقش الطالب ياسر عبد الهادي عبد الله الرقم الجامعي 20091696 في الأطروحة التي استكمل بها متطلبات الحصول

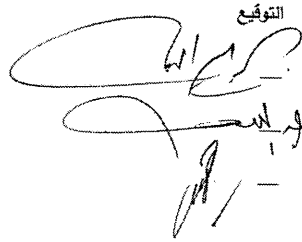
على درجة الماجستير في برنامج: اللغة العربية وعنوان الأطروحة:

طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومعاويه

ونلك في يوم الأربعاء الموافق 05 ديسمبر 2018

وتوصي اللجنة بمنحه درجة الماجستير/ أو الدكتوراه بتقدير: ممتاز A

(لجنة المناقشة)

التوقيع


الاسم

الأستاذ الدكتور عبد الله محمد البهلول مشرفنا

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف . ممتحننا داخليا

الأستاذ الدكتور محمد نجيب العمامي ممتحننا خارجيا

الملخص

طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومُعاصريه

إعداد

ياسر عبد الهادي عبد الله

إشراف

أ.د. عبد الله محمد البهلول

يتناول هذا البحث موضوع الرسائل المتبادلة من حيث هي نوع أدبي لم يُوفَ حقّه في البحث والتحليل، ويعتمد لتحليل هذا النوع من الرسائل المقاربة الحجاجية متوسلاً بالنظريات والمناهج المختلفة، إذ يبدأ البحث بتمهيد يُحرّر فيه مفاهيم العنوان وبعض المفاهيم التي ستكون في متن البحث مثل الطرف الحجاجي وقضية الإقناع والتأثير.

ثمَّ ينتقلُ البحث حسب تقسيم فصوله إلى الفصل الأول المتعلّق بالتّعويل على فضائل القائل، فيستعين بمناهج مختلفة كالنحو والبلاغة لاستظهار الطّاقة الحجاجيّة للجملة الاسميّة والفعليّة في بناء الصّورة، وكذلك لمعرفة الطّاقة الحجاجيّة الإيتوسيّة لبعض المظاهر البلاغيّة، ثمَّ تطرّق إلى تعضيد الإيتوس بالمسلّكين الآخرين، وكيف وُظِّفَت العبارة من أجل بناء صورة للمرسل، وكيف استخدَمَ المتراسلون الهوى مُنطلقاً لبناء هذه الصّورة، وفي المبحث الأخير تحدّث عن إيتوس الآخر، من خلال حجة "آدهومني" التي يستهدف بها المرسل صورة الآخر، واختتم الفصل بالحديث عن الاتّفاق المسبق وجوداً وعدمًا، وكيف يؤثّر وجوده وعدم وجوده في بناء الصّورة.

والفصل الثاني متعلّق بإثارة انفعالات المتلقّي وعواطفه، وكان الحديث فيه عن استهداف عواطف المتلقّي بحجة (الباتوس)، إذ تناول المبحث الأول استهداف عواطف المتلقّي من خلال استثمار التناصّات المختلفة، وكيف تستهدف أهواء المتلقّي، وفي المبحث الثاني كانت الاستعانة بنظرية التلقّي من خلال كون القراءة وأفق التّوقعات مؤثّرين في عواطف المتلقّي، وكان قياس تأثير المتلقّي من خلال تحوّلَه إلى مرسل، أمّا المبحث الأخير فقد كان الحديث فيه عن التأثير

العاطفيّ لتغيير وجهة الحوار، وتجلّى التّغيير في أمرين، الصّمت والتّغيير، وكيف كان للسّجالِ اللفظيّ أثرٌ في توجيه الحوار والوصول إلى الغاية دون اللجوء إلى الحرب، وتطرّفنا إلى الحديث عن (القارئ العام) وكيف تأثّر بهذا التّغيير في وجهة الحوار.

وتناول الفصل الثالث حُجّة العبارة بتحديد مفهومها، ثمّ انتقل إلى حِجاجة التّماسك النصّي بقسميه الشكليّ المتمثّل في التّماسك المعجميّ النّحويّ، والدّاخليّ المتمثّل في التّماسك الدّلاليّ الدّاوليّ والذي تبيّن أنّه ظاهرٌ في نصوص المدوّنة، ثمّ كان الحديث في المبحث الثّاني عن ملء البياض، وقد تمثّلت نقطة البياض هذه في القياس والاستعارة التي يتشارك في بنائها المرسلُ والمتلقّي، وكان ختامُ هذا الفصل بالمبحث المتعلّق بحِجاجة التّرتيب، وقد حلّلنا فيه نصّين كاملين، الأوّل كان كتابًا لمعاوية والثّاني كان ردّ عليّ على هذا الكتاب، وقد تبيّن أنّ المُتراسلين يتّوخّيان ترتيب الحجج بدءًا من الاستهلال ومرورًا بالعرض، ووصولًا إلى الاختتام في نهاية المطاف، ممّا يبيّن أنّ للتّرتيب حضورًا في النّصوص المكتوبة مثل حضوره في النّصوص الشّفهية كما درسها أرسطو في خطّابته.

الإهداء

إلى اللّذين رَحَلَا سريعا...

ابنة خالتي رازقيّة آل نوح

وابن خالتي حسين الصّائغ

الشكر والتقدير

أبدأ شكري بما أمر به الله سبحانه وتعالى أن اشكر لي ولوالديك، فأشكره على توفيقه ونعمه فهو أهل الشكر، ثم لوالديّ الكريمين ولزوجي التي عانت ما عانت في أثناء رحلة الدراسة والبحث.

ثم أضعف الشكر الجزيل لأستاذي المشرف على هذا البحث، الأستاذ الدكتور عبد الله البهلول، الذي لم يأل جهداً في قراءة البحث وتوجيه دفته، وقد تعلمتُ منه في المدة القصيرة التي صاحبته فيها دقة البحث وطول البال واحترام العلم والعلماء، فله أجزى وافز الشكر غير المعصوب.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد نجيب العمامي عضو هيئة التدريس في جامعة القصيم، والأستاذ الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف عضو هيئة التدريس في جامعة البحرين على تفضلهما بقبول قراءة هذا البحث ومناقشته وتوجيه الباحث لمكامن النقص فيه.

ولا يفوتني أن أشكر أستاذي الدكتور السيد عيسى جواد الوداعي الذي لم يخل بنصيحة أو بكتاب أو بتوجيه مادي ومعنوي، إذ هو من بذّر بذرة إكمال الدراسة في مرحلة الماجستير ثم تعهّدها بالسقاية إلى أن اشتدّ عودها، فله الشكر الجزيل والنحيات الوجيئات.

وختاماً، الشكر لكل من قدّم نصيحة أو فكرة أو كتاباً وساهم بإبداء رأي، ولا أنسى الخلّ الوفي صادق حبيب على قراءته البحث في مراحل الأولى للمراجعة اللغوية وأختي الغالية للمساعدة في ترجمة بعض النصوص.

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	صفحة الاعتماد
ب	الملخص
د	الإهداء
هـ	الشكر والتقدير
و	قائمة المحتويات
١	المقدمة
١٢	التمهيد
٢٠	الفصل الأول التعويل على فضائل القائل (الإيتوس)
٢١	توطئة
٢٤	المبحث الأول: استثمار الإيتوس لغويًا
٢٤	أولاً: المروحة بين الجملة الاسمية والفعلية
٢٩	ثانياً: الأساليب البلاغية حجةً لفضائل القائل
٣٢	المبحث الثاني: تعضيد الإيتوس باللوغوس والباتوس
٣٣	أولاً: حجة العبارة إيتوسياً:
٣٦	ثانياً: العواطف والأهواء في فضائل القائل
٤١	المبحث الثالث: "إيتوس" الآخر وبناء الخطاب
٤١	أولاً: حجة "آدهومنينم" (ad hominem):
٤٤	ثانياً: الاتِّفاقُ المُسبق والمصادرة على المطلوب
٥١	خاتمة الفصل الأول
٥٢	الفصل الثاني إثارة انفعالات المتلقّي وعواطفه (الباتوس)
٥٣	توطئة
٥٦	المبحث الأول: التناص واستهداف العواطف

٥٧	أولاً: التناصّ الدينيّ
٦٠	ثانياً: التناصّ الأدبيّ والتاريخيّ
٦٤	المبحث الثاني: فعل القراءة مؤثراً في عواطف المتلقّي
٦٥	أولاً: ثقافة القارئ الحقيقيّ مؤثراً في عواطفه
٦٩	ثانياً: ثقافة القارئ العامّ مؤثراً في عاطفة الجماعة
٧٣	المبحث الثالث: التأثير العاطفيّ لتغيير وجهة الحوار
٧٤	أولاً: الصمّت مغيراً لوجهة الحوار
٧٧	ثانياً: عاطفيّة تغيير وجهة الحوار
٨٠	خاتمة الفصل الثاني
٨١	الفصل الثالث استثمار الحُجج العقلية (اللوغوس)
٨٢	توطئة
٨٤	المبحث الأول: حجاجيّة التماسك النصّيّ
٨٥	أولاً: التماسك الشكليّ
٩٤	ثانياً: التماسك الداخليّ
٩٧	المبحث الثاني: ملء نقطة البياض
٩٧	أولاً: توظيف القياس
١٠٠	ثانياً: توظيف الاستعارة
١٠٥	المبحث الثالث: حجاجيّة الترتيب
١٠٦	أولاً: حجاجيّة الترتيب في رسالة معاوية
١٠٩	ثانياً: حجاجيّة الترتيب في ردّ عليّ
١١٢	خاتمة الفصل الثالث
١١٣	الخاتمة
١١٩	الفهارس
١٢٠	فهرس الآيات
١٢١	فهرس الأحاديث
١٢٢	فهرس الأشعار
١٢٣	فهرس الأمثال

١٢٤	فهرس الأعلام
١٢٦	فهرس المصطلحات والمفاهيم
١٢٨	فهرس الرسائل
١٣٢	المصادر والمراجع
١٤٣	ملخص بالإنجليزية

المقدِّمة

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين حمداً يليقُ بعظمته على ترأّف نعيمه، وتوالي آلائه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد النبيّ الكريم، وعلى آله الطّاهرين وأصحابه المنتجبين، وعلى التّابعين لهم بإحسان، وبعد:

فقد حظيت الأجناس النثرية في التراث العربي باهتمام الباحثين، وكُتبت في شأنها أطروحات جامعية وبحوث أكاديمية وعُقدت لها ندوات علمية أثّرت من خلالها مسائل عديدة لعلّ أهمّها قدرة المناهج الحديثة على إضاءة قديم النصوص والآثار وسبر أغوارها وكشف خفاياها، واختلاف النتائج المتوصّل إليها باختلاف المناهج المتوسل بها، ممّا يؤكّد الجدال القائم بين النصّ والمنهج، ويغري الباحثين بإعادة قراءة التراث في ضوء المكتسبات المعرفية المعاصرة وما يُستجدّ من مناهج ومقاربات.

وإذا كان من فضل تلك البحوث والمناهج أن ساعدت على إجلاء جوانب مهمّة من قديم أدب العرب ورصدت أهمّ خصائصه ومقوماته، فإنّها أثّرت في الوقت نفسه أسئلة عميقة باعثة على التفكير، وفتحت آفاقاً بحثية جديدة جديرة بالنظر والتدبر، لعلّ أهمّها ما يمكن إنمائه إلى (أدب الردود)، وهو في أبسط تعريف له ما ينشأ بين المتخاطبين من ضروب الخطاب، على وجه الابتداء والردّ، والاستئناف والتعقيب، والإثبات والإبطال، والسعي إلى إعلاء صوت الذات والرغبة في إسكات الآخر، ممّا يؤكّد أنّ المسألة خلاقيّة، وأنّ القضايا المثارة فيها جادّة بل هي على قدر كبير من الأهميّة والخطورة. وإلى هذا الضّرب من ضروب الخطاب يمكن إنماء (الرسائل المتبادلة) وهي في أبسط تعريفها كلّ ابتداءٍ يستدعي ردّاً ويولّد جواباً. وهذا النوع من الرّسائل جديرٌ بالعناية والاهتمام وباستقطاب أنظار الباحثين بشكلٍ أكبر ممّا هو عليه.

ومرجع هذا التقصير إلى أسباب عديدة أهمّها في نظرنا - عدم اعتماد المقاربة المناسبة في تناوله، ذلك أنّ فنّ (الرسائل المتبادلة) بمنزلة قطب الرّحى في البحث الحجاجي لأسباب عديدة؛ منها الوضع الاختلافي القادح للحجاج، ومنها البنية الحوارية القائمة على تعدّد الأصوات وانتظامها على نحو جدليّ يكون فيه لكل خطابٍ خطابٌ مضادّ، ولكلّ فكرةٍ فكرةٌ تناقضها، ولكلّ حجةٍ حجةٌ تقارعها وتبطلها. وهو ما من شأنه أن يبعث على النظر في مسالك حمل الآخر على تغيير رأيه وتعديل فكره وسلوكه، وطرائق استدراجه إلى ما يُراد له من الفكر والاقتناع. وهو ما نقصده بعبارة (طرائق الإقناع والتأثير).

وأهمية المنهج في بحثنا هي من أهمية النوع الأدبي الذي نحن إليه بسبيل، ولا تقل مدونة البحث أهمية عن المنهج والنوع (مقاربة الرسائل المتبادلة مقارنة حجاجية) فقد لفتت انتباهنا - ونحن نقرأ عيون النصوص والآثار في تراثنا العربي، من رسائل وخطب ووصايا ومناظرات وقصص وأمثال - أهمية الرسائل المتبادلة لا على نحو إخواني تكثر فيه آداب المجاملة، وإنما على نحو خلافي تتوفر فيه أسباب الصراع التي يعظم شأنها متى جرت بين ذوي السلطة والنفوذ الطامحين إلى كسب الأنصار واستمالة العوام.

وإذا كان الأصل في رسائل الخلفاء وذوي السلطة أن تُنفذ ويُعمل بما جاء فيها فإن فعل الجواب على رسالة الابتداء، لا سيما إذا تحول المرسل إليه إلى مرسل وسلك في الرد مسلك المناقشة والاعتراض، مما ينبئ بخطورة الموضوع وتعدد وجهات النظر فيه وسعي كل طرف إلى إقناع مخاطبه بصحة رأيه سعيه إلى إبطال ما جاء في أطروحة خصمه، فإذا بالمتراسلين خصوم يتخذون الكلمة بديلا من السيف والحجة وسيلة إلى تغيير الأفكار والمعتقدات.

وإلى هذا الضرب من الرسائل المتبادلة تنتمي رسائل الإمام علي إلى معاصريه. وهي رسائل ابتداء استدعت ردودا وولدت أجوبة. وتحولت تلك الأجوبة إلى ردود جديدة، كلما كثر عددها بانّت خطورة موضوعاتها ودُعي الواقف عليها إلى تعميق النظر فيها.

وفي هذا الإطار يتنزل اختيارنا موضوع (طرائق الإقناع والتأثير في الرسائل المتبادلة بين الإمام علي ومعاصريه).

وله مسوغات عديدة أهمها ثلاثة:

- النوع الأدبي وطرافته: ومداره على استخلاص ضوابط فنّ من فنون الترسّل (الرسائل المتبادلة) ورصد مقوماته وخصائصه.
- المنهج وملاءمته وما يحدّ به من طريف النتائج: وسبيله تمثّل المكتسبات النظرية في مجال الحجاج وتوظيفها على نحو يساعد على استكشاف الأدب والفكر وتبيين قوته التأثيرية والإقناعية.

- والمدونة وأهميتها: وتتمثل في الرسائل المتبادلة بين الإمام عليّ ومعاصريه، وهي مدونة مستخلصة من "جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة"^(١) لأحمد زكي صفوت، ومن نهج البلاغة وشروحه، والكتب التي أرخت لتلك المرحلة.

لماذا الرسائل المتبادلة بين الإمام عليّ ومعاصريه؟

مرجع اختيارنا هذه المدونة إلى أسباب عديدة تدور في فلك الفكر والفن والمنهج، وبيان ذلك أنّ المنجز النقدي تركّز أساساً على خطب الإمام علي أكثر من اعتناؤه بكتبه ورسالته، ودرس المضامين معزولة في الغالب عن أساليبها وأشكالها، وبقي في حدود الدرس البلاغي المنحسر الذي يهتم بجمال العبارة أكثر من اهتمامه بقوة الخطاب وقدرته على التأثير والإقناع، ثم إنّ المحاولات القليلة التي زوّج فيها أصحابها بين الأسلوبية والمقاربة الحجاجية قد انعقدت أساساً على الظاهرة المفردة سبيلاً إلى فهم النصّ والأثر والنفوذ إلى فكر الكاتب ووجدانه، من قبيل (حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي)^(٢).

وعلى هذا الأساس، يمكن القول إنّ الرسائل المتبادلة نادراً ما درّست من زاوية حجاجية، ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث مُركّزاً على طرائق الإقناع التي يستخدمها المتراسلون، فاخترنا المدونة -من هذه الجهة- واعد بالإضافة المتمثلة في تركيز النظر على فنّ من فنون القول لا يزال محتاجاً إلى من يقرع بابه ليعرف قابه وليتدبّر جوابه.

ولا تنحصر مسوغات اختيار المدونة في ما تعد به من الإضافة فحسب، وإنما هي تفتح آفاق البحث على فترة مثيرة من التاريخ العربي الإسلامي، يبدو أنّ الكلمة فيها حلّت محلّ السيف قبل أن يُحتكم إليه، بل كانت أشدّ وقعاً وأبلغ تأثيراً. ففي هذه الرسائل المتبادلة أطروحات تتصارع، وآراء تتناقض، وحجج تتقارع، ومواقف تتباين وتنقلب من الضدّ إلى الضدّ بحسب ما يدعو إليه مقام القول. والبحث في هذه المدونة لا يحتاج إلى قارئ منتمٍ مدفوع بالعقيدة محكوم بها، وإنما يحتاج إلى باحث متجرد يضع كلّ الأفكار والأطروحات على محكّ العقل والنظر لا يقصد بها نصرة مذهب على مذهب، أو تفويق رأي على رأي، بل ينظر في الابتداءات والردود

١- أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، دار المطبوعات العربية، القاهرة، دون تاريخ.

٢- علي عمران، حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي، خطب الإمام علي نموذجاً، دار نينوى، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

من جهة خصائصها الفنية وتشكلاتها الأجناسية وقوتها التأثيرية، لا سيما أنَّ للحجاج في الأدب المكتوب خصائص وطرائق تميّزه من الأدب الشفوي، فضلا عن أوضاع المتلقي ودائرة التلقي وسائر ما يختلف فيه الشفوي عن المكتوب.

الدِّراسات السَّابقة:

يقودنا هذا إلى الحديث عن الدِّراسات السَّابقة لهذا البحث، والحديث عن الدِّراسات السَّابقة ينقسم إلى قسمين اثنين:

أولاً: الحجاج في خطابات الإمام علي:

١- دراسة علي عمران: **حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي^(١)**، وهي دراسة نحا فيها الباحث نحواً أسلوبياً ممّا جعلَ حظَّ الحجاج فيها يسيراً، ولمّا بحثنا أكثر اكتشفنا أنَّ دراسته في الأساس عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان آخر طُبعت في دار أخرى بعنوان: أسلوب الإمام علي في خطبه الحربية^(٢).

٢- دراسة كمال الزماني: **"حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي^(٣)"**، ولعلّه اختصرها في بحثه المُحكّم ضمن كتاب: **"التحليل الحجاجي للخطاب^(٤)"** فبحث فيه حجاجية الصورة في خطب الإمام علي السياسية من جوانب ثلاثة: حجاجية الصورة الكامنة في مادّتها، وحجاجية الصورة الكامنة في شكلها وتحدّث فيه عن المحلّ الشاغر في الصورة، وحجاجية الصورة الكامنة في قوتها الإقناعية متطرّقاً فيه إلى السُّلم الحجاجي.

١- علي عمران، **حجاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي**، خطب الإمام علي نموذجاً.

٢- علي عمران، **أسلوب الإمام علي في خطبه الحربية**، المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام، مشهد، ٢٠١١م.

٣- كمال الزماني، **حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي**، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

٤- كمال الزماني، **حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي**، ضمن كتاب، **التحليل الحجاجي للخطاب**، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٤٦٣ - ٤٩٢.

٣- دراسة كمال الزماني الأخرى: **حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي**^(١) وهي دراسة جمعت جُلَّ عناصر الأسلوب وبحثت ججاجيتها، ويتبين من هذه الدراسة أنها مكملّة لدراسته السابقة حول الصورة، وهاتان الدراستان تتعلّقان بالخطب السياسية فقط لدى الإمام علي، وفي هذا البحث سنتناول الرسائل وليس الخطب، وقد حدّدنا الرسائل المتبادلة، وهذه الرسائل لا تقتصر على الرسائل السياسية أو الحربية فقط، وإن كان أكثرها كذلك.

٤- دراسة أحمد حياوي السعد ورائد مجيد جبّار بعنوان: **"آليات الحجاج اللغوي في رسائل الإمام علي، الروابط الججاجية اختياريًا"**^(٢) اقتصر على بيان الروابط الججاجية ضمن نظرية الحجاج في اللغة عند ديكر ووانسكومبر، ووضح أنّنا في هذه الدراسة لا نعنّى فقط بالروابط؛ بل نوسّع دائرة البحث أكثر من ذلك.

٥- دراسة حسين العمري، إذ خصّص فصلًا للمستوى الججاجي في كتابه: **"الخطاب في نهج البلاغة"**^(٣)، وفيها حاول تبين المستوى الججاجي في خطب نهج البلاغة فدرّس الانسجام والقياس، ولكنّه لم يتطرّق إلى الرسائل المتبادلة بين عليّ ومعاصريه.

٦- وتوجد دراسة لغوية في رسائل نهج البلاغة وهي موسومة بـ **"رسائل الإمام علي في نهج البلاغة - دراسة لغوية"**^(٤) لرملة خضير مظلوم البديري، وهي دراسة ركّزت على جوانب ثلاثة هي الجانب الصوتي، والجانب الصرفي، والجانب التركيبي، وهي دراسة لم تتخذ من النظريات الحديثة منهجًا؛ فبدت لنا دراسة بعيدة الصلة عن مجال البحث إلّا من جانب ميدان التطبيق.

ثانيًا: حول الحجاج وأساليب الإقناع:

١- كمال الزماني، **حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي**، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

٢- أحمد حياوي السعد ورائد مجيد جبّار، **آليات الحجاج اللغوي في رسائل الإمام علي، الروابط الججاجية اختياريًا**، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الخاص الثالث، صفر ١٤٣٥هـ، ص ٨١-١٣١.

٣- حسين العمري، **الخطاب في نهج البلاغة**، بنيته وأنماطه ومستوياته، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٢٩١-٣١٥.

٤- رملة خضير مظلوم البديري، **رسائل الإمام علي في نهج البلاغة - دراسة لغوية**، العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١٢م.

- ١- دراسة عبد الله صولة: "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"^(١).
- ٢- دراسة عبد الجليل العشراوي "آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب"^(٢)، وهي دراسة اقتصرَت على نصوص الترغيب والترهيب في القرآن إذ بحثت فيها الحجاج بأنواعه من خلال بحث آليات الحجاج المنطقي وآليات الحجاج التداولي، ثم انتقلت للصورة الحجاجية.
- ٣- دراسة علي محمد علي سلمان "كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً"^(٣) الذي بدأه بمفاهيم نظرية حول الحجاج ثم انتقل إلى الحديث عن خلفية الحجاج عند الجاحظ، ثم تحدّث عن آليات الحجاج، وأخيراً تحدّث عن الدائرة الحجاجية وتطرّق فيها إلى الحديث عن المرسل والمتلقّي (الإيتوس والباتوس).
- ٤- دراسة عبد الله البهلول "طرائق إخفاء الحقيقة وتعطيل الحوار: الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي" ضمن كتابه "الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية"^(٤)، إذ بحث موضوع الابتداء والرد والاستئناف من جانب حجاجي.
- ٥- دراسة محمد الولي "السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية"^(٥) ضمن كتاب الحجاج، مفهومه ومجالاته.
- ٦- دراسة أحمد الوظيفي "الحجاج بالإيتوس في شعر النسيب"^(٦) ضمن كتاب: "التحليل الحجاجي للخطاب".

-
- ١- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، وكلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ودار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
 - ٢- عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٢٥٧-٣٣٦.
 - ٣- علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
 - ٤- انظر: عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ٢٩٧-٣٦٠.
 - ٥- محمد الولي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، ضمن كتاب، الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف، حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ج ٢، ص ٦٠-٧٨.

٧- دراسة دومينيك مانجينو "مشكلات الججاج بواسطة الإيتوس، من البلاغة إلى تحليل الخطاب"^(٢) التي ترجمها حسن المودن ضمن كتاب التحليل الججاجي للخطاب.

٨- دراسة حاتم عبيد "منزلة العواطف في نظريات الججاج"^(٣) ضمن مجلة عالم الفكر.

وهذه الدراسات الأربع الأخيرة تحدّثت عن مصطلحات بحثنا نظريًا، وطبّقت على نصوصٍ مختلفةٍ عن مدونة بحثنا.

هذه أهمُّ الدراسات التي وقعت تحت أيدينا وهي أقربها إلى مجال بحثنا، وتوجد دراسات أخرى غيرها.

والنّاظر في الدراسات التطبيقية يرى أنّ أكثرها ركّز أولاً على الجانب الشفاهي من نصوص النّهج عدا أربع؛ الأولى تركّزت في الروابط الججاجية كما اتّضح أعلاه، والثانية ركّزت على الجانب اللغوي صوتاً وصرفاً ونحوًا، والثالثة درست رسائل الجاحظ دراسة ججاجية، والرابعة ضمن كتاب درست رسائل المعري المتبادلة مع داعي الدّعاة الفاطمي؛ ومن هنا نقول إنّ هذا البحث سيسعى جُهدُه أن يُضيف شيئاً جديداً إلى الدراسات التي سبقَتْ؛ فهو سيركّز على جانبٍ دقيق من النّصّ أغفله كثيرٌ من الباحثين، وهو دراسة طرائق الإقناع في نصوص مكتوبة من القرن الأول الهجريّ معتمداً على مسالك الإقناع الأرسطية الثلاثة؛ لأنّ هذه المسالك الثلاثة تشمل كلّ وسائل الإقناع، ولأنّ نصوص المدونة تتفاوت في استعمالها لهذه المسالك الثلاثة، وهي مسالك استخدمتها الدراسات الحديثة بعد أن فرّعتها وتوسّعت فيها.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يبدأ البحث حين تبدأ الأسئلة، ونحن هنا نطرح الأسئلة التي تُعزينا لبَدْءِ البحث.

١- أحمد الوظيفي، الججاج بالإيتوس في شعر النسيب، ضمن كتاب التحليل الججاجي للخطاب، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٥٧٩.

٢- دومينيك مانجينو، مشكلات الججاج بواسطة الإيتوس، من البلاغة إلى تحليل الخطاب، ترجمة، حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الججاجي للخطاب، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٧٦٥.

٣- حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الججاج، مجلة عالم الفكر، العدد ٢ المجلد ٤٠ (أكتوبر - ديسمبر ٢٠١١)، ص ٢٣٩.

يطرَحُ البحثُ أسئلةً متعلِّقةً بالمفاهيم المستخدمة فيه من قبيل مفهوم الإقناع والتأثير (الحجاج)؛ ذلك أنَّ الإقناع أمرٌ متَّجِعٌ إلى العقل، والتأثير أمرٌ متَّجِعٌ إلى العاطفة، وقبل أن يتساءل عن أهمِّ الطرائق المستخدمة في الرسائل المتبادلة بين الإمام عليٍّ ومُعاَصِرِيهِ، هو يتساءل عن مقوِّمات هذا الفنِّ (الرسائل المتبادلة) وكيف ينبني هذا النوع من الرسائل في تلك الحقبة من الزمن، وما هي خصائص السِّجال فيه، وعلى ذلك يفترضُ البحثُ أنَّ في هذا النوع من الرسائل خطابًا سِجاليًّا قائمًا؛ فالسِّجال هو "ما يُكْتَبُ للهجومِ على رأيٍ أو سياسة، وغالبًا ما يُستخدَمُ في الخطابات الدينيَّة أو السياسيَّة..."^(١)، وهذه المراسلات -كما نعلم- حدثت بين سياسيين كبار في ذلك الزمن.

ثمَّ ينتقلُ البحثُ إلى التساؤلِ عن كيفيةِ توظيفِ مسالك الإقناع الأرسطيَّة الثلاثة؛ الحجج القائمة على العقل (اللوجوس)، والحجج القائمة على توظيف فضائل القائل (الإيتوس)، والحجج المستهدفة للعواطف والانفعالات (الباتوس) في هذه الرسائل، فيتساءل عن تجلِّيات هذه المسالك في نصوص المدونة، ليسيرَ البحثُ أغوار المناهج والدراسات المتعدِّدة لرصد هذه التجلِّيات للإقناع والتأثير.

المنهج المتَّبَع:

يوجد مَعْنَيان للمنهج، أحدهما هو أنَّه "جملة الإجراءات التي نستخدمها"^(٢) وهو ما سنصطِّلِح عليه في هذا البحث مصطلحَ (المنهجية)، أمَّا المعنى الثاني للمنهج فهو النظرية التي تحكم سيرورة البحث^(٣)، وهو ما سندعوه بـ (المنهج) في هذا البحث.

أمَّا عن منهج هذا البحث فهو مقاربةٌ حجاجيةٌ تعتمدُ المُنجَزَّ الأرسطيَّ في حديثه عن وسائل الإقناع، وتعمِّقُ النَّظْرَ فيها مستمَّدةً بما جاء في لاجِجِ البحوث والدراسات، ويسترفدُ البحثُ بمناهجٍ أخرى في مواضعها كالسيمائية ونظرية التَّلَقِّي؛ أمَّا السِّيميائيةُ فلأنَّ للرمز والصَّورة حضورًا بارزًا في التَّصوصِ المشتملة على الحجاج، وقراءتهما تحتاج إلى أداة سيميائية، وأمَّا نظرية التَّلَقِّي فلأنَّ الكتب والرسائل -بطبيعة الحال- تكونُ موجَّهةً لطرفٍ آخر؛ فعلى ذلك لا بُدَّ

1 -Chris Baldick، The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms، Oxford University Press، 2001، pp. 198-199.

٢- منذر عياشي، اللسانيات والحضارة، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ١٤.

٣- انظر: نفسه، ص ١٥ وما بعدها.

من دراسة الحجاج في هذه النصوص من خلال نظرية تبحث في مدى التأثير في المتلقي، ولا يوجد أفضل مما ترؤدنا به نظرية التلقي؛ لأن قراءة الأدب وتلقيه منتجان للمعنى، إذ لولا القارئ فلا وجود للنص^(١)، ويمكن قياس هذا التأثير بالمعطيات التي تتصل بالنص من ردود ووقائع.

ومنهجيتنا في هذا البحث هي أننا سنستقرئ النصوص ونستطعها باحثين عن المواضيع التي عول فيها المرسل على فضائله (الإيتوس) أو على استتارة عواطف المتلقي (الباتوس)، أو المواضيع التي استثمر فيها القياس والحجج العقلية، مستعينين بالكُتب التي شرحت نصوص نهج البلاغة أو الكتب التاريخية المتابعة للأحداث لنرى مدى تأثير هذه الأمور في نفوس المتلقين.

وقد تبين في أثناء قراءة نصوص المدونة وتفكيكها أن المتراسلين استثمروا استراتيجيات عديدة للإقناع والتأثير، وعلى ذلك نقول إنه لا يمكن أن نفصل بين هذه الطرائق؛ "لأن الحُجج لا يمكن تخفيضها أو فهمها على أنها نظام مغلق"^(٢) لذا سنزأج في مباحثها بين معيارين: جمالي متعلق بأساليب التعبير وطرائق الأداء وبناء الاستراتيجية، وغرضي مقترن بما يطمح إليه المرسل من تأثيرات، من خلال بحث الفاعلية الحجاجية في القوة الإقناعية للنص.

محتوى البحث:

ينقسم البحث إلى فصول ثلاثة، تسبقها مقدمة وتمهيد، أما المقدمة فيذكر فيه الدافع من اختيار الموضوع والمنهج المتبع والآليات المقترحة لتحليل النصوص، وأما التمهيد فهو مهأذ نظري متعلق بالنص وبنظرية الحجاج وبعض المفاهيم المتعلقة بالدراسة، وسيكون هذا الفصل التمهيدي توطئة للفصول التالية من خلال بحث السياق التاريخي للنص؛ إذ لا يمكن عزل النصوص عن سياقها التاريخي لكشف الفاعلية الحجاجية، وكذلك من خلال استثمار المفاهيم الحجاجية التي تؤول إليها في أثناء البحث.

١- انظر: منذر عياشي، نظريات القراءة والتلقي، من النص الأدبي إلى النص القرآني، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٦م، ص ٢٥.

2 – Thomas Conley, What Jokes Can Tell Us About Argument, "A Companion To Rhetoric And Rhetorical Criticism, ed, Walters Jost And Wendy Olmsted, Blackwell Publishing, USA, 2006, p. 266.

ثمَّ ننتقلُ إلى الفصولِ الثلاثةِ بحسَبِ المسالكِ الأرسطِيَّةِ للإقناع، فالفصلُ الأوَّلُ بعنوان: **التَّعوِيلُ على فضائلِ القائلِ (الإيتوس)**، وينقسمُ إلى ثلاثةِ مباحثٍ، يتعلَّقُ الأوَّلُ باستثمارِ (الإيتوس) لُغويًّا من خلالِ المِراوِحةِ بينِ الجملةِ الاسميَّةِ والفعليَّةِ، ومن خلالِ جعلِ الأساليبِ البلاغيَّةِ حُجَّةً لفضائلِ القائلِ، ويتعلَّقُ المبحثُ الثَّاني بتعزُّيدِ الإيتوس بالمسلِّكينِ الآخرينِ (اللُّوغوس) و(الباتوس)، ويتعلَّقُ المبحثُ الأخيرُ بإيتوس الآخرِ في الخطابِ من خلالِ استهدافِهِ بحجَّةِ (آد هومنيم)، ومن خلالِ المصادرةِ على المطلوبِ والاتِّفاقِ المسبقِ.

ونعرِّضُ في الفصلِ الثَّاني الَّذي بعنوان: **إثارةِ انفعالاتِ المتلقِّي وعواطفه (الباتوس)**، وينقسمُ كسابقِهِ إلى مباحثٍ ثلاثةٍ أوَّلها التَّنَاصُ واستهدافُ العواطفِ الَّذي سنتناولُ فيه التَّنَاصُ الدِّينيَّ والأدبيَّ والتَّاريخيَّ، وثانيها فعلُ القراءةِ مؤثِّرًا في عواطفِ المتلقِّي من خلالِ قراءةِ المتلقِّي الخاصِّ والمتلقِّي العام، وثالثُ هذه المباحثِ يتعلَّقُ بالتأثيرِ العاطفيِّ لتغييرِ وجهةِ الحوارِ بواسطةِ الصِّمتِ وعاطفيَّةِ هذا التَّغييرِ.

ويتناولُ الفصلُ الأخيرُ المعنونُ بـ: **استثمارِ الحججِ العقليَّةِ (اللُّوغوس)**، ثلاثةَ مباحثٍ نعرِّضُ في الأوَّلِ حِجَاجِيَّةَ التَّماسكِ النَّصِّيِّ بشقِّيهِ الشَّكليِّ والدَّاخليِّ، ونعرِّضُ في الثَّاني قضيَّةَ ملءِ نقطةِ البياضِ بإعمالِ العقلِ لدى المتلقِّي بتوظيفِ القياسِ والاستعارةِ، وفي المبحثِ الأخيرِ نتناولُ حِجَاجِيَّةَ التَّرتيبِ من خلالِ نصِّينِ أحدهما رسالةً من معاويةَ والآخرُ ردُّ عليٍّ على هذه الرِّسالةِ.

وقبلَ الشُّروعِ في أيِّ فصلٍ نُقدِّمُ له بتوطئةٍ حولَ المفهومِ الَّذي يدورُ حولَهُ الفصلِ، ثمَّ نختمُ كلَّ فصلٍ بخلاصةٍ لما جاءَ فيه.

وفي ختامِ البَحْثِ نُلحِقُ الفصولَ بفهارِسَ فَنِّيَّةٍ مفصَّلةٍ للآياتِ والأحاديثِ والأشعارِ والأعلامِ والمصطلحاتِ والرِّسائلِ ميدانِ البَحْثِ والمفاهيمِ والمصادرِ الَّتِي سَتَرَدُّ في البَحْثِ.

وسيجدُ قارئُ هذا البَحْثِ خللاً وخرماً في بعضِ المواضعِ ممَّا يجعلُ الفكرةَ غيرَ متَّسِقَةٍ، وسيجدُ خللاً في ترقيمِ الفهارِسِ؛ وذلكَ بسببِ تعديلاتٍ أُدخِلَتْ عنوَةً وذلكَ بعدَ أن أجازتِ لجنةُ المناقشةِ البَحْثَ دونَ إجراءِ أيِّ تعديلٍ!

وأخيراً أقول: إنَّ هذا البَحْثَ عملٌ بشريٌّ، قد يُصيبُ باحثُهُ وقد يُخطئُ، فإنَّ أصبَتْ فَمِنَ الله، وإنَّ أخطأتُ فَمِنَ نفسي، واللهُ أسألُ أن يوفِّقني وأن ينفعَ به، إنَّه حميدٌ مجيبٌ.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، واجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يُخْلَصُ لَكَ.

التَّهْيِيد

التّمهيد

يتناول هذا التّمهيدُ بعضَ المفاهيمِ الأساسيّة التي يقومُ عليها البحثُ الحجاجي، وهي: مفهوم الرّسائل المتبادلة بوصفها نوعًا أدبيًّا، ومفهوم الظّرف الحجاجي الذي كان يكتنف زمن صدور هذه الرّسائل، ومفهوما الإقناع والتأثير.

الرّسائل المتبادلة نوعًا أدبيًّا:

شكّلت قضية الأجناس الأدبيّة ميدانًا خصبًا للباحثين، وليس البحث فيها شغل هذا العمل؛ وإنّما لا بدّ من الوقوف عليها وقفةً خاطفةً لنأخذ منها ما يُفيدنا، ويمكن الرجوع إلى الدّراسات التي تناولت هذه القضية بالتّفصيل -وهي كثيرة-^(١).

يمكننا أن نقسّم -تبعًا لما وصلت إليه الدّراسات- الأجناس الأدبيّة إلى أجناسٍ شعريّة وأجناسٍ نثريّة؛ وقد تحدّث أرسطو عن الأجناس الشّعريّة في كتابه "فنّ الشعر"^(٢)، وبحثنا هذا

١- انظر مثلاً،

- إيف ستالوني، الأجناس الأدبيّة، ترجمة، محمّد الزّكراوي، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠١٤م.

- رينيه وليك، آستن وارن، نظريّة الأدب، تعريب، عادل سلامة، دار المزيخ، الرياض، ١٩٩٢، ص ٣١٣-٣٢٩، وفيه تُرجم المصطلح في عنوان الفصل إلى "الأجناس الأدبيّة" في حين أنّه في داخل الفصل تُرجم إلى "الأنواع الأدبيّة".

- تزفيتان تودوروف، نظريّة الأجناس الأدبيّة، ترجمة، عبد الرّحمن بو علي، دار نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، الطّبعة الأولى، ٢٠١٦م.

- عبد المنعم تليمة، مقدّمة في نظريّة الأدب، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٧١-٢٢١.

- عبد العزيز شبيل، الأجناس الأدبيّة في التراث النّثري، جدليّة الحضور والغياب، دار محمّد علي الحامي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تونس، الطّبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- تزفيتان تودوروف، الأجناس الأدبيّة، ترجمة، سعيد بو عيطة، مجلّة البحرين الثقافيّة، وزارة الثقافة، مملكة البحرين، المجلّد ٢٠، العدد ٧١، يناير ٢٠١٣، ص ٦٠-٦٥.

- Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, Oxford University Press, USA, 2001, pp. 104-105.

يهتمُّ بجنس من الأجناس النَّثرية وهو جنس الرسائل، وهذا الجنس من التراث النَّثري العربي جديرٌ بالدراسة والاهتمام؛ لذلك كان لا بُدَّ من رسم خريطةٍ مُبسَّطةٍ للأجناس الأدبية لمعرفة موقع جنس الرسائل فيها.

ولمَّا كان الجنس أعمَّ مِنَ النوع^(٢)؛ فإنَّ هذا البحث سيُخصَّصُ في نوع (الرسائل المتبادلة) أو ما يُعرَف بأدب الردود، ويمكننا أن نقول إنَّ هذا النوع الأدبي لم تحلَّ به كثيرٌ من الدراسات التي تحدَّثت عن الرسائل في حدود ما وصلنا إليه، باستثناء ما بحثه عبد الله البهلول في كتابه "الحجاج الجدلي"^(٣) وفي بحثه في مؤتمر "المسكوت عنه"^(٤)، وكذلك كتاب حمادي صمود "بلاغة الانتصار"^(٥)، وإنَّما كان أكثر التركيز على جنس الرسائل عامَّةً أو في أنواع معيَّنة منه كالرسائل الإخوانية أو المكاتبات المفردة، مثل ما قام به علي محمد علي سلمان في كتابه "كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً"^(٦)، ولعلَّ البحث المنشور في مجلَّة فصول بعنوان "بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية" للباحث عماد شعير أقرب ما كُتِبَ إلى موضوع هذا البحث؛ إذ نظر إلى الرسائل السياسية بين عليٍّ ومعاوية من منظورٍ حجاجيٍّ مستفيداً من الحجج المؤسَّسة لبنية الواقع، والحجج المؤسَّسة على بنية الواقع التي سَكَّها بيرلمان ونيتيكاه^(٧)، وقد اعتمدَ الباحث فيه على نوعين من التقنيات لتحقيق الاقتناع؛

١- أرسطوطاليس، فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١١-١٦.

٢- انظر:

- ابن سينا، الإشارات والتنبهات مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق، سليمان دنيا، مؤسسة

النعمان، بيروت، ١٩٩٢م، القسم الأول، في المنطق، ص ١٨٧-١٨٨.

- إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، ص ١٨-١٩.

- عبد العزيز شليل، الأجناس الأدبية في التراث النَّثري، جدلية الحضور والغياب، ص ١٤٥-١٤٨.

٣- عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية، ص ٢٩٧-٣٦٠.

٤- عبد الله البهلول، استراتيجيات السكوت والإسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي، ضمن كتاب "المسكوت عنه"، جمع ومراجعة وتقديم، محمد الشيباني، أعمال ندوة المسكوت عنه، قسم

العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، نوفمبر ٢٠١٠م، ص ١٢٧-١٩٧.

٥- حمادي صمود، بلاغة الانتصار في النقد الأدبي القديم، رسالة أبي بكر الصولي إلى مزاحم بن فاتك أنموذجاً، دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٦- علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً.

٧- عماد شعير، بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٨١/٨٢، ربيع / صيف ٢٠١٢، ص ٥٥٤-٥٨٢.

خارجية وداخلية، فدرَسَ مفتحات الرسائل ومقدماتها، ثم تطرَّق إلى الاستفهام والصَّور البلاغية، أما في التقنيات الدَّاخلية فقد درَسَ الوضَل والتَّمثيل والاستشهاد، وفي دراستنا هذه سنضيف على دراسة عماد شعير أمورًا عديدة أهمُّها الاستعانةُ بمناهجَ متعدِّدةٍ مثل المقاربات السِّيميائية ومناهج لسانيات النَّص التي لم يستخدمها، والأمرُ الآخرُ أنَّ زاويةَ النَّظرِ إلى طرائق الإقناع والتأثير تختلف؛ إذ سنعمِّق النَّظرَ في المدونة من خلال المسالك الأرسطية الثلاثة، وأمرٌ ثالثٌ يمكنُ عدُّه إضافةً على دراسته هو أنَّنا سنحلِّل الرسائل المتبادلة بين عليٍّ ومعاوية، ولن يقتصر الأمرُ على رسائله مع معاوية.

ولا يخفى أنَّ الرسائل المتبادلة -التي هي في أبسط تعريف لها كلَّ ابتداءٍ يستدعي ردًّا ويولِّد جوابًا أو أكثر- تستدعي دراسةً حجاجيةً موسَّعةً بسبب الوضع الاختلافيِّ القادح في هذا النوع من الرسائل وكذلك حالة السِّجال القائمة -عادةً- بين المتراسلين و"ما في مقام التَّرسُّل من تعزيز لحجاجية الخطاب"^(١)، ولأنَّ في الرسائل المتبادلة أطروحاتٍ تتصارع، وآراءٌ تتناقض، وحججًا تتقارع، ومواقفٌ تتباين وتقلب من الضدِّ إلى الضدِّ بحسب ما يدعو إليه مقام القول، وهذا ما سيُعالجُ في مبحث "الظَّرف الحجاجي"، وقد استبان لنا، ونحن نُنعم النَّظرَ في المدونة، أنَّ أكثرَ الرسائل المتبادلة قد جرت بين عليٍّ ومعاوية. وهي بذلك فنَّ يقدحه الاختلاف ويحرِّكه الاعتراض وتغيَّر مساره ونتائجُه قوَّةُ الحجج واستراتيجيات الحجاج، وعلى ذلك نقولُ إنَّنا لا نُعنى بالرسائل المفردة التي لا ردودَ عليها.

الظَّرف الحجاجي:

إذا كانَ القرآن قد تكفَّلَ بأكثر الحجاج عن النَّبيِّ الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وإذا كان الخلفاء الرَّاشدون قبل الإمام عليٍّ قد انشغلوا بالفتوحات لنشر الدَّعوة الإسلامية وتقوية شوكة هذا الدِّين فقد حاجُّوا في هذه الفتوحات بالقرآن الكريم وأقوال النَّبيِّ الكريم، أو نراهم انشغلوا بعملٍ عظيم في سنين خلافتهم كجمع القرآن وتوحيد القراءات^(٢).

وحجاجية القرآن لا تخفى على مُطَّلِعٍ، وقد درَّسها عددٌ من الباحثين^(٣)، وكذلك فإنَّ بعض مكاتبات الرسول الكريم تؤدِّي غرضًا حجاجيًا كالمعاهدة التي كُتبت في صلح الحُدَيْبية، "وواضح

١- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجًا، ص ١٤.

٢- انظر: بلاغة الخطاب السِّياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، ص ٥٥٩.

٣- انظر مثلاً،

أن الرسول عليه السلام لا يُعنى في هذه المعاهدة بتحيير فتّي، بل هو يؤدي غرضًا سياسيًا في صورة موجزة^(١).

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ للإمام عليّ ظرفًا ججاجيًا آخر، فهو قد تسلّم أمور الخلافة بعد فتنة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفّان، وقد ادّعى عليه بعض مُعاصريه أنّه مشارك في دم عثمان، فاضطرّ الأمر إلى أن تكون له سلطة القول وسلاح الكلمة؛ فطالما حسمت الكلمة أمرًا قبل أن يحسمه السيف، فأراد إقناع المسلمين بصحة آرائه من خلال الكلمة؛ فاشتُهرت خطبته ورسائله إلى معاصريه بكونها مليئة بالزّوج الجاجية، وبذلك اشتهرت رسائل معاصريه إليه^(٢).

على أنّ الإمام عليًا لم يكن الوحيد في عصره من صنّعه هذا الظرف الجاجي، بل إنّ هذا الظرف قد صنّعه آخرون في ذلك العصر، وبالدرجة الأولى صنّعه خصوم الإمام علي كالخوارج الذين نقلت لنا الكتب شيئًا من آدابهم وبخاصّة في دفاعهم عن عقيدتهم ورؤاهم^(٣).

مفهوما الإقناع والتأثير:

عندما نتحدّث عن الإقناع والتأثير فإنّنا نتحدّث عن الغاية من الججاج، وللججاج تعريفات عديدة؛ بعضها منطقي والآخر بلاغي وبعضها لغوي (لساني)^(٤)، وليس غرضنا عرض هذه التعريفات فقد سبق إليها وإلى نقاشها الباحثون، وتعريف الججاج بحسب غايته هو "أن

- عبد الله صولة، الججاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، وكلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ودار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الججاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، دار كلمة للنشر، بيروت، دار الأمان، الزباط، دار ومكتبة عدنان، بغداد، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

١- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة ١٥، ٢٠٠٩م، ص ٩٧.

٢- انظر: بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين علي ومعاوية، ص ٥٥٩-٥٦٠.

٣- انظر ما أورده المبرّد من جملة أخبارهم في الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ١٢١ وما بعدها.

٤- انظر: فيليب بروتون، الججاج في التّواصل، ترجمة، محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ص ١٨، و ص ٢٠، و ص ٢٢-٢٣، و ص ٢٤، و ص ٢٣، و باتريك شارودو، الججاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة، أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ١٦.

يجعلَ القول تذعن لما يُطرح أو يزيد في درجة ذلك الإذعان^(١) أو هو "منحُ المتلقّي دلائلَ جديدةً للاعتقاد بما نقوله له"^(٢)، وهو بذلك يستلزم وجودَ أطرافٍ ثلاثةٍ تُعدُّ عناصره الرئيسة؛ وهي: خبر عن العالم، وفاعل مُحاجٍّ، وفاعلٍ هدف^(٣).

ولمّا كان الحجاجُ موجَّهاً لتغيير وجهات النظر فإنَّ في آليَّته مفهومين اثنين، هما الإقناع والتأثير^(٤) اللذان نتحدّث عنهما هنا، وسنبينُ المقصودَ من كلا المصطلحين، لأنَّ الحجاجَ يولي "الدَّعوى المنطقيةَ أهميّةً خاصّةً، ولكنّه يجعل من اختصاصه أيضًا الدَّعوى العاطفية والأخلاقية"^(٥).

وقبل أن نبيّن المقصودَ من المصطلحين، لا بأس بأن نذكّر بعض الأفكار الشائعة عن الحجاج^(٦) والتي تبينُ أنَّ الحجاجَ يستهدفُ العقلَ والعاطفة، اللذين يدورُ في فلكهما البحث:

- ١- فالحجاجُ نخبويٌّ؛ لأنَّ المتعلّم هو من يمتلكُ الحجّةَ القويّة.
- ٢- الحجاجُ متعلّقٌ بالسياسةِ تَعَلُّقًا واضحًا.
- ٣- الحجاجُ عدائيٌّ بطبيعته؛ لأنّه يخلق التشنّجات ويصنعُ الاهتزازات.
- ٤- الحجاجُ عمليةٌ عقلانيةٌ تتطوّر على التدرّب على المنطق وحلّ المشكلات.
- ٥- الحجاجُ يستندُ على الأنانية، والمُحاجّ يعتمدُ على التلاعبِ بالكلمات؛ وهذا بخلاف الحجاج الأخلاقي.

١- عبد الله صولة، الحجاج، أُطرُهُ ومنطقاتُهُ وتقنيّاته من خلال "مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب، أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف، حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، مَنوبة، ١٩٩٨م، ص ٢٩٩.

٢- الحجاج في التّواصل، ص ٥٥.

٣- انظر: الحجاج بين النظريّة والأسلوب، ص ١٣.

٤- انظر: نفسه، ص ١٤-١٦.

٥- محمّد العبد، النّص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب، الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف، حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ج ٢ / ص ٦٧٨.

٦- انظر:

J. Michael Sproule, Argument, Language And Its Influence, McGraw Hill, USA, 1980, pp.2-4.

وَعَوْدًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ؛ فنحن نقصد بالإقناع هُنا الآليات التي يستخدمها المرسل مُستهدفًا العقل، وهو ما سمّاه بعض الباحثين "الاقتناع"^(١) أو "الحمل على الإقناع"^(٢)، أمّا التأثير فهو ما نقصدُ به "حمل المخاطب على قبول دعوى الخطيب بكلِّ الوسائل خصوصًا التأثيرية"^(٣)، أي ما يَسْتَهْدَفُ عواطف المتلقّي.

والَّذي دعانا للفصل بين المصطلحين هو أنَّ كثيرًا من الباحثين العرب استخدموا مصطلح "الإقناع" قاصدين به استهداف العواطف، واستخدموا مصطلح "الاقتناع" أو "الحمل على الإقناع" قاصدين به الآليات العقلية، وهذا الأمر سيوقعنا في أننا سَنُعَبَّرُ عن ثنائية (Persuasion / Convictions) بلَفْظَيْنِ من الجذر نفسه: إقناع / اقتناع"^(٤).

ومن نافلة القول أن نبيّن أنَّ التَّرْجَمَةَ لا يجب أن تكون حَرْفِيَّةً بقدر ما يجب أن تكون "مُصْطَلَحِيَّةً تعبيريةً دلاليةً"^(٥) تُوصِلُ الفكرة بأقلِّ عددٍ من الكلمات، لهذا أعرضنا عن مصطلح "الحمل على الإقناع"، وقد حاولَ الحسين بنو هاشم التَّرجيح بين مصطلحاتٍ أربعةٍ بغرض اختيار أحدها لما يدلُّ على الآليات المستهدفة للعقل، فاستخدمَ أولاً مصطلح "قَنَعَنَة"^(٦)، ثمَّ عدلَ عنه مستخدمًا مصطلح "تبين"^(٧)، مستلهمًا ذلك من كتاب الجاحظ "البيان والتبيين"، وبعدها استخدمَ مصطلح "تصديق"^(٨) الَّذي كَانَ حَاضِرًا بقوة في التَّراث الفلسفي عند العرب، ولكنه أخيرًا استقرَّ على استخدام مصطلح "تَيَقُّين من (يَقَرُّ يُقَيَّنُ)"^(٩).

بناءً على ما تقدّم نجدُ أنَّ الباحثَ اعتسَفَ طريقًا لا ينبغي له أن يُطِيلَ فيها لو أنَّه استعملَ مُصْطَلَحَ "الإقناع" للدَّلالة على الحُجج العقلية، ومصطلح "التأثير" للدَّلالة على الحُجج

١- انظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٦.

٢- الحجاج، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكاه، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٣- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ١٥.

٤- نفسه، ص ١٦.

٥- انظر: فيلين ناعوموفيتش كوميساروف، علم التَّرجمة المعاصر، ترجمة، عماد محمود حسن طحينة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٤٠ وما بعدها.

٦- نفسه والصفحة نفسها.

٧- نفسه، ص ١٧.

٨- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ١٩.

٩- نفسه، ص ٢١.

المستهدفة للعواطف؛ وانطلاقاً مما سبق سيسير هذا البحث وفقاً هذين المصطلحين "الإقناع والتأثير"^(١).

وجدير بالذكر أن شايم بيرلمان ميّر بين مُصطلحي (Persuasion / Convictions) بشكلٍ تقنيّ، إذ عدّ الأول (Persuasion) مُوجّهاً إلى مُتلقٍ خاصّ، وهو يعني به التأثير^(٢) ونستخدم له في هذا البحث مصطلح (Influence)، والثاني (Convictions) مُوجّهاً إلى مُتلقٍ كونيٍّ لأنّه مرتبطٌ بالعقل^(٣)، وهو يعني به الإقناع^(٤) العقليّ، ونستخدم له في هذا البحث مصطلح (Persuasion).

١- استُخدِمَ المصطلحان في عدد من البحوث، ومما وقعت عليه يد الباحث، عبد العالي قادا، حجاجيّة الترتيب والاستراتيجيّة الحجاجيّة في رسالة ابن عبد البرّ على لسان أهل بريشت، ضمن كتاب التّحليل الحجاجي للخطاب، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطّبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٤٢٥ وما بعدها.

٢- الأثر في لسان العرب هو بقيّة الشّيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشّيء، وأثر في الشّيء، ترك فيه أثراً، ولعلّنا نستوحي من هذا التعريف لهذا اللفظ في اللسان ما يدلّ على قصد القلب بكلام يُغيّر من وجهة نظره. (لسان العرب، مادة أثر)

٣- نظريّة الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ١٥-١٦.

٤- يحيل الجذر (قنع) في لسان العرب إلى الرّضا (لسان العرب، مادة قنع)، وتُحيل لفظة الإقناع في مقاييس اللغة على الإقبال بالوجه على الشّيء (مقاييس اللغة، مادة قنع)، وهذان الأمران يُعْضِدان من اختيار مصطلح الإقناع بمعنى الرّضا بما يتوجّه إلى العقل من حُجج.

الفصل الأول

التَّعْوِيلُ عَلَى فُضَائِلِ الْقَائِلِ (الإيتوس)

الفصل الأول: التّعويل على فضائل القائل (الإيتوس)

توطئة:

يُشَكِّلُ التّعويلُ على فضائل القائل^(١) أو (الإيتوس - Ethos) حسب التعبير اليوناني أحدَ الأضلعِ الثلاثةِ لمثلثِ مسالكِ الإقناعِ لدى أرسطو بإضافتهِ إلى (الباتوس - Pathos) و(اللوجوس - Logos)^(٢)، وفي هذه التّوطئة سنتحدّث باختصارٍ عن اعتمادِ آليّةِ فضائلِ القائلِ في بناءِ المُحاجةِ من خلالِ تعريفِ (الإيتوس) ومعرفةِ كيفيّةِ عملِ هذه الآليّةِ.

إنَّ مصطلحَ (Ethos) "مأخوذٌ من الخطابةِ القديمة"^(٣) ويُشيرُ "إلى صورةِ الذاتِ التي يبنّيها المتكلّمُ في خطابهِ ليمارس تأثيراً في المُخاطَب"^(٤)، وقد بُحِثَ هذا المصطلحُ من عدّةِ جوانبِ كالخطابةِ والتّداوليّةِ وتحليلِ الخطابِ، إذ يُشيرُ إلى صورةِ الذاتِ في الخطابِ -كما تقدّمَ في التّعريف- ويُشيرُ كذلك إلى صورةِ المتكلّمِ قبلِ الخطابِ^(٥)، وهو يتحدّدُ "بوصفهِ طريقةً من طرقِ بناءِ صورةِ عن الذاتِ، أي طريقةِ التعبيرِ عن الوجودِ انطلاقاً من طريقةِ القول"^(٦).

١- تُرجمَ مصطلحَ (Ethos) عدّةُ ترجماتٍ منها، صورةُ القائلِ، وأخلاقِ الخطيبِ، ووجدنا في تلخيصِ الخطابةِ لابنِ رشدِ مصطلحَ، الفضائلِ، وقد رأينا أنّه يفي بمعنى الكلمة، وقد نوّثر استخدامُ المصطلحِ اليونانيِ (الإيتوس) وأخويه (اللوجوس) و(الباتوس) بسببِ تشرّبِ النّفاةِ البلاغيّةِ العربيّةِ لها وصيرورتها مصطلحاتٍ مستخدمةً في ميدانِ البحثِ.

٢- تحدّثَ كثيرونَ عن هذه المصطلحاتِ الثلاثةِ، وهي مصطلحاتٌ يونانيّةٌ، يمكنُ الرّجوعُ إليها في، أرسطو، الخطابةِ، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون النّفاةِ العامّةِ (آفاق عربيّة)، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٢٩-٣٥، وابنِ رشدِ، تلخيصِ الخطابةِ، تحقيق، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، د.ت، ص ١٧-٢٢، وباتريك شارودو ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطابِ، ترجمة، عبد القادر المهيري وحَمّادي صمّود، دار سيناترا والمركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٠، ص ٣٤٥، ص ٤١٢، وحَمّادي صمّود، في الخلفيّةِ النّظريّةِ للمصطلحِ، ضمن، أهم نظريّات الحجاج في التّقاليدِ الغربيّةِ، ص ١٢-١٣، وهشام الرّيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن، أهم نظريّات الحجاج في التّقاليدِ الغربيّةِ، ص ١٤٥، ص ٢٦٢ وما بعدها.

٣- معجم تحليل الخطابِ، ص ٢٣٠.

٤- نفسه.

٥- نفسه، ص ٢٣١.

٦- أحمد قادم، "بانّت سعاد" لكعب بن زهير، مقاربة حجاجيّة، ضمن كتاب التّحليل الحجاجي للخطابِ، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطّبعة الأولى ٢٠١٦م. ص ٥٥٨.

يُتَضَحُّ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ هَذَا الْمَصْطَلَحَ مُتَعَلِّقٌ أَوَّلًا بِأَخْلَاقِ الْقَائِلِ قَبْلَ التَّلَقُّظِ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ سَمِيَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ إِنْ كَانَ مُتَكَلِّمًا أَوْ مِنْ خِلَالِ عِبَارَاتِهِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا إِنْ كَانَ كَاتِبًا وَيُوضَّحُ فِيهَا أَخْلَاقَهُ وَفَضَائِلَهُ الَّتِي تَسْبِقُ الْخِطَابَ إِذْ يَقُولُ أَرِسْطُو: "لَأَنَّا نَسْتَشْعِرُ الثِّقَّةَ عَلَى دَرَجَةٍ أَكْبَرَ وَبِاسْتِعْدَادٍ أَوْسَعٍ، بِأَشْخَاصٍ مُعْتَبَرِينَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ بِوَجْهِ عَامٍ، لَكِنْ إِذَا أَعَوَّزَ الْيَقِينَ وَكَانَ ثَمَّ مَجَالٌ لِلشَّكِّ فَإِنَّ الثِّقَّةَ تَكُونُ مُطْلَقَةً"^(١)، وَكَذَلِكَ بِفَضَائِلِهِ الَّتِي يَبْنِيهَا الْقَائِلُ فِي أَثْنَاءِ خِطَابِهِ، إِذْ "يَتَجَلَّى الْحِجَاجُ بِوَاسِطَةِ الْإِيْتُوسِ فِي تَرْكِ انْطِبَاعٍ حَسَنٍ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ، وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُبْنَى بِهَا الْخِطَابُ، وَمِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ صُورَةٍ عَنِ الذَّاتِ قَادِرَةٍ عَلَى إِقْنَاعِ الْمُخَاطَبِ وَالْفُوزِ بِثِقَتِهِ"^(٢)، فَصُورَةُ الْمُرْسِلِ قَبْلَ الْخِطَابِ نَسَمِيهِ "الْإِيْتُوسَ الْجَاهِزَ"، وَنَسَمِي الصُّورَةَ الَّتِي يَبْنِيهَا الْمُرْسِلُ لِنَفْسِهِ فِي خِطَابِهِ "الْإِيْتُوسَ الْخِطَابِيَّ"^(٣) وَهَذَانِ النَّوعَانِ لَا يُمْكِنُ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا فِي أَيِّ خِطَابٍ لِأَنَّ الْمُتَلَقِّيَّ يَكُونُ أَسِيرًا لَصُورَةِ الْمُرْسِلِ وَفِكْرُهُ يَدُورُ فِي فَلَكَهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّبَ هَذِهِ الصُّورَةَ مِنْ ذِهْنِهِ مَهْمَا حَاوَلَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْضُوعِيَّةَ الْحُكْمِ عَلَى خِطَابِ الْمُرْسِلِ لَدَى الْمُتَلَقِّيِّ تَخْضَعُ لَعَدَّةِ اعْتِبَارَاتٍ مِنْهَا فَضَائِلُ هَذَا الْقَائِلِ قَبْلَ الْخِطَابِ وَفِي أَثْنَاءِ الْخِطَابِ.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلِقِ نَقُولُ إِنَّ آيَةَ عَمَلِ هَذَا الْمَسْلُوكِ تَحْتَكِمُ فِي الرِّسَالِ الْمَتَبَادَلَةِ بَيْنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ وَمُعَاَصِرِيهِ إِلَى الْمُتَحَدِّثِ عَنْهُمَا سَابِقًا، نَعْنِي الْإِيْتُوسَ الْجَاهِزَ وَالْإِيْتُوسَ الْخِطَابِيَّ؛ إِذْ يَعُولُ الْمُتَرَايِسُونَ عَلَى صُورَتِهِمُ الْمَرْسُومَةِ فِي أَذْهَانِ الْمُتَلَقِّينَ وَيَبْنُونَ عَلَيْهَا خِطَابَهُمْ فَتَرَاهُمْ يَسْتَشْتَرُونَ إِيْتُوسَهُمُ الْجَاهِزَ لِدَعْمِ إِيْتُوسِهِمُ الْخِطَابِيَّ، أَوْ يَسْتَشْتَرُونَ هَذَا الْإِيْتُوسَ لِيُظْهِرُوا الْوَجْهَ السَّلْبِيَّ لِلْمُتَلَقِّيِّ إِنْ كَانَ مِنْ خُصُومِهِمْ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَرَصِدَ هَذَا الْمَسْلُوكَ فِي هَذِهِ الرِّسَالِ مِنْ عِدَّةِ جَوَانِبٍ؛ مِنْهَا: الْجَانِبُ اللَّغَوِيُّ مِنْ خِلَالِ اسْتِخْدَامِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الثَّبَاتِ وَالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالتَّجَدُّدِ وَاسْتِخْدَامِ التَّوَكِيدِ وَبَعْضِ الْأَدَوَاتِ النَّحْوِيَّةِ الْمُعْصِدَةِ لِهَذَا الْأَمْرِ أَوْ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الْمَظَاهِرِ الْبَلَاغِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي النَّصُوصِ، أَمَّا الْجَانِبُ الثَّانِي فَهُوَ الْجَانِبُ الْمُتَعَلِّقُ بِتَعْضِيدِ الْإِيْتُوسِ بِالْمَسْلُوكِينَ الْآخَرِينَ؛ الْوُغُوسُ وَالْبَاتُوسُ، مِنْ خِلَالِ اسْتِخْدَامِ الْقِيَاسِ الْمَضْمَرِ وَالتَّقَابُلِ بَيْنَ حَالَتَيْنِ أَوْ مِنْ خِلَالِ اسْتِهْدَافِ عَوَاطِفِ الْمُتَلَقِّيِّ لِتَعْضِيدِ الْفَضَائِلِ، وَالْجَانِبُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُدْرَسَ

١- الْخُطَابَةُ، تَرْجَمَةُ بَدَوِي، ص ٣٠، وَانْظُرْ حَاشِيَةَ الْمُتَرْجِمِ، وَانْظُرْ: الْخُطَابَةُ، تَرْجَمَةُ قَيْنِي، ص ١٥.

٢- دَوْمِينِيكُ مَانْجِينُو، مَشْكَلَاتُ الْحِجَاجِ بِوَاسِطَةِ الْإِيْتُوسِ، مِنْ الْبَلَاغَةِ إِلَى تَحْلِيلِ الْخِطَابِ، تَرْجَمَةُ، حَسَنُ الْمَوْدُنِ، ضَمِنَ كِتَابَ التَّحْلِيلِ الْحِجَاجِيِّ لِلْخِطَابِ، إِشْرَافَ، أَحْمَدُ قَادِمُ وَسَعِيدُ الْعَوَادِي، دَارُ كُنُوزِ الْمَعْرِفَةِ، عَمَّانَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ٢٠١٦ م. ص ٧٦٥.

٣- انْظُرْ: مُحَمَّدُ مَشْبَالُ، فِي بَلَاغَةِ الْحِجَاجِ، نَحْوَ مَقَارِبَةِ بَلَاغِيَّةِ حِجَاجِيَّةٍ لِتَحْلِيلِ الْخُطَابَاتِ، دَارُ كُنُوزِ الْمَعْرِفَةِ، عَمَّانَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ٢٠١٦ م، ص ١٧٧- ١٨٣.

في هذا الفصل هو التأثير العكسي للتعويل على فضائل القائل من خلال رصد التصوص التي اعتمدت على فضائل القائل ولكنها قوبلت بردود أو بأحداث عكس ما كانت ترمي إليه وكذلك من خلال "حجة" آدهومنيوم باعتبارها شكلاً حجاجياً يقوم على إظهار الوجه السلبي لإيتوس الآخر^(١)، وعلى ذلك سيكون لكل مبحث من مباحث هذا الفصل ميدانٌ يجول فيه؛ فالمبحث الأول سيتكئ على النحو والبلاغة مُستثمراً ظواهرهما، والمبحث الثاني سيحاول الاستفادة من المقارنات المنطقية والاستقراء ومن نظرية سيميائيات الأهواء التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعواطف المرسل، أما المبحث الأخير فسيستعين -في أكثره- بالوقائع التاريخية وبالردود على الرسائل، وعلى هذا الأساس ستبني مباحث هذا الفصل.

١- في بلاغة الحجاج، ص ١٧٠.

المبحث الأول: استثمار الإيتوس لغويًا

تقدّم في توطئة هذا الفصل أنّ للإيتوس عددًا من الآليات التي ينبني عليها النصّ المكتوب أو الملفوظ، وفي هذا المبحث سيُنظرُ إلى الإيتوس من جانبٍ لغويّ وبلاغيّ، على أنّ هذا الفصل بين مباحث وفصول البحث - كما تقدّم - أمرٌ منهجيّ لغرضِ البحث.

أولاً: المراجعة بين الجملة الاسميّة والفعلية:

تدلُّ الجملة الاسميّة في اللّغة العربيّة - نحوًا وبلاغةً - على الثبوت، في حين أنّ الجملة الفعلية تدلُّ على التجدّد والحركة، يقول الكفويّ في الكلّيات: "والجملة الاسميّة موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدّد أو استمرار... والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدلُّ على تجدّد سابق أو حاضر"^(١).

وعلى هذا الأساس يُمكنُ النظرُ إلى مدونة البحث من خلال استثمار الجملة الاسميّة والفعلية بين المتراسلين لتعزيد صورة المرسل وإخراجها في الصورة التي يريدها.

في رسالة ردّ أرسلها معاوية إلى الإمام عليّ يقول فيها: "... فأما شرفك في الإسلام، وقربائك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعك من قریش فلسْتُ أدفعه"^(٢)، فأجابَه الإمام عليّ برسالة يقول فيها: "وأما شرفي في الإسلام وقرباتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعي من قریش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته"^(٣).

في هذين التّموذجين يستخدمُ المتراسلانِ الجُمْلَ الاسميّة للدلالة على ثبوت هذه الصّفات للإمام عليّ؛ فقد أثبتّها معاوية له، ثمّ أثبتّها الإمام عليّ لنفسه، وفي إثبات الإمام هذه الصّفات لنفسه استثمارٌ لصورتِه قبل الخطاب؛ فشرفه وقرباته وموضعه كلّ هذه صفاتٌ قبل / خطابيّة أو خارج / خطابيّة ولكنها تُعزّد غاية المرسل من تأثير في المتلقّي ليزيد من إذعانه كما هي غاية الججاج.

١- انظر: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، تحقيق، د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الثّانية، ٢٠١٢م، ص ٢٨٤.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

٣- نفسه، ص ٣٥٤.

على أن ورود هذه الصفات في رسالة معاوية من قبيل التّعويل على إثارة عواطف المتلقي التي سنبحثها إن شاء الله في فصل آخر من هذا البحث.

١ - حُجَّةُ الْعَصَا الْغَلِيظَةِ وَالْمَعْجَمُ الْحَرْبِيُّ:

وعودًا إلى موضوع توظيف الجملة الاسمية والفعلية، يمكن القول -من خلال المدونة- أن حُجَّةَ "العصا الغليظة" التي تستبطن التهديد والوعيد موجودة بوضوح في هذه الرسائل، ولعلّ الرسائل المتبادلة بين عليّ ومعاوية تحمل كثيرًا من هذه الحجّة، وتحمل في داخلها معجمًا مليئًا بالتهديد بسبب الحالة التاريخية التي كانت بين الاثنين من نزاع وحرب؛ وفي هذا يقول معاوية: "وهأنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفهم سيوف شامية، ورمح قحطانية..."^(١).

إنّ استخدام معاوية للجملة الاسمية في بداية هذا الاستشهاد يدلّ دلالة واضحة على اعتزازه بهذا الجمع الذي حوله، فهو سيسير إلى عليّ في جمع من المهاجرين والأنصار، وهذا الجمع ثابت في موقفه مع معاوية؛ لذلك استخدم الجملة الاسمية، وإنّ في استخدامه للجملة الفعلية بعد ذلك دلالة على أنّ هذا الجمع في ثباته يضربون بسيوف شامية ويطعنون برماح قحطانية ضربًا متجددًا لا يتوقف حتى ينتصروا أو يستشهدوا، وهذا ما دلّت عليه رسالة أخرى من معاوية^(٢).

ولم تكن حُجَّةُ العصا الغليظة مقتصرة على رسائل معاوية بل إنّ في رسائل الإمام عليّ استخدامًا كثيرًا لهذه الحجّة وفيها استثمار لصورة القائل قبل الخطاب؛ إذ يقول الإمام عليّ في رده على معاوية: "...وعندي السيف الذي أعصضته بجذك وخالك وأخيك في مقام واحد"^(٣)، وفي هذا الجزء من الرسالة استثمار واضح لصورة القائل قبل الخطاب، فالإمام عليّ في هذا النصّ يُذكر معاوية بفعل سيفه في حروبه مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ كان سيفه ثابتًا عنده -وما زال- وهو السيف الذي أعصضه بجده وخاله وأبيه في مقام واحد، وفي ذكر هذا الموقف دلالة على أنّه كان وما زال محاربًا ثابتًا على مبادئه، وهذا الأمر يؤيّد رُأْيَ آخرٍ لعليّ

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٨.

٢- يقول، "لأطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى تقتلهم، أو تلحق أرواحنا بالله"، نفسه، ج ١، ص ٣٨٥.

٣- نفسه، ج ١، ص ٣٧٠.

على معاوية إذ يقول: "... وأنا صاحبُهم في تلك المَواطن، الصَّالي بحربهم، القائلُ لِحدِّهم، والقاتلُ لِرءوسهم..."^(١)، ويَجِدُ القارئُ أنَّ الابتداءَ بِاسمِ ثَمَّ الإخبارَ عنه ووصفَهُ بِجُمْلٍ اسميَّةٍ يدلُّ على أَنَّهُ لم يَكُنْ مُضْطَرِّبًا عندما صَلَّى بِحربهم وفلَّ حدَّهم وقَتَلَ رءوسَهُم.

وبمُعْجَمِ التَّهْدِيدِ نَفْسِهِ والألفاظِ ذاتِها تقريبًا يُراوِجُ الإمامُ عليٌّ بينَ الجملةِ الاسميَّةِ والفعليةِ دلالةً على ثَبَاتِ صِفَاتٍ وَحَرَكَاتٍ أُخْرَى في نَصِّ وَرَدَ في المدونة^(٢)؛ فَبَعْدَ اسْتِخْدَامِهِ جُمْلَةً اسميَّةً أَخْبَرَ بها عن تاريخِهِ عَصْدَهَا بِجُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ دَلَّتْ على تَجَدُّدِ قُوَّةِ القلبِ الَّتِي كانتَ لديه يومَ بدرٍ، ونحنُ إذْ نَسْتَبْعِدُ صدورَ هذه اللغةِ من الإمامِ عليٍّ؛ وَلَكِنَّا نعالِجُها هُنَا معالِجَةً إيتوسيةً لورودها في مدونة البحث واعتمادِ جامع المدونة على بعض الكتب التراثية.

وفي مَفْتَحِ إحدى رسائلهِ أوردَ معاويةَ عبارة: "من معاويةَ بنِ صخرٍ إلى عليٍّ بنِ أبي طالبٍ"^(٣) الَّتِي تَشِي بِقُوَّتِهِ وترسُمُ له صورةَ الرَّجُلِ الَّذِي يُلَوِّحُ بِقُوَّتِهِ أمامَ خصمِهِ، "فكأنَّ هذا إيدانًا (كذا!) بقبولِ حربٍ، أو صعوبةٍ استمالةٍ، أو دوامِ مقاومةٍ، وعدمِ ترحُّزٍ عن موقفٍ"^(٤).

وهكذا، رَاوَحَ مُعاويةُ كذلك في مراسلاتِهِ مع عليٍّ بينَ الجملةِ الاسميَّةِ والفعليةِ، ويدلُّ النَّصُّ الآتي على أَنَّ مُعاويةَ مُجِدٌّ في النَّارِ للخليفةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ، وَلَنْ يَأْلُوَ جَهْدًا في طلبِ قاتليهِ وهو يوظِّفُ صورَتَهُ طالِبًا للحَقِّ حتَّى يَنْتَصِرَ أو تَلَحَّقَ رُوحُهُ بالله؛ يقولُ معاوية: "والَّذي نفسُ مُعاويةَ بيده: لأُطْلِبَنَّ قَتْلَةَ عُثْمَانَ في الجبالِ والرِّمالِ والبرِّ والبحرِ حتَّى نَقْتُلَهُم، أو تَلَحَّقَ أرواحُنَا بالله"^(٥).

٢ - الحِجَاجُ بِكَرِيمِ الْقِيَمِ:

يُسَكِّلُ ذِكْرُ الْقِيَمِ عِمَادَ الحِجَاجِ بِصورةِ القائلِ، وهذه الفضائلُ بِطَبِيعَةِ الحالِ ستَكُونُ خارجَ خِطَابِيَّةٍ؛ أي أَنَّها تَكُونُ من فضائلِ القائلِ قبلَ الخِطَابِ، وهذا النوعُ من الحِجَاجِ يوجَدُ بوضوحٍ في خطاباتِ ورسائلِ الإمامِ عليٍّ للاستدلالِ على حَقْوِهِ، وفي الرِّسائِلِ المتبادلةِ بيْنَهُ وبين معاويةَ

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٧٢.

٢- انظر: نفسه، ص ٣٧٧.

٣- نفسه، ص ٣٥١.

٤- بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، ص ٥٦٠.

٥- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٨٥.

على وجه الخصوص حضور لافت لهذا النوع من الحجاج الذي يحتاج في انبثاقه إلى ما يُطَلَق عليه "الاتفاق المسبق"^(١) هذا الاتفاق يكون بين المرسل والمتلقي الخاص، وليس بينه وبين المتلقي الكوني، وهو -أي الاتفاق المسبق- يُشكّل نقطة ارتكاز مقبولة سلفاً لدى المتلقي ينطلق منها المرسل في بناء حجاجه، ولا يخفى -تاريخياً^(٢)- أن معاوية لا يُنكر صورة عليّ وفضائله التي يُحاج بها في رسائله وخطبه كذلك.

يرد الإمام عليّ على رسالة لمعاوية يذكر فيها فضائل أهل البيت: "إن محمداً صلى الله عليه وآله لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له، كنّا أهل البيت أول من آمن به، وصدّقه فيما جاء، فبنّا أحوالاً كاملة محرمة تامّة، وما يعبد الله في ربح ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبيّنا..."^(٣)، في هذا النص يتكئ الإمام في حجاجه على حقيقة لا يُنكرها أحد؛ وهي دعوة النبيّ إلى الإيمان بالله؛ إذ إن ذكر هذا الخبر في النصّ معروف للقاصي والداني، ولا يُنكره أحد وبخاصّة من آمن برسالتِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن لتوظيف هذا الخبر بُعداً حجاجياً قوياً، فقد أكّده الإمام وكأنّه يُحاوِر مُنكراً لهذه النبوة^(٤)، ولكن الأمر أبعد من ذلك، فهو لا يريد إثبات نبوته المُتَقَق عليها، بل يروم أن يُوطّر مُحاجّته بهذه الحجّة ليصل إلى الحديث عن فضائله انطلاقاً من هذه الفضيلة، ليصل إلى حقيقة أخرى؛ فقد كانوا هم أول من آمن به وأول من عبّد الله بدين الإسلام في أرض العرب، ليصل إلى الجملة "فأراد قومنا قتل نبيّنا.." التي تُوكّد جدّ القوم في قتل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتوظيف بعثة النبيّ لم يكن توظيفاً لا طائل منه، وأيضاً في توظيف ضمائر المتكلم في قوله "قومنا" وقوله "نبيّنا" فهو تارة يُعرّض بقومه وتارة أخرى يفخر بنسبة نفسه إلى النبيّ، وهو بهذا يُمازج بين مَسَلَكَي "الإيتوس" و"الباتوس" الذي سيُبحث لاحقاً إن شاء الله تعالى.

إنّ قضية "الاتفاق المسبق" المذكورة أعلاه تُشكّل رافداً من روافد الحجاج في أيّ خطاب، وهي تعتمد على حقائق مقبولة سلفاً، وفي هذا يقول الإمام عليّ في ردّ على رسالة معاوية: "وأراد من لو شئتُ ذكرتُ اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ صلى الله عليه وآله غير مرّة، إلّا

١- انظر: الحجاج في التواصل، ص ٧٣-٧٩.

٢- مثال ذلك قول معاوية، "... فأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعك من قريش فلسّ أدفعه"، جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٨٦-٣٨٧.

٤- للاستزادة يمكن الرجوع لكتب البلاغة، انظر: السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٥٧-٦٠.

أَنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنْيَتُهُ أُجِّلَتْ...^(١)، ففي سياقِ هذا الاستشهاد يذكُر الإمامُ عليٌّ عُيُودَ والحمزةَ وزيدا وجعفرًا ثُمَّ يُعَرِّضُ بِذِكْرِ اسْمِهِ وَلَا يَذْكُرُهُ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ الَّتِي نَالَهَا سَابِقُوهُ، وَإِنَّ فِي ذِكْرِ الإمامِ لهؤلاءِ الأشخاصِ رَغْبَةً فِي الانطلاقِ مِنْ نَقْطَةِ ارْتِكَازٍ مُتَقَيِّ عَلَيْهَا قَبْلًا لِيَصِلَ إِلَى نَفْسِهِ الْمُرِيدَةِ لِلشَّهَادَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ حَتَّى يَكُونَ لِذَلِكَ أَثَرٌ أْبْلَغُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي.

وقد تُشَكِّلُ مُفْتَتِحَاتُ الرِّسَائِلِ فُضَائِلَ خَفِيَّةٍ يَنْكِيُّ عَلَيْهَا الْمُرْسِلُ لَغَرَضٍ إِقْنَاعِ الْمُتَلَقِّي وَالتَّأثيرِ فِيهِ، فَقَدْ افْتَتَحَ الإمامُ عليٌّ عِدَّةً مِنْ رِسَائِلِهِ^(٢) بِعِبَارَةٍ "مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى (فُلَانٍ)"، "مُتَأَثِّرًا فِي ذَلِكَ بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الَّذِي زَادَ قَبْلَ اسْمِهِ فَكُتِبَ "مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَمْرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ". إِذْ أَرَادَ أَنْ يُؤَكِّدَ أَحَقِّيَّتَهُ بِالْإِمَارَةِ... وَكَذَلِكَ اسْتَلْهَمَهُ لِمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ عُمُرُ وَهُوَ إِعْلَانُ الْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَمَنْ ثُمَّ تَخَضَعُ نَفْسُهُ لِلَّهِ فَلَا تَتَعَالَى عَلَى الرِّعْيَةِ"^(٣) وقد اسْتَخْدَمَ الإمامُ هَذَا الْأَسْلُوبَ فِي رِسَائِلِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَإِلَى غَيْرِهِ، وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ نَرَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَخْدَمَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ فِي رِسَائِلِهِ^(٤)، وَاسْتَخْدَمَ عِبَارَةَ "مَنْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.." "لِيُثَبِّتَ فَرْدِيَّتَهُ فِي الْأُمَّةِ"^(٥)، عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَسْلُوبَ مُوجُودٌ كَذَلِكَ فِي الرِّسَائِلِ الَّتِي وُجِّهَتْ لِعَلِيٍّ مِنْ غَيْرِ مُعَاوِيَةَ، وَهِيَ تَكُونُ فِي حِجَابِهَا كَسَابِقَاتِهَا مِنْ رِسَائِلِ عَلِيٍّ أَوْ رِسَائِلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ إِعْلَانٍ لِلْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ وَتَوَاضُعٍ لِلْمُخَاطَبِ.

وَفِي هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتِ نَرَى كَيْفَ يَبْدَأُ عَلِيٌّ خِطَابَهُ وَكَيْفَ يَبْدَأُ مُعَاوِيَةُ خِطَابَهُ؛ إِذْ يَبْدَأُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ: مَنْ (عَلِيٍّ) إِلَى (مُعَاوِيَةَ)، وَمُعَاوِيَةُ يَبْدَأُ بِقَوْلِهِ: مَنْ (مُعَاوِيَةَ) إِلَى (عَلِيٍّ)؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرَى اسْتِحْقَاقَهُ لِلتَّقْدِيمِ دُونَ صَاحِبِهِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ ابْنُ وَهْبٍ فِي كِتَابِ الْبَرَهَانِ فِي وَجْهِ الْبَيَانِ إِذْ قَالَ: "... تَبْدَأُ فِي الْكِتَابِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِاسْمِهِ، فَيَقَالُ: مَنْ عَبْدُ اللَّهِ فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ"^(٦).

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٨٨-٣٨٩.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٨، ص ٣٧١، ص ٣٨٠، ص ٣٨٥، ص ٤٠٥، ص ٤١٧، ص ٤٢٤، ص ٤٢٨، ص ٤٤٢، ص ٤٨٣، ص ٤٩٠، ص ٥٠٦، ص ٥٢١، وغيرها من الرسائل والكتب.

٣- بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، ص ٥٦٠.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٩٠، ص ٤١٦.

٥- بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، ص ٥٦٠.

٦- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٧٥.

ثانيًا: الأساليب البلاغية حُجَّة لفضائل القائل:

شَكَّلَت البلاغة العربية للباحثين ميدانًا خصبًا ليصولوا فيها ويجولوا؛ فَأَلْفَت فيها كُتُبٌ وَأُعِدَّت بحوثٌ منذُ أن بزغ نجمُها، ولمَّا أُعيدت نظريَّةُ الحجاجِ إلى السَّاحةِ بعدَ تغييبِ كُلِّيٍّ أو جُزئيٍّ كانَ للبلاغةِ العربيةِ دورٌ كبيرٌ في رَفْدِ هذه النظريَّةِ بالأساليب البلاغيةِ، فلمْ تُعَدْ تُدرَسُ البلاغةُ العربيةُ لمُجَرِّدِ التَّزيينِ والتَّحسينِ، وإنَّما صارت تُدرَسُ من خلالِ الجانبِ الإقناعيِّ والتَّأثيريِّ؛ فدرَسَ التَّشبيهُ والتَّمثيلُ وغيرها من الأساليب البلاغيةِ دراسةً حجاجيةً وأُطْلِقَت الطَّاقةُ الحجاجيةُ الخفيةُ الكامنةُ في هذه الأساليب فصارت بها أقوى وأجملَ وأبهى، على أنَّ لعلماءِ البلاغةِ آراءً ونظراتٍ تُصَبُّ في عُمقِ النظريَّةِ الحجاجيةِ ولكنها كانت آراءً مبثوثةً ومتفرقةً في تضاعيفِ الكتب؛ وعلى سبيلِ المثالِ يقول عبد القاهر الجرجانيُّ في التَّمثيلِ إذا جاء في أعقابِ المعاني: "سَبَّ من نارِها، وضاعَفَ قُواها في تحريكِ النفوسِ لها، ودعا القلوبَ إليها، واستنارَ لها من أقاصي الأفقَدَةِ صِباةً وكَلَفًا"^(١) وهذا التَّمثيلُ "إن كانَ حجاجًا، كانَ برهانه أنورَ، وسلطانه أقهرَ، وبيانه أبهرَ"^(٢)؛ وسندُ الحديثِ عن التَّمثيلِ وحجاجيةِ الصُّورةِ البلاغيةِ في هذا المبحثِ إلى أن يكونَ الحديثُ عن الاستعارةِ في مبحثٍ آخرَ لتعلُّقها بالقياسِ وبالحجَّةِ العقليةِ، وسيقتصرُ الحديثُ في هذا الفصلِ عن بعضِ الأساليب البلاغيةِ، على أنَّ ما رُصِدَ هنا يُعَدُّ نماذجَ لهذا النوعِ من استراتيجياتِ الحجاجِ وكيف وُظِّفَت "إيتوسيًا" في مدونةِ البحثِ.

بدايَةً نتحدَّثُ عن الكنايةِ والتي تُعرَّفُ على أنَّها "لفظٌ أُطلقَ وأريدَ به لازمُ معناه، مع قرينةٍ لا تمنعُ من إرادةِ المعنى الأصليِّ"^(٣) ولهذا اللفظِ طاقةٌ حجاجيةٌ إذا استُخدِمَ في موردِ الإقناعِ أو التأثيرِ، ولعلَّ في استشهدائنا برِدِّ معاويةَ على رسالةِ للإمامِ عليٍّ دليلًا واضحًا على حجاجيةِ الكنايةِ، إذ وَرَدَ كتابُ معاويةَ من عليٍّ يطلبُ منه البيعةَ فردَّ معاويةَ:

[الخفيف]

ليسَ بيني وبينَ قيسٍ عِتَابٌ غيرُ طَعْنِ الكَلَى وضَرْبِ الرِّقَابِ"^(٤)

١- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الجرجانيُّ النحويُّ، أسرار البلاغة، قرأه وعلَّق عليه، محمود محمَّد شاكر، دار المدني، جَدَّة، الطَّبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ١١٥.

٢- نفسه.

٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٩.

إنَّ مُعَاوِيَةَ يُكَيِّ هُنَا بِالْحَرْبِ، فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ حُجَّةِ الْعَصَا الْغَلِيظَةِ، وَعِلَاقَةُ هَذِهِ الْحُجَّةِ بِفَضَائِلِ الْقَائِلِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ؛ إِذْ إِنَّ مُعَاوِيَةَ يَصْنَعُ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ لِنَفْسِهِ صُورَةَ الْمُحَارِبِ الَّذِي لَا يَهَابُ، وَهُوَ يُعِدُّ جَيْشًا لَا يَرْضَى بِغَيْرِ طَعْنِ الْكَلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ يَجِبُ أَنْ تُقْلَى فِي رُوعِ الْمَقْصُودِ بِهَا رُعبًا، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا كُنَّيْتَ زِدْتَ فِي إِثْبَاتِ الْمَعْنَى لَا فِي ذَاتِهِ "فَجَعَلْتَهُ أَبْلَغَ وَآكَدَ وَأَشَدَّ"^(١)، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ قَبِيلِ اسْتِهْدَافِ عَوَاطِفِ الْمُتَلَقِّي.

أَمَّا الْجَانِبُ الْآخَرُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُنْظَرَ فِي الْبَيْتِ مِنْ خِلَالِهِ فَهُوَ الْإِيجَازُ الَّذِي هُوَ "جَمْعُ الْمَعَانِي الْمَتَكَاثِرَةِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَلِيلِ الْوَافِي بِالْغَرَضِ مَعَ الْإِبَانَةِ وَالْإِفْصَاحِ"^(٢)، وَقَدْ جَمَعَ هَذَا الْبَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَوْدِي غَرَضَ التَّأْثِيرِ فِي الْمُتَلَقِّي؛ إِذْ يَجْمَعُ هَذَا الْبَيْتُ بَيْنَ صُورَةِ مُعَاوِيَةَ وَاسْتِعْدَادِ جَيْشِهِ وَبَيِّنَ رَأْيَهُ فِي عَلَيٍّ وَعَدَمِ مُبَايَعَتِهِ لَهُ.

وَكَمَا أَنَّ لِلْإِيجَازِ طَاقَةً حِجَاجِيَّةً كَامِنَةً فَإِنَّ لِلْإِطْنَابِ -الَّذِي هُوَ "تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ زَائِدَةٍ عَنْ مُتَعَارِفِ الْأَوْسَاطِ لِفَائِدَةٍ تَقْوِيَّتِهِ وَتَوْكِيدِهِ"^(٣)- الطَّاقَةَ نَفْسَهَا، وَمِنْ الْإِطْنَابِ قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ: "رَعِمَتْ أَنْتَ إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَيْكَ بَيْعَتِي خَفْرِي بَعَثْمَانِ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَوْرَدْتُ كَمَا أَوْرَدُوا، وَأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ، وَلَا لِيُضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى، وَمَا أَمَرْتُ فَلَزِمْتَنِي خَطِيئَةُ الْأَمْرِ، وَلَا قَتَلْتُ فَأَخَافُ عَلَى نَفْسِي قِصَاصَ الْقَاتِلِ"^(٤).

يُسَكِّلُ الْإِطْنَابُ حُجَّةً قَوِيَّةً، فَهُوَ "أَرْجَحُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ مِنَ الْإِيجَازِ، وَحُجَّتُهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُنْطِقَ إِنَّمَا هُوَ الْبَيَانُ، وَالْبَيَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِشْبَاعِ، وَالشَّفَاءُ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالْإِقْنَاعِ"^(٥)، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي هَذَا النَّصِّ، فَقَدْ أَطْنَبَ الْإِمَامُ مُتَمِّمًا الْفَائِدَةَ^(٦) بِقَوْلِهِ: "أَوْرَدْتُ كَمَا أَوْرَدُوا، وَأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا"، فَفِي ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حُسْنٌ وَتَتَمِّيمٌ لِّلْفَائِدَةِ، إِذْ إِنَّ الْإِمَامَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَمَا فَعَلَهُ الْمُهَاجِرُونَ يَفْعَلُهُ، وَقَدْ زَادَتْ الْمَعْنَى حُسْنًا لِأَنَّ فِيهَا اسْتِعَارَةً أَيْضًا.

١- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م، ص ٧١.

٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص ١٩٧.

٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص ٢٠١.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

٥- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص ٢٠٦.

٦- التتيم، زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مُبْتَدَلاً. انظر: جواهر البلاغة، ص ٢٠٥.

كما أنَّ في قوله "وَلَعَمْرِي ما كنتُ إلَّا رجلًا من المهاجرين" قَصْرًا^(١) (إيتوسيًا) يوظِّفه الإمامُ لتثبيتِ صورتهِ قَبْلَ الخِطابِ بأنَّه من المهاجرين الَّذِينَ هم من أوائلِ المسلمين، وهو أولُّهم كما في التَّاريخ الإسلامي، والغرضُ من هذا أن يُدْعِنَ المتلقِّي لهذه الفضيلةِ ويقتنِعَ بها حُجَّةً لما يأتي بعدها.

كما أنَّ الإطنابَ بالاعتراض^(٢) موجودٌ في رسالةِ أرسلها الإمام عليّ إلى طلحةَ والزَّبير لما تعبأ القومُ للقتال؛ قال: "أما بعدُ: فقد علمتُما -وإنْ كَتَمْتُما- أنَّي لم أُرِدِ النَّاسَ حتَّى أرادوني، ولم أبايعهم حتَّى بايعوني، وإنَّكما لمِمنَّ أرادني وبايعني"^(٣)، إذ اعتَرَضَتْ كلامه جملةٌ "وإنْ كَتَمْتُما" يُريدُ بها أن يُهَوِّلَ أمرَ هذا الكِتمانِ لِيُذَكِّرَهم بفضائله في الاتِّفاقِ عليه مِنْ قِبَلِ النَّاسِ.

ولا بأسَ بإيجازِ ما وَرَدَ في هذا المبحثِ، إذ تناولنا فيه مسألةَ استثمارِ (الإيتوس) لُغويًّا من خلالِ الاستعانةِ بالمنجَزِ النُّحويِّ في قضيةِ المراوِخةِ بين الجملةِ الاسميَّةِ والفعليةِ، وبالمنجَزِ البلاغيِّ من خلالِ استثمارِ الأساليبِ البلاغيَّةِ حُجَّةً لفضائلِ القائل، وكيف استثمارها المتراسلون في مكاتباتهم، وسيأتي الحديث في المبحثِ التَّالي حولَ تعضيدِ فضائلِ القائل بالحججِ العاطفيَّةِ وبالحججِ العقليَّةِ.

١- القصر، تخصيص أمرٍ بآخرٍ بطريقٍ مخصوص. انظر: جواهر البلاغة، ص ١٦٥.

٢- انظر: جواهر البلاغة، ص ٢٠٣.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٢.

المبحث الثاني: تعضيد الإيتوس باللوغوس والباتوس

يقول بوفون: "لا وجود للوجوس مقنع من دون إيتوس مؤثر"^(١) وكذلك "يقرّر اللسانيون المهتمون بنظرية التلقظ أنه يصعب بل يستحيل في الخطاب الفصل بين أنا والآخر (المخاطب)، فعندما نقول "أنا"، نقول اقتضاءً "أنت"، أي أنه في الخطاب الجاجي يستحيل التمييز بين الإيتوس والباتوس"^(٢)؛ وقد تبين أنّ لحجّة الإيتوس حضورين؛ الأول: الإيتوس الجاهز وهو ما يصعب بل يستحيل الفصل فيه بين الإيتوس والباتوس، والثاني: الإيتوس الخطابي؛ وهو ما يصعب فيه الفصل بين الإيتوس واللوغوس، وقد بينّ أرسطو ثلاثة أمورٍ ينبغي للخطيب أن يتحلّى بها ليحدث الإقناع وهي اللبّ والفضيلة والبرّ، وقد عبّر عن أنّ الخطباء إذا فقدوا اللبّ كانت ظنونهم فاسدة وآراؤهم غير سديدة^(٣)، وهذا اللبّ الذي يتحدّث عنه أرسطو هو من صميم حجّة العبارة (اللوغوس)، أمّا الفضيلة فهي (الإيتوس الجاهز)، والبرّ هو من صميم الحديث عن (الباتوس) من حيث التأثير في المتلقين.

وبناءً على هذا التّصور قسّم (باتريك شارودو) الإيتوس إلى صنفين^(٤)؛ صنف يتعلّق بصورة الذات بحيث يظهر الخطيب الجديّة والفضيلة والكفاءة ليحقّق شروط الصدق في القول والإنجاز والوفاء بالوعد والنّجاعة في التأثير الإيجابي لما أنجزه، وهو صنف يُحيل إلى العقل (اللوغوس).

أمّا الصنف الثاني فهو الصنف الذي ينبني على إغراء السّامع من خلال صور ترتكز على الوجدان الاجتماعيّ، وهذه الصّور تُعطي المرسل تأثيراً في عواطف المتلقين (الباتوس). ووفق هذا التّصور، لا بدّ أن تكون مدوّنة الباحث واجدةً للإيتوس المعصّد بالمسلّكين الآخرين، وهو ما سيحاول أن يرصده هذا المبحث.

١- نقلاً عن: في بلاغة الحجاج، ص ١٦٩.

٢- أحمد الوظيفي، الحجاج بالإيتوس في شعر النّسيب، نونية ابن زيدون نموذجاً، ضمن كتاب التّحليل الجاجي للخطاب، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م. ص ٥٩٩.

٣- انظر: الخطابة، ترجمة بدوي، ص ١٠٣، وقد ترجمها عبد القادر قنيني بقوله، "الفتنة، والفضيلة، والإحسان"، انظر: أرسطو، الخطابة، ترجمة، عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨م، ص ٨٨.

٤- نقلاً عن: في بلاغة الحجاج، ص ١٨٥-١٨٦.

أولاً: حجة العبارة إيتوسياً:

حجة العبارة -كما تبين- هي الحجة العقلية، وقد استثمرها المتراسلون في تدعيم صورة الذات وفضائلها، وسنحاول هنا أن نرصد المواضع التي استثمر فيها المتراسلون هذه الحجة لهذا الغرض، وكيف استخدموا القياس؟ هل استخدموه كما يستخدمه المناطقة؟ أم أن لهم استخداماً آخر غير ذلك؟

والجواب: نحن لا نعني بالقياس هنا القياس المنطقي الذي يقوم على مقدمات منطقية تُدعم النتائج المختلفة؛ لأن مقام الرسائل -وإن كان من الأدب المكتوب- يجنح غالباً إلى الاختصار شأنه في ذلك شأن الأدب الشفاهي كالخطب مثلاً؛ ولعل السبب في هذا هو أن الكتب والرسائل عادة ما ترمي إلى التأثير السريع وتبغى الرد المباشر، والقياس المنطقي الحاد المعتمد على المقدمات والتحليل المنطقي لا يناسب هذا النوع من النصوص، والحجاج في هذه النصوص يكون "حجاجاً مختزلاً بعيداً عن الإطالة"^(١)، وعلى هذا تتبنى نصوص المدونة ميدان البحث؛ إذ يكون القياس فيها معتمداً على المقارنات أو الحجج السببية.

١ - الحجج المقارنة:

هي ذلك النوع من الحجج التي تنتمي إلى الحجج شبه المنطقية، وتحتج لشخص أو رأي أو فكر باعتماد أفضليته على مقابله^(٢)، وهذه المقارنات هي من صميم اعتماد اللوغوس داعماً للإيتوس، وهذا ما نراه في قول معاوية رداً على الإمام علي: "ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك ولم أبايغك، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام"^(٣)، إذ يستثمر المرسل حالة طلحة والزبير ليبين أن لا حجة لعل عليه، فهو هنا يقارن بين عدم مبايعته علياً قبل وعدم إطاعة أهل الشام علياً كذلك، وبين ما كان من أمر طلحة والزبير وأهل البصرة الذين حاربوا علياً، هذه المقارنة تُخفي في طياتها أفضلية حالة معاوية على حالة طلحة والزبير، وتستبطن أيضاً مقارنة

١- سامية الزبيدي، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ١٢٢.

٢- انظر: نفسه، ٢٠٠٩م، ص ١٢٣، وانظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٦٩-٧٠.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

بين معاوية وبين طلحة والزبير اللذين كانا من خُصَص أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

النص السابق ردُّ من معاوية على كتابٍ لعلِّي يمتلئ بالمقارنات التي تدعم فكرةً وتدحض أخرى وذلك لحث معاوية على البيعة له؛ يقول علي: "أما بعدُ فإنَّ بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشَّام، لأنَّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكرٍ وعمرَ وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشَّاهد أن يختارَ ولا للغائب أن يرُدَّ، وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجلٍ وسمَّوه إمامًا كان ذلك لله رِضًا"^(١).

فالإمام هنا يعقدُ مقارنةً بين بيعته في المدينة وبيعة الخلفاء قبله، إذ بايعه النَّاسُ على ما بايعوا عليه الخلفاء الرَّاشدين، هذه المقارنة تُعطي المرسلَ صورةً بهيَّةً في ذهن المتلقِّي؛ ذلك أنَّ وضعه أشبهَ وضعَ رجالٍ كانوا من خيرة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولمَّا كانت بيعته مشابهةً لتلكم البيعات وجبَ أن يُجاب إليها من المسلمين -شاهديهم وغائبهم- لأنَّ ذلك ما تراضى عليه المهاجرون والأنصار.

وفي الكتاب نفسه -إن صحَّت نسبته إلى الإمام- يُقارنُ مقارنةً خفيَّةً بين أربعة أطراف^(٢)، يُعالجُ فيها مسألة دخول المتلقِّي في دائرة من تحلُّ لهم الخلافة أو يُقبلون في الشورى، ويستبطنُ في المقارنة أنَّه هو نفسه من يحقُّ له الدخولُ في هذه الدائرة بعقد الإمامة عليه والخلافة له.

وهذا الأمرُ عينه الذي يرمي إليه الإمام في الردِّ التَّالي، فهو يستبطنُ ما يستبطنُ الأوَّل من عدم قبول الشورى من القرشيين في الشَّام لأنَّهم من الطُّلقاء وقبُولها من قريش الحجاز، وعليَّ منهم: "وأما قولك إنَّ أهلَ الشَّام هم حُكَّامُ أهلِ الحجاز، فهاتِ رجُلًا من قريش الشَّام يُقبلُ في الشورى أو تحلَّ له الخلافة، فإنَّ سمَّيتَ كذَّبَكَ المهاجرون والأنصار، ونحن نأتيكَ به من قريش الحجاز"^(٣).

ويقول عليُّ في مقارنةً صريحةً يستثمرها ليرفَع من فضائله وفضائل بني هاشم من خلال استثمار (الإيتوس الجاهز)، وذلك عندما ردَّ على معاوية الذي قارَنَ بدوره بين بني عبد مناف^(٤):

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠.

٢- انظر: نفسه، ص ٣٤١.

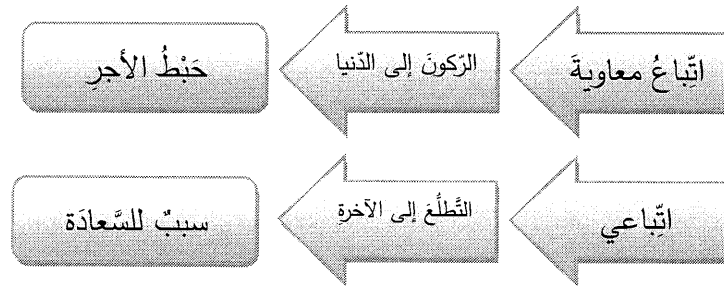
٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

٤- انظر: نفسه، ص ٢٦٦.

"أما بعد: فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمنًا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا"^(١).

٢ - الحجج السببية:

يمكن القول إن الحجج السببية هي ما تقوم على المقدمات والنتائج، ولكنها -كما أسلفنا- لا تحتاج إلى إعمالٍ حادٍ للفكر حتى تُحلَّ؛ وإنما هي من قبيل القياسات السهلة التحليل، وحضورها في مدونة البحث -وإن كان كثيرًا- فهو أقل من حضور الحجج المقارنة سالف الذكر، هذه الحجج يستثمرها المتراسلون ليرفعوا من شأن أنفسهم أو ليدفعوا عن أنفسهم التَّهم، ويمكن التمثيل لها بقول عليٍّ لعمر بن العاص: "أما بعد: فإن الدنيا مشغلة عن الآخرة، وصاحبها منهوَم عليها.... والسعيد مَنْ وُعِظَ بغيره، فلا تُحبِطُ أجرك أبا عبد الله..."^(٢)، يمكن تحليل هذا النص القصير ليؤدي إلى البنية المنطقية التالية:



إنَّ عليًّا في هذا النصَّ يحثُّ غمًّا على ترك معاوية الذي يُمثِّلُ في ذهن عليٍّ الدنيا التي يُحبِطُ الأجر بالركون إليها، ثمَّ يبني لنفسه صورةً مُقابِلَةً بأنَّ اتباعه يعني التَّطلع إلى الآخرة الذي هو سبب للسعادة، فهذه الحجَّة السببية ليست منبئيةً فقط على عرض مستويات السعادة وحبط الأجر؛ بل تبني في طياتها صورةً للمرسل تُبيِّنُ فضائله.

١ - نفسه، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٢ - جمهرة رسائل العرب، ص ٤٢٦.

يسعى عليّ في هذا النصّ -وغيره من النصوص- إلى بناء أنموذجٍ يُحاجُّ به مُتلقّيه، فالأنموذج هو "المثال الذي يظهر بمظهرٍ يستوجبُ تَقْلِيدَه" ^(١) وبناءً هذا الأنموذج بهذه الطريقة السببية يبيّن أنّ المرسل يرمي إلى كسب إذعان المتلقّي لتقليده والسير على خطاه.

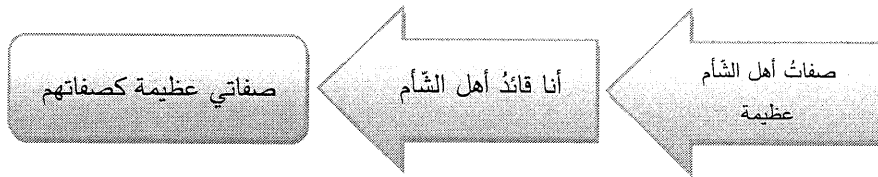
وفي كتابٍ لمعاوية بعثه إلى الإمام عليّ يقول: "... وإنّما تعرّف أُمْنِيَّتَكَ لو قد زُرْتُكَ في المهاجرين من أهل الشام بقيّة الإسلام، فيحيطون بك من ورائك..." ^(٢)، في هذا النصّ القصير يتضح لنا بشكلٍ جليّ عدم القدرة على الفصل بين المسالك الثلاثة للإقناع والتأثير، ولكن يمكننا أن نأخذ من النصّ ما نريد للأغراض المنهجية التي يقتضيها البحث.

في هذا المقتطف من الكتاب يُريد المرسل أن يرسم لنفسه صورةً من خلال الحجّة السببية التي يبنّيها في طيّات هذه الكلمات؛ فهو سيزوره وقد حفّ به أهل الشام الذين هم:

وبقيّة الإسلام

من المهاجرين

فزيارته إيّاه في جماعةٍ هذه صفاتهم ترسم صورةً له بأنّه قائدٌ لبقية المسلمين من المهاجرين، فهو بهذا يبني أنموذجاً لنفسه يُحاجُّ به من خلال البنية المنطقية التالية:



ثانيًا: العواطف والأهواء في فضائل القائل:

المعلوم أنّ مصطلح (الباتوس) الذي سيبحث في فصلٍ لاحق متعلّق باستهداف عواطف المتلقّي لغرض التأثير وزيادة درجة الإذعان، والمعلوم -أيضًا- أنّ النصوص الحجاجية تقوم على المسالك الثلاثة للإقناع، فهي بهذا المثلث تكون قوّة ومقنعة ومؤثرة.

في هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على قضية العواطف والأهواء من زاوية مختلفة هي: هل يمكن أن يكون لـ (هوى المرسل) دورٌ في بناء فضائله والتأثير في عواطف المتلقّي؟ وإن كان له دورٌ فكيف وُظِفَ هذا الأمر في مدونة البحث؟ وكيف بُنيَت الفضائل من خلال الأهواء؟

١- التعريف لأوليفي روبول، نقلًا عن: دراسات في الحجاج، ص ٦٢.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٤.

- أهواء المرسل المؤثرة في عواطف المتلقي:

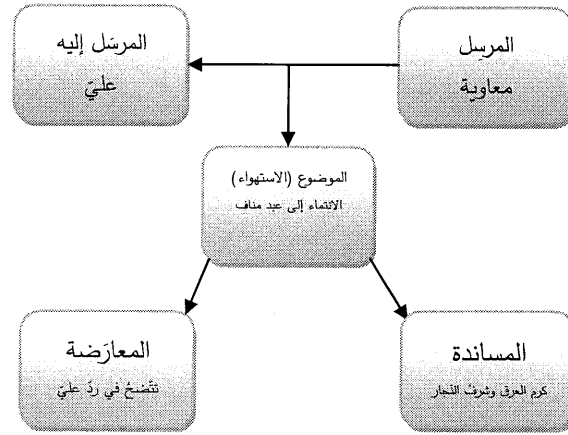
إنَّ للعواطف والأهواء أهميةً واضحةً في أيِّ خطاب، وعلى ذلك وضع أرسطو العواطف ضلعًا في أضلاع مثلث الإقناع، وفي هذا المبحث سنتطرق -كما أسلفنا- إلى هوى غير الهوى الذي عناه أرسطو، نقصدُ هوى المرسل وكيف يبني هذا الهوى الحجاج في المدونة، لأنَّ الهوى طاقة تدفع بالخطاب إلى غايته؛ "فالإنسان لا يفعل" فقط، إنه بالإضافة إلى ذلك يُصمِّن الفعل شحنةً انفعاليَّةً تحدّد درجة الكثافة التي يتحقّق من خلالها هذا الفعل"^(١)، ولأنَّ "كلَّ خطاب وبخاصّة إذا كان المتلقي في مواجهة المرسل، يصطبغ بمجموعة من الأهواء تتراوح بين التّحدي والإغراء أو الإقناع، وحتى الغضب"^(٢) وهذه بالضبط غايَةُ الحجاج التي تكمن في جعل العقول تدعُن لما يُطرح عليها^(٣)، ويمكننا القولُ إنَّه يجعل العواطف والأهواء أيضًا تدعُن لما يُطرح، على ذلك يمكننا القولُ إنَّ بين الحجاج وسيميائِ الأهواء نقاطَ اتّفاقٍ ونقاطَ اختلاف؛ أمّا الاتّفاق فيكمن في وجود مسألة الهوى في الحجاج وفي سيميائيات الأهواء كذلك، وأمّا الاختلاف فيكمن في كون الحجاج يستهدف (هوى المتلقي) وسيميائيات الأهواء تتعلّق بـ (هوى المرسل)، و"لا تحتاج العلاقة بين السيميائيات والحجاج إلى كثير من الجهد وبذل الحجة للتدليل عليها، من منطلق أنَّ السيميائيات هي "علم العلم" تتسع لكل العلوم التي تتوافر على نسق معرفي يقوم على أسس نظرية العلامات وفلسفتها إدراكيًا وتمثيليًا واستدلاليًا وتواصلًا"^(٤).

١- الانتماء وبناء الفضيلة: توضّحُ نظرية الأهواء أنَّ تأثير أهواء المرسل في عواطف المتلقي تحتاج إلى "الاستهواء" الذي هو "حركةٌ تشتمل على الانفتاح والانغلاق... إنَّه شيءٌ "يدفع

- ١- ألبير داس. ج. غريماس وجاك فونتينبي، سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة، سعيد بنگراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، مقدّمة المترجم ص ١٢.
- ٢- حسين خمري، هوى الخطاب، سيميائية التمشهد وبلاغة الذات، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٨١/٨٢، ربيع / صيف ٢٠١٢، ص ٥٢٦.
- ٣- انظر: الحجاج، أطُرُهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ص ٢٩٩.

٤- أحمد يوسف، السيميائيات والحجاج، مقارنة في المرتكزات الإبستمية، ضمن كتاب، الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف، حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ج ٢ / ص ٤٩، ويذكر في الصفحة ٥٣ أنَّ سيميائيات الأهواء متماهية مع الحجاج.

إلى.. و"يؤدي إلى.."^(١) فالاستهواء أمرٌ قبل الخطاب، لأنَّ التركيزَ في "سيمائيات الأهواء" على الكينونة لا على الفعل نفسه^(٢) إنَّ الاستهواء هو "البدايات الأولى للتركيب"^(٣) فالخطيب/المرسل يمتلك (إيتوساً) يُعدُّ تجلياً مُعقّداً للمواقف القيمية واستعدادات الجهة وتهيؤات الهوى^(٤)، ويمكن التّدليل لذلك بنصّ كتاب معاوية إلى الإمام عليّ: "أما بعد: فإنّ بني عبد مناف لم نزل من قليبٍ واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعضٍ فضل، ولا لقائنا على قاعدنا فخر... يجمعنا كرمُ العرق، ويحونا شرف النّجار..."^(٥)، إذ بهذه الكلمات يتبيّن لنا "هوى الفخر" الذي دفعه ليُغلي من شأنِ انتمائه إلى عبد مناف، هذا الهوى الذي (ينبغي) أن يؤدي إلى التأثير في عواطف عليّ لأنّه -أيضاً- ينتمي إلى عبد مناف، وهذا ما يُمكن أن يُطلق عليه في سيمائيات الأهواء بـ "سيمياء الانتماء"، ويمكننا الاستعانة بالترسيمة التي وضعتها بشار سعيدة في دراستها بعنوان: "سيمياء الانتماء في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد"^(٦) مع تعديل الترسّمة بما يُناسب النّصّ والمقاربة الحجاجية:



فالاستهواء في هذا النّص يُشكّل (إيتوساً جاهزاً) يدفع المرسل إلى بناء حجاجه بما يستهدف عاطفة (هوى) المتلقّي؛ إذ تُشكّل النّزعة القبليّة في الخطابات أمراً يستهدف صميم العاطفة، وهذا ما نراه في النّص المستشهد به من بدايته لنهايته.

١- سيمائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مقدّمة المترجم ص ١٧.

٢- انظر: نفسه.

٣- انظر: نفسه، ص ٨٢، وانظر: السيمائيات والحجاج، ص ٥٢-٥٣.

٤- انظر: السيمائيات والحجاج، مقارنة في المرتكزات الإبتيمية، ج ٢ / ص ٥٥-٥٦.

٥- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٦.

٦- بشار سعيدة، سيمياء الانتماء في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد، رسالة ماجستير، إشراف، أ.د. آمنة بلعلي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، دون تاريخ، ص ٩٦.

وهوى الانتماء بوصفه (إيتوساً جاهراً) يبني الفضيلة في كتاب عليّ إلى ابن عباس الذي يقول فيه: "أما بعد: فأني أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن من أهل بيتي رجلاً أوثق منك في نفسي، لمواساتي وموازرتي، وأداء الأمانة إليّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فنكت وشعرت، قلّبت لابن عمك ظهر المجن...^(١)، إذ يستهدف عليّ الحميّة الأسريّة والنزعة القبليّة عند المتلقّي، هذه النزعة المستهدفة بنى لها الإمام حجاجه من خلال صورة ابن العم الذي تُحاصره الأهوال من الزمان والناس، فالهوى الإيتوسي هو "هوى الاستعطاف" الذي يستهدف عاطفة القبيلة.

٢- **المعجم الهويّ وبناء الفضيلة:** يُشكّل المعجم في أيّ نصّ علامة تسم النصّ وتنسبه إلى حقّ من حقول الأدب، فإن كان النصّ غزليّاً فاص بالفاظ الحبّ والغزل، وإن كان حربياً ملأته ألفاظ الحرب والحماسة، وليست نصوص المدونة بدعاً من النصوص الأخرى، فهي تستدعي مُعجماً يُعصّد من كينونة انطلاقها ليكون لهذه الكينونة طاقة إقناعيّة^(٢)، وبناءً على هذه الدراسة التي تبحث في فضائل القائل فإننا سنرصد المواضع التي بُني فيها الحجاج من خلال "معجم الأهواء".

أ- **هوى البراءة:** تحدّثنا في التمهيد عن الظرف الحجاجي الذي اكتتف خلافة الإمام عليّ؛ فهو قد تسلّم أمور الخلافة في وقت عصيب من أيام صدر الإسلام بعد مقتل الخليفة الرّاشد عثمان بن عفّان واتّهام الإمام عليّ بالمشاركة في دمه، لذلك فقد انبرى الإمام لتقنيّد هذا الاتّهام ورفع راية البراءة من دم عثمان، هذا (الهوى) -نعني البراءة- شكّل مُعجماً في كثير من نصوص المدونة وابنّي ليرسم صورة المرسل البريء من هذا الاتّهام، على أنّ المعجم في هذه النصوص ليس مُعجماً للألفاظ فقط، وإنما هو معجم للألفاظ والأساليب، يقول عليّ في كتابه إلى طلحة والزبير: "وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٥١٧.

٢- الفعل الإقناعي في السيميائيات "شكل من أشكال الفعل المعرفي ومرتبّ بهيئة التلّفظ؛ يرتكز على استدعاء اللفظ لكل أنواع الكيفات التي ترمي إلى جعل الملفوظ له يقبل العقد التلّفظي المقترح وإلى أن يكون التلّيف فعلاً". رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص ١٣٧، و"الكيفات" يُقصدُ بها أنواع الملفوظات التي يمكن أن تُستعمل لغرض النصّ (التعريف بتصرف). انظر: ص ١٠٩-١١٥.

المدينة، ثم يُلزم كل امرئ بقدر ما احتَمَل^(١)، ويقول لمعاوية: "أما بعد: فإنَّ النَّاسَ قتلوا عثمانَ عن غيرِ مشورةٍ مِنِّي"^(٢)، ويقول له: "ولعمري يا معاوية لئن نظرتُ بعقلِكَ دونِ هواك، لتجدتني أبرأ النَّاسِ من دمِ عثمان، ولتعلَمَنَّ أَنِّي كنتُ في عزلةٍ منه"^(٣)، ويقول له كذلك: "رَعِمْتَ أَنتَ إِنَّمَا أَفسَدَ عليك بيعتي خُفري بعثمان... ولا قَتَلْتُ فأخافَ على نفسي قِصاصَ القاتِلِ"^(٤)، ويوجد غير هذه الأمثلة كثيرٌ ونلاحظُ فيها أنَّ الإمامَ عليًّا يُنَوِّعُ في المعجمِ الأسلوبِيِّ لهذا الهوى ليُكوِّنَ نصوصًا ذاتَ طاقةٍ حجاجيةٍ مؤثِّرةٍ تبني فضيلةَ البراءةِ من سفكِ الدِّمِ الحرامِ.

ب- هَوَى الفخر: الفخرُ يعني للعربيِّ شيئاً كثيراً، فالعربيُّ دائمُ الفخرِ بقبيلتِهِ وبِنَفْسِهِ ويعتزُّ بدينِهِ وبشهامتِهِ وبِكِرَمِهِ وحميدِ خِصالِهِ، فالفخرُ يُشكِّلُ كينونةً هَوِيَّةً تدفعُ بالحِجاجِ، ولا يخفى الاتِّصالُ القويُّ بينَ هذا الهوى وبين (الإيتوس)، لذا فقد امتلأت كثيرٌ من النصوصِ بهذا المعجم، وهو -كسابقه- مُعجَمٌ لفظيٌّ أسلوبِيٌّ.

في هذا المبحثِ تحدَّثنا حولَ جُعلِ حُجَّتِي (اللوغوس) و(الباتوس) مُعَصِّدَتَيْنِ لحجَّة (الإيتوس)، من خلالِ المقارَنةِ بينَ أمرين أو توظيفِ الحجَّةِ السَّببِيَّةِ بواسطةِ المرسلِ ليُصلِّحَ المتلقِّي إلى اقتناعٍ بفضائلِ المرسلِ، وكذلك من خلالِ استثمارِ هوى المرسلِ في بناءِ خطابه ليؤثِّرَ في نفسِ المتلقِّي، لننتقلَ بعدَ هذا المبحثِ إلى الحديثِ عن (إيتوس) الآخر وبناءِ الخطابِ.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٣.

٢- نفسه، ص ٣٣٩.

٣- نفسه، ص ٣٤١.

٤- نفسه، ص ٣٥٢.

المبحث الثالث: "إيتوس" الآخر وبناء الخطاب

في أي خطاب حجاجي يستعين المرسلُ بصورته ليدعم حُججه، وينبغي أن يبيّن المرسلُ هذه الصورة بما يُناسب غاية الحجاج في خطابه، على أن هذه الصورة قد لا تقي بمُتطلبات الحجاج، وبخاصّة في حال وجود مُتلقّ كوني؛ فالمُتلقّي الكوني قد لا يستهويه بناء فضائل المرسل أو قد لا تؤثر فيه هذه الفضائل، لذا يستعين المرسلُ بصورة الآخر، أو ما نسميه "إيتوس الآخر"، وهذا الإيتوس وإيتوس المرسل نفسه قد لا يفيان أساساً بمتطلبات الحجاج إذا لم يوجد ما أطلقنا عليه سابقاً "الاتفاق المُسبق"؛ فإن لم يوجد هذا الاتفاق وقّعنا في "المصادرة على المطلوب"، وهو مفهوم سكه بيرلمان في نظريته وهو يعني "في الحجاج أن يبيّن الخطيبُ حُججه على مقدّمات يتوهّم أن المستمع يتقاسم معه التسليم بها، في الوقت الذي تكون فيه هذه المقدّمات مُجادلاً فيها"^(١)، "فالخطيب الذي لا يأخذ بعين الاعتبار، في حُججه، مدى قبول مستمعه للمقدّمات التي ينطلق منها، يرتكب ما يعتبره بيرلمان أفضح خطأ في الحجاج، ألا وهو: المصادرة على المطلوب"^(٢)، فيُصبح لهذا الحجاج تأثير عكسي غير الذي أراده صاحبه، وبناءً على هذه المقدّمة المختصرة سنتحدّث عن أمرين في هذا المبحث؛ الأول: هو حجة (آدهومني) وسنفضّل القول في تعريفها وتوضيحها وبيان مواضعها في مدوّنة البحث، والثاني هو مسألة المصادرة على المطلوب التي سنحاول بيانها من خلال ضرب النصوص بعضها ببعض ومن خلال الوقائع التاريخية؛ فعلى ذلك سيكون لهذا المبحث منهجان يتداخلان مع منهج الحجاج؛ الأول هو منهج تحليل النصّ -كما في المباحث السابقة-، والثاني هو منهج الاستعانة بالأحداث التاريخية التي وقعت إبّان إرسال نصوص المدوّنة.

أولاً: حجة "آدهومني" (ad hominem):

إن حجة آدهومني باختصار هي "أن يلجأ الخطيب إلى إظهار خصمه في صورة سلبية تُقلّل من قدره وتُظهره في مظهر الشخص غير الجدير بالثقة"^(٣) وهذا النوع من أكثر أنواع الحُجج شيوعاً من خلال الهجوم غير المباشر، وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن هذه الحجة ليست

١- نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ٤٢.

٢- نفسه، ص ٤١.

٣- في بلاغة الحجاج، ص ١٩٤.

مُغَالِطَةً أو خَادِعَةً في كُلِّ الأحوال^(١)؛ وذلك لأنَّ الكتب الخاصَّة بالحِجاج عادةً ما تصنَّفها على أنَّها من الحِجاج المُغالِط^(٢)، وتُصنَّف هذه الحُججُ أيضًا -باعتبارها تستهدفُ شخصيَّة المخاطَب وتُستهدفُ مصداقيَّته- على أنَّها حُججٌ (إيتوسية)؛ لأنَّها تتعاملُ مع بعض السِّمات الشخصيّة للمتحدِّث^(٣)، ويعدُّها بيرلمان إجراءً حِجائياً مشروعاً وليست ضرباً من الحيلة كما يراها شوبنهاور^(٤)، وتوجد لهذه الحُجَّة عدَّة أشكالٍ نلخصها في الآتي^(٥):

١- حُجَّة آدهومنيُم المنطقيَّة: هذا الشَّكل الحِجائِيُّ يركِّز على مهاجمة الشَّخص بناءً على التَّنَاقُض الموجود بين قَبُولِهِ المقَدِّمات ورفضِهِ النُّتائج.

٢- حُجَّة آدهومنيُم الظَّرْفِيَّة أو حُجَّة (أنت كذلك): هي الحُجَّة الَّتِي تهاجم الشَّخص بناءً على تناقضٍ بين موقفِهِ المُعلَّن وبين سِمَةٍ في شخصيَّته أو سلوكِهِ.

٣- حُجَّة آدهومنيُم الشَّخصيَّة: وهي الحُجَّة الَّتِي تجعلُ الشَّخص هدفاً لِذاتِهِ بخلافِ الحُجَّتَيْن السَّابِقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تستهدفانِ نقضَ دعوى الشَّخص، ويرى بعض العلماء أنَّها حُجَّة مختزلة منهما.

وبناءً على هذا التَّقْسيم سننظرُ في نصوصِ المدوَّنة لرصدِ مواضع هذه الحُجَّة لتحليلِها وبيانِ الطَّاقة الحِجائِيَّة فيها، وهل هي مِنَ الحِجاجِ المُغالِط أم لا، لأنَّه قد تبيَّن في مقدِّمة المبحث أنَّ كثيرًا من كُتُب الحِجاج تُعرِّف حُجَّة آدهومنيُم على أنَّها من الحِجاجِ المُغالِط، ويمكنُ أنْ نُدَلِّل على صَحَّة هذا التعرِّيف بأُمثلةٍ من نصوصِ المدوَّنة، مع الإشارةِ إلى أنَّ هذه الصِّفَّة لا

١- انظر:

Christian Dahlma, David Reidha, Lena Wahlberg, **Fallacies in Ad Hominem Arguments**, COGENCY, Diego Portales University, Santiago, Chile, Vol. 3, N0. 2 (105-124), Summer 2011, pp 2-3.

٢- انظر على سبيل المثال:

Irving M. Copi, Carl Cohen, Kenneth McMahon, **Introduction to Logic**, Pearson Education Limited, Edinburgh, UK, Fourteenth Edition, 2014, p. 118.

٣- انظر:

Gabrijela Kišiček, **Ad hominem arguments in political discourse (An analysis of Croatian Parliamentary debate)**, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Zagreb, Croatia, p 2.

٤- انظر: في بلاغة الحجاج، ص ٢٠١.

٥- انظر: نفسه، ص ٢٠٧-٢٠٩.

يمكن أن تكون تعميماً على كل حُجَج آدهومينم؛ لأنها يمكن أن تكون من الحجاج المشروع كما صرَّح بيرلمان وغيره^(١).

ففي ردِّ معاوية على عليّ يستخدم حجة آدهومينم وذلك في قوله: "ولكنَّكَ أَعْرَيْتَ بدم عثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعَكَ الجاهل، وقوي بك الضَّعيف"^(٢)، وهذه حُجَّة آدهومينم شخصيّة؛ فقد جعل معاوية التَّهمة ملتصقةً بعليّ الذي طالما ما دَفَع هذه التَّهمة عن نفسه، فأراد معاوية أن يكتسب رضا المتلقّي الكونيّ باتِّهام عليّ بالإغراء بقتل الخليفة الرَّاشد عثمان، فعليّ بدفعه لهذه التَّهمة عن نفسه يُبيِّن أنَّها حُجَّة مُغالطة.

وفي رسالة إلى طلحة والزبير من الإمام عليّ يوجد نصٌّ مقتطف^(٣) وهو نصٌّ قد يكون من وضع السَّاخ مع وروده في مدونة البحث المعتمدة على المصادر التَّراثيّة، يبيِّن أنَّ عليّاً يستهدف إقناع طلحة والزبير من خلال تبين الخطأ الذي ارتكبه، وتنتمي هذه الحجة إلى حجة آدهومينم الظرفيّة التي تبين أنَّهما قد بايعاه ولكنَّ موقفهما المُعلن يخالف هذه البيعة، فهو استهدف إيتوس المتلقّي لغرض إقناعه.

وفي كتاب يوجِّهه لمعاوية ورد في المدونة^(٤)، نصٌّ منتمٍ إلى حجة آدهومينم المنطقيّة يوضِّح الإمام أنَّ معاوية لا تحلّ له الخلافة؛ ومثل المثال السابق استهدف إيتوس المتلقّي لغرض إقناعه ولعلّه أراد إقناع المتلقّي الكونيّ بعدم شرعيّة خلافة معاوية.

ويردُّ معاوية على الإمام برسالة له فيقول: "فأما شرفك في الإسلام، وقربتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعك من قريش فلسْتُ أدفعه"^(٥) في هذا النص لا يستهدف معاوية الخطأ من قدر مُتلقّيه؛ بل هو يُعلي من شأن هذا المتلقّي وذلك لغرض استهداف إيتوسه من جانب آخر، واتَّضح هذا الجانب من الرسالة نفسها باتِّهامه بإغراء المهاجرين وتخذيل الأنصار في مسألة قتل عثمان بن عفَّان.

١- صرَّح بذلك أيضاً آلان برينتون، انظر:

Alan Brinton, **A rhetorical view of the ad hominem**, Australasian Journal of Philosophy, Volume 63, March 1985 – Issue 1, pp 50–63.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

٣- نفسه، ص ٣٣٣.

٤- انظر: نفسه، ص ٣٤١.

٥- نفسه، ص ٣٥١.

ويستهدف عليّ شخصيّة معاوية برّده على رسالته فيقول: "فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصّر يهديه ولا قائد يُرشده، دعاه الهوى فأجابته، وقاده فأنبّعه"^(١)، فهذا النصّ الذي هاجم فيه عليّ كتاب معاوية لا يستهدف الكتاب وإنما يستهدف مهاجمة صاحب الكتاب؛ لأنّ معاوية في كتابه إلى عليّ حاول -كما تبين- أن يُعلي من شأن عليّ، فأراد عليّ أن يُبين للمتلقّي العام أنّ كتاب معاوية ليس كتاب حقّ، وإنما أراد بهذا المدح لعليّ أن يخطّ من شأنه من جانب آخر، ففطن عليّ للأمر وبينه في هذا الرّد.

وتكثرُ حُجّة آدهومنيوم في الرّسائل المتبادلة بين الإمام عليّ ومعاوية على وجه الخصوص؛ لأنّ ما بينهما من خصومةٍ سياسيّة تستدعي في الغالب إظهار إيتوس المخاطب بصورةٍ سلبية، وهذا يدلّ على أنّ أكثر استخدامات هذه الحجة هي في مجال الخطاب السياسيّ^(٢)، والرّسائل السياسيّة لم تكن فقط بين عليّ ومعاوية، بل كان لغير معاوية نصيب منها، فقد أرسل الإمام عليّ رسالةً إلى عمرو بن العاص افتتحها بذكر مفردات وردت في سورة الكوثر^(٣) ويمكن الرجوع إلى سبب نزول آيات هذه السّورة الكريمة^(٤) للوقوف على سبب إرسال هذا الكتاب إلى عمرو بن العاص، والنّاظر في مُفتّح هذه الرّسالة يرى أنّ عليّاً استهدف "إيتوس" متلقّيه استهدافاً ينتمي إلى حُجّة آدهومنيوم الشخصيّة فقد جعل الشّخص هدفاً لذاته، وهي كما تقدّم حُجّة مختزلة من حُجّتي آدهومنيوم المنطقيّة والطرفيّة.

ثانياً: الاتّفاق المُسبق والمصادرة على المطلوب:

تُشكّل المُقدّمات رافداً أساسياً في الحجاج العقليّ، بل هي من صميم عمليّة القياس في غير الحجاج كالجدل والبرهان والمنطق، ولأنّ المُقدّمات في الحجاج أمرٌ مهمّ فلا بدّ أن يختارها المرسلُ بعناية فائقة بحيث يكون المتلقّي مُسلماً بها، وإن لم يُوفّق المرسل في اختيار حُجّة/مقدّمة

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

٢- انظر:

- Fallacies in Ad Hominem Arguments, p1-2.

- Ad hominem arguments in political discourse (An analysis of Croatian Parliamentary debate).

٣- انظر: أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ الواحدي، أسباب النزول، تحقيق، ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٧٤٣-٧٤٤.

٤- انظر: جمهرة رسائل العرب، ص ٤٢٨.

مُسَلَّمٌ بِهَا فَيَكُونُ قَدْ وَقَعَ فِي الْمَصَادِرَةِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَيَعُدُّ أَرَسَطُو الْمَصَادِرَةِ عَلَى الْمَطْلُوبِ مُغَالَطَةً^(١)، بِمَعْنَى أَنَّ الْمُرْسِلَ يُخْطِئُ فِي الْاِسْتِدْلَالِ الْمُنْطَقِيِّ عِنْدَمَا يَسْتَخْدِمُ هَذِهِ التَّقْنِيَةَ وَيُغَالِطُ الْمُتَلَقِّيَ، وَلَكِنَّ بِيرْلَمَانَ يَرَى أَنَّ الْمَصَادِرَةَ عَلَى الْمَطْلُوبِ غَلَطٌ "يَكُونُ الْخَطِيبُ نَفْسَهُ ضَحِيَّةً لَهُ"^(٢).

مَسْأَلَةُ "الِاتِّفَاقِ الْمُسَبِّقِ" -كَمَا أَشْرْنَا سَابِقًا- تَكُونُ نَقْطَةً ارْتِكَازٍ يَنْطَلِقُ مِنْهَا الْحِجَاجُ، نَقْطَةً الْارْتِكَازِ هَذِهِ -الَّتِي هِيَ جَوْهَرُ الْحِجَاجِ^(٣)- تَكُونُ بَيْنَ الْمُرْسِلِ وَمُتَلَقِّ مُحَدَّدٍ؛ لِأَنَّ الْمُتَلَقِّيَ الْكَوْنِيَّ يَقُولُ أَنْ يَتَّفِقَ اتِّفَاقًا مُسَبِّقًا مَعَ الْمُرْسِلِ^(٤).

وَتَشْكَلُ الْمَدَوْنَةُ -بِمَا فِيهَا مِنْ رِسَائِلٍ سِيَاسِيَّةٍ- تَرَبُّعًا خَصَبَةً لِمَسْأَلَةِ الْمَصَادِرَةِ عَلَى الْمَطْلُوبِ؛ إِذْ يَتَرَاوَلُّ الْمُتَخَاصِمُونَ وَيَبْنُونَ حِجَاجَهُمْ بَآرَاءٍ قَدْ لَا تَكُونُ مَوْضِعَ اتِّفَاقٍ بَيْنَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقَدْ يَوْجَدُ بَيْنَ الْمُتَرَاوِلِّينَ اتِّفَاقٌ مُسَبِّقٌ عَلَى قَضِيَّةٍ مَا فَحِينُذٍ لَا يَقَعُ الْمُرْسِلُ فِي هَذَا الْخَطَأِ.

وَعَلَى هَذَا، سَنَرِصِدُ فِي الْمَدَوْنَةِ مَوَاضِعَ الْإِتِّفَاقِ الْمُسَبِّقِ عَلَى إِيْتُوسِ الْمُرْسِلِ وَالْمُتَلَقِّيِ، وَسَنَرِصِدُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْمَصَادِرَةُ عَلَى الْمَطْلُوبِ فِي مَسَلِّكِ الْإِيْتُوسِ نَفْسِهِ.

١ - الْإِتِّفَاقُ الْمُسَبِّقُ:

تَتَشَكَّلُ الْمَدَوْنَةُ مِنْ عَدَدٍ مِنَ الرِّسَائِلِ الْمُتَبَادِلَةِ، هَذِهِ الرِّسَائِلُ -كَمَا تَبَيَّنَ فِي التَّمْهِيدِ- كَانَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاصِرِيهِ، وَمُعَاصِرُوهُ كَانُوا مَنْقَسِمِينَ عَلَى عِدَّةِ فِرَائِطٍ؛ فَمِنْهُمْ أَنْصَارُهُ وَشِيعَتُهُ، وَمِنْهُمْ خَصْمُوهُ السِّيَاسِيِّونَ، وَمِنْهُمْ خَصْمُوهُ الْعَسْكَرِيُّونَ، وَلِذَا، فَإِنَّ مَسْأَلَةَ الْإِتِّفَاقِ الْمُسَبِّقِ عَلَى الْإِيْتُوسِ -فِي الْغَالِبِ- سَتَكُونُ مَوْجُودَةً فِي الرِّسَائِلِ بَيْنَ عَلِيٍّ وَأَنْصَارِهِ، وَلَكِنَّهَا سَتَكُونُ مَوْجُودَةً أَيْضًا بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ الرِّسَائِلِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ هَذَا الْإِتِّفَاقِ فِي بِنَاءِ أَيِّ حِجَاجٍ.

١- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٢٥، ١٢٧.

٢- نفسه، ص ١٢٨.

٣- السيميائيات والحجاج، مقارنة في المرتكزات الإبستمية، ج ٢ / ص ١٠٣.

٤- انظر: الحجاج في التواصل، ٧٣-٧٩، وفي بلاغة الحجاج، ص ١٥٢-١٥٣.

وأول شاهدٍ على الاتفاقِ المُسبقِ سيكونُ من كتابٍ بعثه عليٌّ إلى معاوية يقول فيه: "... وقد بلغك ما كان من قتلِ عثمانِ رحمه الله، وبيعةِ النَّاسِ عامَّةً إيَّايَ، ومصارِعِ النَّاكثين لي، فادخل فيما دَخَلَ النَّاسُ فيه، وإلا فأنا الَّذي عَزَفْتُ، وحولي من تعلَّمه، والسَّلام" (١).

هنا، استخدَمَ الإمامُ حقائقَ يعرفُها معاويةُ، هذه الحقائقُ هي فضائلُ عليٍّ سرَّدها للمتلقِّي الخاصِّ، فقد بايَعَهُ النَّاسُ عامَّةً في المدينة، ثم دارت حربُ الجملِ التي انتَصَرَ فيها جيشُ عليٍّ على جيشِ البصرة، ثم استخدَمَ بعدها العصا الغليظة، هذه العصا الغليظة هي من "إيتوس" عليٍّ الَّذي لا ينكرُ معاوية، ولعلَّ ردَّ معاوية على هذه الرسالة دليلٌ على اتِّفاقِهِ مع هذه الفضائل، إذ كتب معاوية في رده: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم" لا غير (٢)، فسكوتُ معاوية هذا "ضربٌ من ضربٍ سياسةِ القولِ يعمدُ إليه القائل (المحاج) لتحقيقِ جملة من التَّأثيرات ما كان لولا السَّكوت عنها ليُحَقِّقَهَا" (٣) وهو بهذا السَّكوت يعني أنَّه لا يُنكِرُ الصَّورة التي رَسَمَهَا عليٌّ لنفسِهِ في النَّصِّ، ولكنَّه -أي معاوية- لن يَرْضَخَ لعلِّي أو لفضائلِهِ، وقد نقل جامعُ المدونة بعد ردِّ معاوية: "عَرَفَ أنَّ معاوية محاربٌ له، ولا يُجيبُهُ إلى شيء ممَّا يريد" (٤).

والمثال الآخرُ هو من ردِّ أرسله معاوية لعلِّي يقول فيه: "... فأما شرفُك في الإسلام، وقرابتُك من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وموضعُك من قريشِ فليست أدفعُهُ" (٥)، فهو يتَّق مع عليٍّ ومع المتلقِّي الكوني -الَّذي يحضرُ بقَلَّة في الاتفاقِ المُسبق- على الفضائلِ الخاصَّةِ بعلِّي التي لا يستطيع -كما صرَّح- دفعها عنه، وبهذا أراد أن يؤثِّر في رأي عليٍّ ليصرفَهُ عن الخلافة، فقد كان في أوَّلِ هذا الرَّدِّ يبني حِجَاغَهُ على اتِّهامِ عليٍّ بدمِ عثمان، فهو يُحاجِّجُ بالاتِّفاقِ المُسبقِ ويرمي للتَّأثير في عليٍّ ليتركَ له الخلافة، وقد أجابه الإمامُ برسالةٍ تبيِّنُ هذا الاتفاقِ إذ قال: "وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعتُ دفعُهُ لدَفَعْتُهُ" (٦).

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠.

٢- نفسه.

٣- استراتيجيات السَّكوت والإسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدَّعة الفاطمي، ضمن كتاب "المسكوت عنه"، ص ١٢٧.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠.

٥- نفسه، ص ٣٥١.

٦- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٤.

ويقول معاوية ذاكراً لأفضال بني عبد مناف، وهذا من "الإيتوس" العام الذي يشترك فيه كل من ينتسب إلى عبد مناف، ومما لا شك فيه أن علياً -المتلقي- يتفق مع معاوية -المرسل- على هذه الفضائل، يقول معاوية: "أما بعد: فإننا بني عبد مناف لم نزل من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، وألقنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحونا شرف التجار، ويحنو قوتنا على ضعيفنا، ويواسي غنيا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من غل الحسد، وطهرت أنفسنا من خبث النية"^(١)، وقد طال هذا الاستشهاد ليبين أن "إيتوس عبد مناف" هذا يتفق عليه علي في رده إذ يقول: "أما بعد: فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة"، ولكنه يستدرك هذا الاتفاق بتبيين أن هذه الفضائل كانت مشتركة قبل الإسلام "ففرق بيننا وبينكم أمس أنا آمناً وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزياً"^(٢).

وفي كتاب لزياد بن النضر إلى علي، وهو أحد قادة جيشه يقول: "أما بعد: فإنك وليتي أمر الناس، وإن شريحاً لا يرى بي عليه طاعة ولا حقاً، وذلك من فعله بي استخفاف بأمرك، وترك لعهدك، والسلام"^(٣)، هذا الكتاب يحمل في طياته بناءً لصورة المرسل، إذ تكمن في عبارة "وليتي أمر الناس" طاقة حجاجية إيتوسية يبني من خلالها المرسل فضائله؛ إذ هو المأمون على ولاية أمر الناس وهو ثقة الخليفة الذي ولّاه، وهذا يعني أن المتلقي -الخليفة- يتفق على هذه الفضائل مع المرسل، فأراد المرسل من خلال هذه الفضيلة أن يؤثر في المتلقي ليبين أن شريحاً ابن هاني يستخف بثقة الخليفة وأمره، وأيضاً يوجه المرسل بهذا الخطاب حجاجه إلى "المتلقي الكوني" الذي يعرف أن علياً ولّاه على الجيش، فيكتسب بذلك تأييد الناس، وقد حقق كتاب النضر ما يصبو إليه إذ ردّ علي على رسالته ورسالة أخرى من شريح بقوله: "أما بعد، فإنني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وأمرته عليها، وشريح بن هاني على طائفة منها أمير، فإن انتهى جمعكما إلى بأس فزياد بن النضر على الناس كلهم"^(٤).

وقد كتب أبو الأسود الدؤلي إلى الإمام علي كتاباً يقول في بعضه: "أما بعد: فإن الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤتمناً، وراعياً مسئولاً، وقد بلوناك رحمك الله، فوجدناك عظيم الأمانة،

١- نفسه، ص ٣٦٦.

٢- نفسه، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٣- نفسه، ص ٤٠٤.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٠٥.

ناصِحًا لِلأُمَّةِ، تَوْفَّرَ لَهُمْ فِيئُهُمْ وَتَطْلِفُ نَفْسَكَ عَنْ دَنِيَاهُمْ...^(١)، فَأَبُو الْأَسْوَدِ فِي هَذَا الْكِتَابِ يَصِفُ عَلِيًّا بِفَضَائِلِهِ لِيَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ مِنَ النَّصِّ، وَنَرَى أَنَّهُ يَتَّقُ مَعَ صُورَةٍ عَلَيَّ خَارِجِ الْخِطَابِ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالرَّعَايَةِ لِلأُمَّةِ.

٢ - المصادرة على المطلوب:

غَايَةُ الْحِجَاجِ كَمَا تَبَيَّنَ أَنَّ يُدْعَى الْمَتَلَقِّي أَوْ يَزِيدُ مِنْ دَرَجَةِ إِذْعَانِهِ، وَلَكِنْ، مَاذَا لَوْ لَمْ يَوْجَدَ اتِّفَاقٌ مُسَبِّقٌ بَيْنَ الْمُرْسِلِ وَالْمَتَلَقِّي؟

هَذَا الْأَمْرُ سَيُوقَعُ الْمُرْسِلُ فِي خَطَأٍ الْمَصَادِرَةِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَهَذَا، سَنَرِصِدُ مَوَاضِعَ حَدَثَ فِيهَا هَذَا الْخَطَأُ فِي نصوص المدونة، وَأَوَّلُ شَاهِدٍ هُوَ مِنْ رِسَالَةٍ لِمَعَاوِيَةَ لَعَلِّي يَقُولُ فِيهَا: "... وَلَكِنَّكَ أَغْزَيْتَ بَدَمَ عَثْمَانَ الْمُهَاجِرِينَ، وَخَذَلْتَ عَنْهُ الْأَنْصَارَ، فَأَطَاعَكَ الْجَاهِلُ وَقَوِيَ بِكَ الضَّعِيفُ، وَقَدْ أَبَى أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا قِتَالَكَ، حَتَّى تَدْفَعَ إِلَيْهِمْ قَتْلَةَ عَثْمَانَ، ... وَإِنَّمَا كَانَ الْحِجَازِيُّونَ هُمْ الْخُكَّامُ عَلَى النَّاسِ وَالْحَقُّ فِيهِمْ، فَلَمَّا فَارَقُوهُ كَانَ الْحُكَّامُ عَلَى النَّاسِ أَهْلُ الشَّامِ"^(٢)، فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَقَعَ الْمُرْسِلُ فِي خَطَأٍ الْمَصَادِرَةِ عَلَى الْمَطْلُوبِ فِي مَوَاضِعَ:

الأَوَّلُ: اتِّهَامُ عَلِيٍّ بِالِاشْتِرَاكِ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَتَّقُ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ الْمَعَاصِرُونَ فَضْلًا عَنْ عَلِيٍّ نَفْسِهِ، لِذَلِكَ رَدَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ: "زَعَمْتَ أَنَّكَ إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَيْكَ بَيْعَتِي خَفَرِي بِعَثْمَانَ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَوْرَدْتُ كَمَا أَوْرَدُوا، وَأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ، وَلَا لِيَضْرِبَهُمُ بِالْعَمَى، وَمَا أَمَرْتُ فَلَزِمْتَنِي خَطِيئَةُ الْأَمْرِ، وَلَا قَتَلْتُ فَأَخَافُ عَلَى نَفْسِي قِصَاصَ الْقَاتِلِ... وَأَمَّا قَوْلُكَ ادْفَعْ إِلَيَّ قَتْلَةَ عَثْمَانَ، فَمَا أَنْتَ وَذَاكَ؟ وَهَذَا هُنَا بَنُو عَثْمَانَ وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَى طَلَبِ دَمِ عَثْمَانَ مِنْهُمْ، فَارْجِعْ إِلَى الْبَيْعَةِ الَّتِي لَزِمْتَكَ وَحَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ"^(٣).

١- نفسه، ص ٥١٤.

٢- نفسه، ص ٣٥١.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

والثاني: كون الشاميين حُكَّامًا على النَّاسِ، وقد فنَّدَ عليٌّ هذا الرَّعْمَ بقوله: "وأما قولك إنَّ أهل الشام هم حُكَّام أهل الحجاز، فهاتِ رجلًا من قريش الشام يُقبَلُ في الشورى أو تحلُّ له الخلافة، فإنَّ سَمَّيْتَ كَذَبَكَ المهاجرون والأنصار، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز"^(١).

وقد أرسلَ عليٌّ رسالةً إلى معاويةَ يحثُّه على البيعة بعد أن بايعَهُ النَّاسُ، ويقول: "فإنَّ النَّاسَ قتلوا عثمان عن غير مشورةٍ مِنِّي..."^(٢)، ولكنَّ معاويةَ غيرُ متَّقٍ معه في هذا الأمر وهو يريد الحرب، إذ أجابه:

"ليسَ بيني وبينَ قيسٍ عِتَابٌ غيرُ طَعْنِ الكُلى وضَرْبِ الرِّقابِ"^(٣)

فيكونُ الإمامُ عليٌّ قد وقع في خطأ المصادرة على المطلوب؛ إذ إنَّ معاويةَ يتَّهمُهُ بالاشتراكِ بدمِ عثمان، فيكونُ للحجاجِ بإيتوسِ البراءةِ هنا تأثيرٌ عكسيٌّ مختلفٌ عمَّا يُريده المرسل.

ويمكنُ القولُ إنَّ أكثرَ الرِّسائلِ بين عليٍّ وخصومه يوجدُ فيها المصادرة على المطلوب، أي أنَّ في حجاجها تأثيرًا عكسيًّا غيرَ ما يرمي إليه المرسل، وأيضًا وُجِدَ هذا الخطأ في مراسلةٍ بين عليٍّ وابنِ عباسٍ لما عَزَفَ عليٌّ أنَّ ابنَ عباسٍ وضع يده على أموال المسلمين التي كانت تحته، فأجابه ابنُ عباسٍ: "أما بعد: فإنَّ كلَّ الذي بلغك باطل، وإني لما تحتَ يدي ضابط قائم له، وعليه حافظ، فلا تُصدِّقْ عليَّ الصَّنِينِ"^(٤)، ولكنَّ عليًّا طلبَ منه أن يُعلِّمه بما أخذَ من الجزية من أين أخذَه، فلم تنفعَ صورةُ ابنِ عباسٍ السابقةَ للخطابِ (الإيتوس الجاهز) ولا الصورة التي وضعها لنفسه في رسالته (الإيتوس الخطابي)، فقد وقَّعَ في المصادرة على المطلوب؛ إذ إنَّ صورته -قبلَ الخطاب- التي كانت لدى عليٍّ وكان يظنُّ أنَّها متَّقٍ عليها بينه وبين عليٍّ قد اهتزَّت عندَ عليٍّ ولم تُعَدَّ من ضمنِ الاتِّفاقِ المُسبق، وقد استعطفَ عليٌّ حَمِيَّةَ ابنِ عباسٍ أيضًا

١- نفسه، ص ٣٥٣.

٢- نفسه، ص ٣٣٩.

٣- نفسه.

٤- نفسه، ص ٥١٥.

ليعودَ إلى سابق عهده^(١)، ولكنَّ ابنَ عَبَّاسٍ لم يلتفتْ لهذا الاستعطاف، فصارَ للجِجاجِ تأثيرٌ عكسيّ، ويمكنُ الرجوعُ للمدونة للاستدلالِ على هذا التأثيرِ العكسيّ الحاصل^(٢).

توصّلنا في هذا المبحثِ إلى أنَّ الخطابَ يُبنى من خلالِ الاتّفاقِ المسبّقِ بين المرسل والمتلقّي، وإن لم يوجد هذا الاتّفاق سيقعُ المرسلُ في خطأ المصادرةِ على المطلوب، وقبلَ ذلك تحدّثنا عن حُجّة (آد هومنينم) وكيفَ ساهمت في بناءِ الخطابِ من خلالِ استهدافِ (إيتوس) الآخر.

١- انظر: جمهرة رسائل العرب، ص ٥١٧.

٢- انظر: نفسه، ٥١٥-٥٢٠.

خاتمة الفصل الأول

في هذا الفصل من البحث تطرّفنا إلى الحديث عن الحجاج بالفضائل بين المتراسلين، وكيف وُظِّفَت العديدُ من الاستراتيجيّات للحجاج بالفضائل، وبينا كيف يبني المتراسلون صورهم، وقد استعنا في مباحث الفصل بمناهج مختلفة كلّ حسب حاجته؛ إذ استعنا في المبحث الأول بالنحو والبلاغة لاستظهار الطّاقة الحجاجيّة للجملة الاسميّة والفعلية في بناء الصورة، وكذلك لمعرفة الطّاقة الحجاجيّة الإيتوسيّة لبعض المظاهر البلاغيّة، ثمّ تطرّفنا إلى تعضيد مسلك الإيتوس بالمسلّكين الآخرين، وكيف وُظِّفَت العبارة أو حجة القول من أجل بناء صورة للمرسل، وكيف استخدّم المتراسلون الهوى مُنطلقًا لبناء هذه الصورة، وفي المبحث الأخير تحدّثنا عن إيتوس الآخر، وقد فصلّنا القول في حجة "أدهومنينم" التي يستهدف بها المرسل صورة الآخر؛ فبدلًا من بناء صورة لنفسه يسعى ليهدم صورة المتلقّي، وهو بهذا يؤثّر في المتلقّي الكوني أكثر من تأثيره في المتلقّي المباشر أو الخاصّ، وختمنا الفصل بالحديث عن الاتّفاق المسبق وجودًا وعدمًا، وكيف يؤثّر وجوده وعدم وجوده في بناء الصورة، فإمّا يكون تأثيره كما يريد له المرسل، وإمّا أن يكون تأثيره عكسيًا.

هذه هي المباحث الثلاثة للحجاج بفضائل القائل في مدوّنّة البحث، وفي الفصول القادمة سنتطرّق إلى الحديث عن المسلّكين الآخرين، الباتوس واللوغوس.

الفصل الثَّاني

إثارة انفعالات المتلقّي وعواطفه (الباتوس)

الفصل الثَّاني: إثارة انفعالات المتلقّي وعواطفه (الباتوس)

توطئة:

بعد أن تحدّثنا في الفصل الأوّل عن مصطلح (الإيتوس) وتجليّاته في نصوص المدوّنة وكيف استثمره المتراسلون في مراسلاتهم، سيكون الحديث في هذا الفصل عن إثارة انفعالات المتلقّي (الباتوس)^(١)، وسنقدّم لهذا الفصل بتعريف لهذا المصطلح ومعرفة حدوده قبل الشروع في آليّة حضوره في نصوص المدوّنة.

إنّ (الباتوس) مصطلح يونانيّ مثل المصطلح السّابق (الإيتوس) والمصطلح اللاحق (اللّوغوس)، وهذا المصطلح يُشكّل أحد أضلاع مثلث الإقناع والتأثير الأرسطيّ التي ينبغي أن يمتلكها كلّ خطيب ليوصل رسالته ويحاجّ بها.

أمّا وظيفة الباتوس أنّه "يجرف الإرادة"^(٢) إذ هو استهداف للمستمع في عواطفه وانفعالاته^(٣)، وذلك لأنّ "الانفعالات هي كلّ التّغييرات التي تجعل النّاس يغيّرون رأيهم فيما يتعلّق بأحكامهم، وتكون مصحوبةً باللذّة أو الألم"^(٤).

يقول كيبدي فارغا: "إنّ البلاغة فنّ توجيه الأهواء"^(٥)، فقد جعل البلاغة كلّها في فنّ توجيه عواطف المتلقّي نحو التأثير بما يقوله الخطيب، فالعواطف إذا عزّفت الخطيب كيف يحركها في جمهوره استطاع أن يؤثّر في أحكامهم^(٦)، وعلى ذلك فإنّ بلاغة الباتوس هي "معرفة بالمبادئ العامّة المنظّمة لبناء العاطفة حجاجياً في الخطاب ووصف للمؤشّرات التي تبثّ الأهواء في

١- انظر: حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريّات الحجاج، ضمن، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج ١/ ص ٤٥٧ وما بعدها، ومحمد الولي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، ضمن، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج ١/ ص ٧١٩ وما بعدها.

٢- معجم تحليل الخطاب، ص ٤١٣.

٣- انظر: في الخلفيّة النظريّة للمصطلح، ضمن، أهم نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة، ص ١٢-١٣.

٤- الخطابة، ترجمة بدوي، ص ١٠٣-١٠٤.

٥- نقلاً عن: في بلاغة الحجاج، ص ٢٥٧.

٦- حاتم عبيد، الباتوس، من الخطابة إلى تحليل الخطاب، من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف، ضمن، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج ٢ / ص ٧٥٢.

المخاطَب^(١)، فالباتوس في خطابة أرسطو هو "تدبير الخطاب للأهواء؛ أي ما يمكن أن يفعله الخطاب بأهواء السامعين"^(٢)، لأنَّ هذه الأهواء "من الأركان الأساسية التي لا غنى للخطيب عنها... كما يعتمد الحجاج إلى التأثير في القلب والفعل في الوجدان والعقل على حدِّ سواء"^(٣).

ولو قيل إنَّ الحجاج بالأهواء واستهداف العواطف هي من الحجاج المغالطي، فإنَّ الردَّ يكونُ بالقول "إنَّ الحجاجَ العاطفيَّ ينبغي تقديره سياقياً؛ أي بمراعاة نوع الخطاب وأهداف الخطيب والمقام الَّذي قيل فيه الخطاب وغير ذلك من الاعتبارات. فهو ليس مغالطياً في ذاته؛ أي إنَّ استدعاء الأهواء ... لا يجوز نعتها بالحجج المغالطية، إنَّها جوهرية في أيِّ تواصل اجتماعيِّ سياسيِّ"^(٤).

وإذا كان الحديث في أكثر المصادر عن استثمار حجة (الباتوس) في الخطابة أو القضاء من خلال "عرض خنجر القاتل... وفرح المنتصرين وخيبة أمل المهزيمين"^(٥)، فإنَّ (الباتوس) في مدونة البحث مكتوبٌ وليس شفاهياً، فعلى ذلك سنرى كيف تُوظَّف هذه الاستراتيجية في نصوص المدونة؟ وما هي تمظهرات وجودها فيها؟ وكيف أثَّرت في عاطفة المتراسلين؟

وعليه سيكون المبحث الأول متعلّقاً بالتناص واستهداف عواطف المتلقّي وكيف كان للتناص مع مختلف النصوص الدينيّة والأدبيّة تأثيرٌ في عواطف المتلقّين، أمّا الحديث في المبحث الثاني فسيكون عن (أفق التوقع)، ومن خلاله سيكون الحديث عن تأثير ثقافة القارئ في عواطفه بعد أن يتلقّى النصّ، وكيف يكون تأثير ثقافة القارئ الخاصّ والقارئ العامّ في العواطف، وفي المبحث الأخير سيكون الحديث عن التأثير العاطفيّ لتغيير وجهة الحوار، وفيه ستُبحثُ الحجاجيّة العاطفيّة للصمت وكيف يكون لهذا الصمت تأثيرٌ في عواطف المتلقّي، كما ستُبحثُ فيه حجاجيّة التّغيير والتّحوّل إلى سجالٍ لفظيٍّ قبل اللجوء إلى الحرب، وكيف يؤثّر هذان الأمران في عاطفة المتلقّي الخاصّ والمتلقّي العامّ.

١- بلاغة الحجاج، ص ٢٥٧.

٢- نفسه، ص ٢٥٨.

٣- علي الشّبعان، الحجاج وقضاياها من خلال مؤلّف روث أموسي، الحجاج في الخطاب، ضمن، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج ٢ / ص ٩٦٣.

٤- في بلاغة الحجاج، ص ٢٦٧.

٥- نفسه، ص ٢٦٨.

بناءً على ذلك، سيستعينُ الفصلُ بمنهجِ لسانِيّاتِ النَّصِّ في المبحثِ الأوّلِ للحديثِ عن التَّنَاصِّ، أمّا في المبحثِ الثّاني فسيسلِكُ البحثُ منهجَ نظريّاتِ القراءةِ والتَّلَقّيِ لبحثِ تأثيرِ فعلِ القراءةِ في عاطِفَةِ المتلقّي، وفي المبحثِ الأخيرِ سيستعينُ بالمقاربةِ الحِجَاجِيَّةِ نَفْسِهِ مُطَعِّمًا بالنّظرةِ النّفسِيَّةِ لبحثِ فاعليَّةِ تغييرِ وجهةِ الحوارِ عاطِفِيًّا.

المبحث الأول: التناص واستهداف العواطف

يُعَدُّ التناص نوعاً من "توظيف النص في النص"^(١) وهو متعلق بالخطاب وليس باللغة^(٢)، وتُعَدُّ جوليا كريستيفا أول باحثة تتناول مفهوم التناص في النقد الحديث بصورته النهائية؛ وعلى أساس ذلك لا يمكن أن نتجاوز تعريفها للتناص، وإن كان الباحثون بعدها قد تناولوا النظرية إضافةً وتعديلاً، إذ "قدّمت التناص من نظريتها القائلة: إنَّ كلَّ نصٍّ يتألف من سيفساء من الاقتباسات؛ فكلُّ نصٍّ هو امتصاص وإعادة تشكيل لنصوصٍ أخرى، أُدخِلت في النصِّ بتقنياتٍ مُختلفة"^(٣)، وقالت إنَّه "ترحالٌ للنصوص، وتداخلٌ نصِّي، ففي فضاء نصٍّ مُعيَّن تتقاطع وتتفاى ملفوظاتٌ عديدة مُتقطعة من نصوصٍ أخرى"^(٤)، وتقول: إنَّ التناص هو "تقاطع بلاغاتٍ في نصٍّ مأخوذٍ من نصوصٍ أخرى"، وهو تعديلٌ لنصوصٍ سابقة"^(٥).

فهي ترى -إذن- أنَّ "النصَّ إنتاجية"، وهو "جهاز عبر لسانٍ يُعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الرّبط بين كلامٍ تواصلٍ يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه"^(٦).

وبما أنَّ نصوص المدونة ليست بدعاً من غيرها فإنَّ للتناص فيها حضوراً واضحاً؛ وذلك لأنَّها رسائلٌ وردودٌ على تلك الرسائل، فالحوارية القائمة على طريقة التراسل لا بدَّ أن تُدعم بالتناصات، وهذه التناصات قد تكون داخليةً بين النصوص وذلك لخصوصية الرسائل المتبادلة، أو قد تكون خارجيةً، فهي إحالات إلى نصوصٍ أخرى قد تكون دينيةً؛ أي تكون من القرآن أو

١- محمد الهادي الطرابلسي، مفهوم التوظيف في الدرس الأسلوبي الحديث، مجلة دراسات لسانية، جمعية اللسانيات بتونس، المجلد ٣، ١٩٩٧م، ص ١٣٣.

٢- انظر: ترفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، ترجمة، فخري صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٥٧-١٥٨.

٣- انظر: فاطمة عبد الرحمن البريكي، التناص في النقد العربي القديم، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، إشراف، د. ناصر الدين الأسد، ٢٠٠٣، ص ٣٨. جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة، فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ١٣، ص ١٩، ص ٢١، ص ٢٦، ص ٣١-٣٥، ص ٤٩، ص ٧٨-٧٩.

٤- علم النص، ص ٢١.

٥- انظر: تيفين ساميول، التناص ذاكرة الأدب، ترجمة، نجيب غزّوي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٩.

٦- انظر: علم النص، ص ٢١.

من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وقد تكونُ أدبيَّةٌ؛ أي أن تكونَ من الشَّعر والأمثال العربيَّةِ، وقد تكونُ تاريخيَّةً من خلالِ الاستشهادِ بوقائعٍ حدثت قبل زمن النَّصِّ، وفي هذا المبحث سنرصدُ هذه التَّنَاصَّات في المدوَّنة لبحثٍ كيفيَّةٍ استثمارها من قِبَلِ المتراسلين، وهل يمكنُ أن تؤثرَ هذه في عواطفِ المتلقين؟

أولاً: التَّنَاصُّ الدِّينِيّ:

إنَّ توظيفَ النَّصِّ الدِّينِيّ في أيِّ نصٍّ يمكنُ أن يشكِّلَ عنصرَ إقناعٍ للمتلقِّي؛ فالمرسلُ يعني أنَّ للنَّصِّ الدِّينِيّ تأثيراً في نفسِ المتلقِّي، وهو بهذا الوعي يستخدم ما يمكنُ أن نطلقَ عليه (سُلْطَةُ النَّصِّ^(١)) الدِّينِيّ على المتلقِّي، ولأنَّ القرآنَ الكريمَ هو النَّصُّ الأوَّلُ -على الإطلاق- عند المتلقِّي المسلم؛ كان لا بُدَّ أن يكونَ هو المؤثِّرُ الأوَّلُ في أيِّ نصٍّ لاحقٍ عليه، ولا بُدَّ كذلك أن يكونَ للسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ هذا التأثيرُ لما لها من سُلْطَةٍ أيضاً على المتلقين، وبهذا سنستقرئُ نصوصَ المدوَّنة لنرى مدى حِجَاجِيَّةِ التَّنَاصِّ الدِّينِيّ الباتوسيَّةِ من خلالِ القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

١- التَّنَاصُّ مع القرآن الكريم:

يظهرُ التَّنَاصُّ مع القرآنِ الكريمِ في نصوصِ المدوَّنة ظهوراً لافتاً وذلك لقربِ عهدِ المتراسلين بنزولِ القرآنِ وعلاقتهم الوثيقةَ به، وهذا التَّنَاصُّ قد يكونُ بالاستشهادِ بالآيةِ كاملةً أو بجزءٍ منها، ويمكنُ الاستشهادُ برِدِّ طلحةَ والزَّبيرِ على عليٍّ بعد أن أرسلَ إليهما رسالةً بعد أن تهياً لقتالِهِ في البصرة: "... أمّا أنتَ فلسْتَ راضياً دون دخولنا في طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبداً، فاقضِ ما أنتَ قاضٍ"^(٢)، ويظهرُ التَّنَاصُّ جلياً مع جزءٍ من الآيةِ في قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وهذه الآيةُ في سياقها بين الآياتِ هي ردٌّ من سَحَرَةِ مِصْرَ على فرعونَ بعد أن آمنوا برَبِّ موسى، فهم لم يعبأوا بتهديدِ فرعونَ وردّوا عليه بهذه الآية، وهذا الاستدعاءُ للنَّصِّ القرآنيّ يمكنُ أن يُشكِّلَ استدعاءً للسياقِ نفسه، فهما يُريدان أن يقولَا لعلِّي ضمنَ سياقٍ حديثهما أنَّهما لا يعبَّانِ بتهديدهِ أو مسيرهِ إليهما، ويُشكِّلُ هذا الاستدعاءُ للنَّصِّ وسياقه بُعْداً عاطفياً يُمكنُ أن يؤثِّرَ في المتلقِّي (الإمام عليٍّ) من خلالِ النَّفْوَهِ من هذه الصَّورةِ الَّتِي رسَّماها له في النَّصِّ.

١- وهذا يتعلَّقُ بِحُجَّةِ السُّلْطَةِ. انظر: الحجاج في التَّواصل، ص ٥٦-٦٤، و نظريَّةُ الحجاج عند شايبم بيرلمان، ص ٧٩.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٤.

٣- طه/٧٢.

وفي رسالة بعثها معاوية إلى الإمام علي يقول: "... فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا سَبِيلَ الْحَاجِ والإصرار على الغي والضلّال، فاعلم أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيك وفي أهل العراق معك: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١)»^(٢)، فالمرسل هنا يُعرّض بالمتلقي وبمن تبعه من أهل العراق حتّى يكسر كبرياءهم، وفي هذا استهداف واضح لعواطفهم من خلال تشبيههم بأهل القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها لباس الجوع والخوف، فهو يريد أن يستهدف فيهم هوى الخوف من العواقب بعد الكفر بالنعم.

ويرد عليّ على كتاب لمعاوية يريد به استهداف حميته وتذكيره بفعل قريش بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: "... وَحَرَّبُوا الْأَحْزَابَ، وَجَاهِدُوا فِي أَمْرِ كُلِّ الْجَهْدِ، وَقَلَّبُوا الْأُمْرَ، ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٣)»^(٤)، فذكر ظهور الإسلام رغماً عن تحزيب قريش الأحزاب ومجاهدة الإسلام يريد به عليّ تذكير معاوية بحاله قبل إسلامه ممّا قد يسهم في تحريك عاطفته نحو الاقتناع بكلام عليّ.

ولا يقتصر استثمار التناص مع القرآن على التأثير في الخصوم، بل استثمر عليّ هذا النوع من التناص للتأثير في أحد ولاته، إذ قال له: "... فَأَمَّا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فَلِلَّهِ سَعْيُكُمْ، وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَزَاؤُكُمْ، وَأَيُّسِرُ ثَوَابَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي يَقْتُلُ الْجُهَالُ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهَا، فَإِنَّ ﴿مِمَّا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)»^(٦)، إذ يريد عليّ باستشهاد به هذه الآية أن يشكر سعي زياد بن خصفة وأصحابه ويثني على عملهم من خلال تذكيرهم بثواب الآخرة، وهذا أيضاً يمكن عدّه من الحجاج بالنتائج.

ويرغب عليّ محمد بن أبي بكر بحرب معاوية من خلال التناص مع الآية: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٧) وذلك في رده عليه: "... فاصبر لعدوك، وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيتك، وجاهدهم صابراً مُحْتَسِباً، وإن كانت فتئت أقلّ الفئتين،

١- النحل/١١٢.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٨.

٣- التوبة/٤٨.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٨٦.

٥- النحل/٩٦.

٦- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٤٨.

٧- البقرة/٢٤٩.

فإنَّ اللهَ قد يُعَزِّرُ القليلَ، ويخذُلُ الكثيرَ^(١)، إذ يرى القارئ أنَّ استدعاءَ الصَّبرِ في الآيةِ مُحَقَّرٌ للمتلقِّي لِشِدَّةِ هِمَّتِهِ من أَجْلِ نَيْلِ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ لأنَّ اللهَ معهم.

نرى في ختام هذه النِّقْطَةِ من البحثِ أنَّ التَّنَاصُّ مع القرآنِ شَكْلٌ في أَكْثَرِهِ استهدافاً عاطفياً للتذكيرِ بالعواقبِ والنَّتَاجِ؛ وهذا يدلُّ على سُلْطَةِ النَّصِّ القرآنيِّ خصوصاً والدِّينيِّ عموماً في أنفُسِ المتراسلين، وهذا ما سنراه في التَّنَاصِّ مع الحديثِ النَّبَوِيِّ في النِّقْطَةِ التَّالِيَةِ؛ ونرى أيضاً -إن صحَّتْ نسبةُ هذه المراسلاتِ إلى أصحابها- أنَّ كُلَّ مُرْسِلٍ يتوسَّلُ بالنَّصِّ القرآنيِّ لينصِّرَ حُجَّتَهُ ويدحضَ حُجَّةَ المتلقِّي؛ فهي حربٌ تأويليةٌ بين المتراسلين.

٢- التَّنَاصُّ مع السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

تُمَثِّلُ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ المصدَرَ الثاني من مصادِرِ التَّشْرِيعِ الإسلاميِّ بعد القرآنِ الكريمِ، وليس غرضُ البحثِ أن يُدَلَّلَ على عَظَمَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ في نفوسِ المسلمين، ولكن نرى في نصوصِ المدونة تناصاً محدوداً مع السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ غرضه التأثير في عواطفِ المتلقِّين، ويمكننا الاستشهادُ بالكتابِ الَّذِي بعثه معاويةُ لعلِّيٍّ إذ يقول فيه: "ثُمَّ ما كان من قتلِكَ شَيْخِي المسلمين أبي مُحَمَّدٍ طَلْحَةَ، وأبي عبد الله الزُّبَيْرِ، وهما من الموعودين بالجنة، والمبشَّر قاتلُ أحدهما بالنَّارِ في الآخِرَةِ"^(٢)، فهو يتناصُّ مع مضمون حديث النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في العشرةِ المبشَّرين بالجنة، ويتناصُّ مع مضمون الحديث المرفوع: "بَشَّرَ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ بالنَّارِ"^(٣)، فهو بهذا التَّنَاصُّ مع الحديثين يُريدُ أن يَحَاجَّ عليّاً بعواقبِ حربِ الجَمَلِ، فهو مثل التَّنَاصُّ مع القرآنِ من بابِ الحجاجِ بالنَّتَاجِ.

وللغايةِ نفسها يستثمرُ معاويةُ حديثاً آخَرَ للنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِيَحَاجَّ عليّاً بالعواقبِ إذ يقول: "وَأِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "لو تمالأ أهلُ صنعاءَ وعدنَ على قتلِ رجلٍ واحدٍ من المسلمين، لأَكْبَهُمُ اللهُ على مَنَاحِرِهِم في النَّارِ" فكيف يكون حالُ مَنْ قَتَلَ أَعْلَامَ المسلمين، وساداتِ المهاجرين..."^(٤).

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٨٨.

٢- نفسه، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٣- شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، دون تاريخ، ج ٦ / ص ١٦١.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٤١٧.

وفي الجانب الآخر نجد أنَّ عليًا يستثمرُ سلطةَ النصِّ النبويِّ في تقييدِ زياد بن عبيد يومَ كان واليه على البصرة وذلك في قوله: "أما بعد: فإنَّ سعدا ذكرَ أنَّكَ شتمته ظلمًا، وهَدَّدته وجَبَّهته تجبُّرًا وتكبرًا، فما دعاكَ إلى التَّكَبُّرِ؟ وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: "الكِبْرُ رداءُ الله، فَمَنْ نَارَعَ الله رِداءه قضمه"^(١)؛ فهو بتضمين هذا الحديث الشَّريف في كتابه إلى زياد يُريدُ أن يثيرَ في نفسه الخوفَ من التَّكَبُّرِ ومن عواقبه.

وبناءً على ما تقدَّم نرى أنَّ ظاهرَتي التَّنَاصُ مع القرآن ومع السَّنة النَّبَوِيَّة تشتركان في كونهما من حُجج السُّلطة التي تستهدفُ الحِجَاجَ بالعواقب.

ثانيًا: التَّنَاصُ الأدبي والتَّاريخي:

تحدَّثنا عن التَّنَاصِ بما يُشكِّلُ سُلطةً على المتلقِّي من قِبَلِ القرآن الكريم والسَّنة النَّبَوِيَّة الشَّريفة، أمَّا هذا النَّوعُ من التَّنَاصِ في نصوص المدونة فهو ما يستثمرُهُ المتراسلونَ من شعيرِ عربيٍّ أو من أمثالٍ سائرةٍ قد تُشكِّلُ مُؤثَّراتٍ عاطفيَّةً تزيدُ من درجةِ إذعانِ المتلقِّي، ولأنَّ "كلام العربِ ملتبسٌ ببعضه ببعضٍ، وأخذُ أواخره من أوائله"^(٢)؛ فقد تَنَاصَّتْ نصوصُ المدونة في بعضِ مواضعها مع الشعرِ العربيِّ ومع الأمثال وهذا ما سنرصدهُ لتحليله باتوسياً.

١ - التَّنَاصُ مع الشعرِ العربيِّ والأمثال السَّائرة:

للشَّعرِ العربيِّ مَزِيَّةٌ خاصَّة، والمُتَأَمِّلُ لهذا الشعرِ يرى فيه معاني ساميةً يمكن أن يُستشَّهَدَ بها في كثيرٍ من المواطن، فلذلك ظهرت بعض النصوصِ في المدونة متناصَّةً مع الشعرِ العربيِّ، وإن كانَ هذا التَّنَاصُ قليلاً يتملُّ في الاستشهاد بقصائد كاملةٍ أو بأبياتٍ مفردةٍ أو بأنصافِ الأبيات، وهذا النَّوعُ من التَّنَاصِ في غالبيِّه ليس تناصًّا يستهدفُ عاطفةَ المتلقِّي، ولكن قد يُستثمرُ باتوسياً، والأمرُ نفسه في التَّنَاصِ مع الأمثال العربية التي تُضربُ وتُستثمرُ باتوسياً أيضاً، ويمكن الاستشهادُ أولاً بالبيت الذي بعثهُ معاويةٌ لعليٍّ في ردِّ على كتابه: من معاويةَ إلى عليٍّ، أمَّا بعد: فإنَّه

[الخفيف]

١- نفسه، ص ٥٠٩.

٢- محدَّد بن الحسن بن المظفر، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق، جعفر الكتاني، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرِّشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م، ج ٢/ ص ٢٨.

لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكَلْبِ وَضَرْبِ الرَّقَابِ^(١)

فمعاوية يُريدُ أن يُثيرَ خوفَ عليٍّ من الحربِ التي لا يُريدُ غيَرها، فهذا البيت كنايةٌ عن الحربِ التي إن دارتَ فلن يكونَ بها إلا طعن الكلبِ وضرب الرقاب، وهو أمرٌ يجب أن يُثيرَ عاطفةَ الخوفِ لدى المتلقّي.

وفي ردِّ آخرٍ يستثمرُ معاويةُ قصيدةً كاملةً لكعبِ بنِ جُعيلٍ^(٢) لِيُريَ عليًّا مدى كُرهِ أهلِ الشَّامِ له، وهذا ما قد يُثيرُ حنقَ المتلقّي^(٣)، ويُهَيِّدُه أيضًا في هذه الأبيات بالحربِ والطَّعن الذي يفضُّ الشُّنُونُ ممَّا يُثيرُ عاطفةَ الخوفِ لديه.

في جانبٍ آخرٍ يستثمرُ معاويةُ أبياتًا لِيُثيرَ عاطفةَ الشَّفقةِ^(٤) لدى المتلقّي من خلالِ ذكرِ مصابِ الخليفة الراشد عثمان بن عفَّان إذ يقول:

[الطَّويل]

أَتَانِي كِتَابٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ غُمَّةٌ وَفِيهِ اجْتِدَاعٌ لِلنُّفُوسِ أَصِيلُ
مُصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَدَّةٌ تَكَاذُ لَهَا صُمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ^(٥)

أمَّا الإمام عليٌّ فيستثمرُ بيتًا لأحد بني أسد لِيُثيرَ عاطفةَ الخوفِ لدى معاوية من مقابلته في الحربِ إذ يقول: "وإن تَرَزَّنِي فكما قال أخو بني أسد:

[البسيط]

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِخَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلُودِ^(٦)

فهو يُريدُ أن يقولَ له إنَّه عند مقابلته في الحربِ فسيلقى ما يلقي مستقبلُ الرِّيحِ الحاصب، أي ستعرضُ نفسك لأشدِّ الأخطار.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٩، والبيت لعمر بن الأيهم، انظر: جاز الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ج ٣ / ص ٣٣٣.

٢- انظر: جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١-٣٥٢.

٣- انظر: الخطابة، ترجمة بدوي، ص ١٣٢.

٤- انظر: نفسه، ص ١٢٩-١٣١.

٥- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٤.

٦- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٧٠.

ويستثمر علي شطر بيتٍ للغاية نفسها من تخويف معاوية بالحرب والجيش إذ يقول:
"وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار! متى ألقى بني
عبد المطلب عن الأعداء ناكليين، وبالسيف مخوفين؟" فلرب قليلًا يلحق الهيجا حمل... وأنا
مُرَقَّلٌ نحوكَ في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان...^(١)، إذ بهذا البيت وما
بعده يريد أن يقول لمعاوية إن الجيش قادم عليك وأن تحدّره.

وكما تقدّم فإنّ للتناصّ مع الأمثال العربيّة الغرض نفسه، إذ يستشهد عليّ في أحد ردوده
على معاوية بمثلين يريد بهما التّعجب من كلام معاوية، ولا يخفى ما في التّعجب من إثارة
لعاطفة الغضب لما فيه من رائحة التّسفيه للكلام المتلقّى، يقول عليّ: "... فلقد خبأ لنا الدّهر
منك عجباً، إذ طفقت تُخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقِلِ النّمر
إلى هجر، أو داعي مُسدّده إلى النّضال"^(٢).

وفي الكتاب نفسه يستشهد عليّ بمثلٍ آخر في قوله: "وما أنت والفاضل والمفضول،
والسّائس والمسوس؟... هيهات لقد حنّ قدحٌ ليس منها وطبق يحكم فيها من عليه الحكم لها!"^(٣)
إذ يريد أن يقول لمعاوية في استشهاده بهذا المثل إنّك لستَ معنياً بما ذكرته، وهذا فيه إثارة لهوى
الحقّ والنّقمة.

ويتبيّن لنا أنّ لهذا التناصّ الأدبيّ بالشعر والأمثال حضوراً في مدونة البحث يريد بهما
المتراسلون أن يؤثروا في عواطف من يتلقّى رسائلهم.

٢ - التناصّ التاريخي:

تُشكّل الوقائع التاريخيّة نصوصاً في الذاكرة الجمعيّة قبل التدوين، على أنّها بعد التدوين
صارَت نصوصاً حاضرةً في كتب، وبسببِ حضور هذه الوقائع التاريخيّة في الأذهان فقد
استثمرها المتراسلون جاجياً وتناصّت نصوصهم معها ليكونوا عُصَر تأثير في المتلقّي
وليستهدفوا عاطفته، وكان استثمار هذه الوقائع في أكثره خاصّاً بحالِ المتراسلين قبل زمن
التراسل؛ فعليّ يستثمر حال معاوية قبل إسلامه، ومعاوية يستثمر اتّهامه لعليّ بمقتل الخليفة
عثمان، وعلى ذلك سنوردُ بعض الأمثلة حول هذا التناصّ وكيف استثمر عاطفياً في المدونة.

١ - نفسه، ص ٤٠١.

٢ - نفسه، ص ٣٩٣.

٣ - نفسه، ص ٣٩٤.

في حُرْمَةٍ من المراسلات بين عليٍّ ومعاوية يبدأ معاوية كُتْبَهُ بتذكير عليٍّ بحالهم قَبْلَ ظهور الإسلام من كونهم يداً واحدةً وألفَةً أليفةً وكانت كلمتهم مؤتلفة ودارهم واحدة يجمعهم كرم العِرق ويحويهم شرف النَّجار^(١)، وفي هذا الاستثمار استهدافٌ لعاطفة الحمية القبلية لدى عليٍّ، وليثير في نفس عليٍّ الشفقة على تلك الأيام، ولكنَّ عليًّا في رَدِّه عليه يعكسُ هذا الاستثمار لحالهم بعد الإسلام فيذكر أنَّهم كانوا على ما ذكر معاوية ولكن فرَّق بينهم الإسلام^(٢)، إذ بهذا التفريق يُريدُ أن يستهدف لدى معاوية عاطفة الحمية أيضًا.

ويكثرُ هذا النوعُ من التناصُّ في رسائل عليٍّ إلى معاوية وردوده عليه؛ إذ يُحاجُّ بأفعاليه في الحروب ضدَّ قُريش، ومن ذلك قوله: "... وأنا صاحبُهُم في تلك المواطن، الصَّالي بحربهم، والقاتلُ لحِدِّهم، والقاتلُ لِرءوسهم..."^(٣) وكذلك في غيرها من الرسائل^(٤)، إذ يريدُ أن يثير في نفس المتلقِّي الخوف من خلال ذكر الوقائع التاريخية.

وقد استثمرَ معقلُ بن قيسٍ هذا التناصُّ في كتابٍ إلى عليٍّ يقول فيه: "أما بعد: فإننا لقينا المارقين وقد استظهروا علينا بالمشركين، فقتلناهم قتلَ عادٍ وإرم..."^(٥)، وهو يقصدُ أنَّهم أبادوهم كإبادة هؤلاء، وهذا النصر المذكور يبعثُ على الفخر في نفس المتلقِّي إن كان معنيًا به، وهو أيضًا يُشيعُ عاطفة الأمن لدى المتلقِّي إذ انتصر على أعدائه^(٦).

نخلصُ في ختامِ هذا المبحث أنَّ حضور التناصُّ في المدونة كان يستهدف عواطف المتلقِّين ويروم التأثير في أهوائهم من خلال حُجج كحُجج السلطة في التناصُّ الديني، أو بالحُجج ذات الوقائع التاريخية لبثِّ العزم أو لبثِّ الخوف في نفس المتلقِّي، وفي المبحث التالي سنرى إنَّ كان للتَّفاة تأثير في توجيه التَّأثير بالنص.

١- انظر: جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٤، ٣٦٦.

٢- انظر: نفسه، ص ٣٦٥، ٣٦٨-٣٦٩.

٣- نفسه، ص ٣٧٢.

٤- انظر مثلاً، نفسه، ص ٣٧٤-٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨.

٥- نفسه، ص ٤٥٠.

٦- انظر: الخطابة، ترجمة بدوي، ص ١٢١-١٢٢.

المبحث الثاني: فعلُ القراءة مؤثراً في عواطف المتلقي

ينطلق كلُّ قارئٍ للنص من ثقافةٍ تُشكّل قاعدةً يتكئ عليها عند تلقّيه أي نص، وتكوّن هذه الثقافة ما يسمّيه هانز روبرت ياكس (أفق التوقعات) وهو "مجموعة التوقعات الأدبية والثقافية التي يتسلّح بها القارئ (عن وعيٍ أو غير وعي) في تناوله للنص وقراءته"^(١)، وهذا يعني أنّه يفترض أنّ النصّ مُعطى في العمل، ولكنّ معه سياقات أخرى هي الشروط التاريخية والاجتماعية للتلقّي؛ إذ كلّما تغيّرت هذه الشروط تغيّر معنى العمل^(٢)، وعلى ذلك فإنّ من القواعد الأساسية لنظرية التلقّي:

"أولاً: إنّ الأساس النظريّ المركزيّ لجماليّة التلقّي هو أنّ الرسالة / النصّ ليست الحدث الوحيد، وإنّما هناك أحداث أخرى تفرض نفسها، مثل ردّ فعل القارئ أو الجمهور إزاء الرسالة، وشرح الحدث الأول انطلاقاً من الثاني.

ثانياً: الانتقال بالأدبيّة من البحث عن معنى النصّ إلى [لماذا يمتلك النصّ معنى محدّداً عند مجموعة محدّدة من القراء]"^(٣).

على أنّنا نقع هنا -مع نصوص المدونة- في إشكاليّة المتلقّي، فمن هو متلقّي النصّ؟ هل هو الشخص الذي يستقبل الرسالة ويتفاعل معها؟ أم هو (جماعة المتلقّين) الذين يتأثرون بمضمون الرسالة؟ أم أنّ المتلقّي هو قارئ المدونة؟

ولتفادي هذه الإشكاليّة سنحدّد المتلقّي في المدونة بأنّه الشخص الذي تتوجّه الرسالة إليه وباسمه، وهو ما يُسمّى بـ "القارئ الحقيقي"^(٤)، وهذا يلزمنا بأنّ نتعرّف إلى ثقافة المتلقّي من خلال ردوده؛ لأنّ السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والنفسية تفتح على النصّ ممّا يُشكّل عدّة قراءات للنصّ، والقراءة الخاصة بالمتلقّي هي ما يُعرّفنا إليها ردّ فعله على الرسالة، فهو قد يسقط اهتماماته ورغباته على النصّ، وقد يُفرز النصّ في نفس المتلقّي اهتمامات ونتائج، والتلقّي أيضاً

١- ميجان الزويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م، ص ٢٨٥.

٢- انظر: إيمان عيسى الناصر، وحدة النصّ وتعدّد القراءات التأويلية في النقد العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الثقافة والتراث، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٧٤.

٣- نفسه، ص ٧٥.

٤- دليل الناقد الأدبي، ص ٢٨٤.

يعتمدُ على كفاءة المتلقّي وقدرته على التحليل^(١)، وعلى ذلك سينبني هذا المبحث على نظرية التلقّي، ومعرفة (استجابة القارئ) من خلال ردّه، وكيف تلقّى النصّ باستثمار ثقافته، وكيف أثّرت هذه الثقافة في عاطفته، ويكون قياسُ هذا التأثير من خلال ردّ المتلقّي، أي بتحوّل المتلقّي إلى مرسل وتحوّل المرسل إلى متلقّ.

وبعدَ الحديث عن (القارئ الحقيقي) سننتقلُ إلى الحديث عن القارئ أو المتلقّي (العام)، ونعرّفه بأنّه جماعة المتلقّين الذين يُشكّلون حاشية المتلقّي (الخاصّ) أو أتباع (القارئ الحقيقي)، وكيف أثّرت (ثقافة الجماعة) في تلقّيهم العاطفي للنصّ^(٢).

أولاً: ثقافة القارئ الحقيقي مؤثّرة في عواطفه:

تعرفنا فيما سبق إلى القارئ الحقيقي، وهنا سنحاولُ استقراء النصوص بما تشكّله من ابتداءات وردود؛ إذ ستكون ردود المتلقّي ثقافته، ومن خلالها يتحوّل هو إلى مرسل، ومن خلال تحوّلِهِ إلى مُرسلٍ سنرصّد كيف تأثّرت عاطفته بما تلقّاه، ويستدعي هذا أن نعريض الرّسالة والرّد لتتكوّن لدينا الرّؤية التي نحنُ بصددِها.

ويمكنُ أن نبدأ برسالة عليّ إلى معاوية أوّل ما بويغ بالخلافة، إذ قال: "أمّا بعدُ: فقد علمت إعداري فيكم، وإعراضي عنكم، حتّى كان ما لا بُدّ منه، ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إليّ في وفدٍ من أصحابك والسلام"^(٣)، إذ إنّ عليّاً أراد أن يُثير عاطفتين لدى معاوية ومن قبله؛ الأولى عاطفة الشّفقة من قتل الخليفة عثمان، وعاطفة الخوف من عدم مبايعتهم إيّاه، ولكنّ معاوية ردّ عليه بالبيت التّالي:

[الخفيف]

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكَلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ^(٤)

١- انظر: دليل الناقد الأدبي، ص ٢٨٤.

٢- للمزيد حول المتلقّي الخاصّ والعام انظر: حسن المودن، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الججاجي، ضمن، الججاج، مفهومه ومجالاته، ج ١ / ص ٤٢٦-٤٣٠.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٨-٣٣٩.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٩.

وهذا البيت يُنبئُ بثقافة المتلقي بعد أن تحوّل إلى مرسل، وهو هنا استثمر ثقافة العصا الغليظة ومعجم التهديد، وهذا يدلّ على أنّ تلقّيه للنصّ هو تلقّي الغاضب الذي يريد أن يثأر لما أصابهم من مصاب، فكانت رسالة الابتداء من عليّ مُحفّزة لعاطفة الغضب التي اتّضحت من ردّ معاوية.

وفي كتاب آخر من عليّ إلى معاوية بعد وقعة الجمل يقول: "أما بعد فإنّ بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشّام، لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشّاهد أن يختار ولا للغائب أن يرُدّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، وإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج عنه، فإنّ أبا قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصله جهنّم وساءت مصيرا.

وإنّ طلحة والزبير بايعاني، ثمّ نقضا بيعتهما، وكان نقضهما كبريئتهما، فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما، حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإنّ أحبّ الأمور إليّ قبولك العافية، إلّا أن تتعرّض للبلاء، فإنّ تعرّضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فإنّ أنت رجعت عن رأيك وخلافك، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، ثمّ حاکمت القوم إليّ، حمّلتك وإياهم على كتاب الله، وأما تلك التي تريدّها فهي خدعة الصبيّ عن اللبن..."^(١).

وهنا نرى أنّ عليّاً حاول إثارة عواطف معاوية من خلال تخويفه بالنار إن أراد الخروج عن سبيل المسلمين، وتخويفه بالحرب مثمّلاً وقّع لأصحاب الجمل، وكذلك حاول استهداف عاطفة الأمن من حبّ قبول العافية، فكيف تلقّى معاوية هذه الرسالة؟

يقول في ردّه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن صخرٍ إلى عليّ بن أبي طالب: أمّا بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان، لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بدم عثمان المهاجرين، وخدلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتّى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، وإنّما كان الحجازيون هم الحُكّام على الناس والحقّ فيهم، فلمّا فارقه كان الحُكّام على الناس أهل الشام، ولعمري ما حُجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك ولم أبايعك، وما حُجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة، لأنّ

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠-٣٤١.

أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعك من قريش فلست أدفعه^(١).

إنَّ طريقة تلقى معاوية لهذه الرسالة تتضح من بداية رده، فقد ألقى معاوية من شأن نفسه إذ بدأ بذكر "من معاوية بن صخر" إذ نرى أنَّ رسالة عليّ قد أثارت فيه عاطفة الانتماء، وهو ما تحدّثنا عنه في استثمار إيتوس المرسل، ويتبيّن من الرسالة أنَّ عاطفة الثأر والغضب موجودتان في ردّ معاوية على عليّ، فقد تلقى معاوية تهديد عليّ بالحرب بالردّ بالمعجم نفسه، وهذا يدلّ على أنَّ لفعل القراءة تأثّر في عاطفة المتلقّي ممّا يُثيرها ليستثمر ثقافته وحالته النفسيّة والاجتماعيّة في رده، ونرى ذلك أيضًا في ردّ عليّ على ردّ معاوية الذي نورّد كاملاً؛ إذ يقول عليّ: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر: أما بعد، فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابّه، وقاده فأتبعه؛ زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خفري بعثمان، ولعمري ما كنتُ إلّا رجلاً من المهاجرين، أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى، وما أمرتُ فلزمتني خطيئة الأمر، ولا قتلتُ فأخافت على نفسي قصاص القتال.

وأما قولك إنَّ أهل الشام هم حكام أهل الحجاز، فهات رجلاً من قريش الشام يُقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة، فإنّ سميت كذبك المهاجرون والأنصار، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز.

وأما قولك ادفع إليّ قتلة عثمان، فما أنت وذاك؟ وما هنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك، فإنّ زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم، فارجع إلى البيعة التي لزمته وحاكم القوم إليّ.

وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة، وبينك وبين طلحة والزبير، فلعمري فما الأمر هناك إلّا واحد، لأنهابيعة عامة، لا يتأتى فيها النظر، ولا يُستأنف فيه الخيار.

وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته^(٢).

١- نفسه، ص ٣٥١.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣-٣٥٤.

فقد أثارَت رسالة معاويةَ عواطفَ عليٍّ؛ وأوَّلَ عاطفةً نتبَّتها من ردِّ عليٍّ هي عاطفةُ الانتماء، فعليٌّ ينسبُ معاويةَ إلى ما نسبَ إليه نفسه وكأنَّه يُريدُ أن يقولَ إنَّه لا يخشى من هذا الانتسابِ، ثمَّ تظهرُ عاطفةُ الفخرِ جليَّةً في هذه الرسالة، إذ يقولُ إنَّه من قريشِ الحِجازِ الذين يُقبَلونَ في الشورى وتحلُّ لهم الخلافة، وفي ختامِ ردِّه نرى أنَّ عليًّا في تلقِّيه لرسالةِ معاويةَ يتقبَّلُ إثارتَه لعاطفةِ الفخرِ عنده من خلالِ الفخرِ بشرفِهِ وقربَتِهِ وموضعه من قريش.

ويمكنُ الاستشهادُ بالمراسلة التي كانت بين الإمام عليٍّ وأخيه عقيل بن أبي طالب؛ إذ بعثَ عقيلٌ إلى عليٍّ كتابًا يُبيِّنُ فيه ما رآه من النَّاسِ في مَكَّةَ ومن لحاقهم بمعاوية واستعظامِهِ الأمر، ثمَّ قال له: "وبلَّغني أنَّ أنصارَكَ قد خذلوك، فاكْتَبَ إليَّ يابنُ أمِّ برأيك، فإنَّ كُنْتَ الموتَ تريد، تحمَّلتُ إليك ببنِي أخيك وولدَ أبيك، فعِشنا معكَ ما عشت، ومِتْنَا معكَ إذا مِتَّ، فوالله ما أَحَبُّ أن أبقي في الدُّنيا بعدَكَ فُواقًا، وأقسِمُ بالله الأَعزَّ الأَجَلِّ، إنَّ عيشًا أَعِيشَه في هذه الدُّنيا بعدَكَ لَعِيشٌ غيرَ هنيءٍ ولا مريءٍ ولا نجيعٍ، والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتِهِ"^(١).

فردَّ عليٌّ على هذه الرسالةَ برَدٍّ يتبيَّنُ منه أنَّها حرَّكت عواطفَه؛ إذ يقولُ فيها^(٢): "اللهم فاجزِ عني قُريشًا الجوازي، فقد قطعْتَ رَجْمي، وتظاهرتَ عَلَيَّ، ودَفَعْتَنِي عن حَقِّي، وسلَبْتَنِي سلطانَ ابْنِ أُمِّي..."، ثمَّ يرُدُّ على ما وردَ في كتابِ عقيلٍ من أمورٍ ويختتمُ كتابَه ببيتينَ هما:

[الطويل]

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ، فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعُزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٍ فَيُشَمَّتْ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ"

فقرأةُ عليٍّ وتلقِّيه لكتابِ أخيه حرَّكَتْ في داخلِهِ عاطفةَ الحُزْنِ والشَّغَفَةِ على ما أصابَه، ولكنَّه -رغمَ هذا الحُزْنِ- صبورٌ على ريبِ الزَّمانِ، وهذا ما يبيِّنه البيتان اللذان اختتمَ بهما كتابَه. وهنا نرى أنَّ لثقافةَ المتلقِّي، التاريخيَّةَ والدينيَّةَ وغيرهما، أثرًا كبيرًا في طريقةِ تلقِّيه للنصِّ والرَّدِّ عليه، ويمكنُ لهذه الثقافة أن تُشكِّلَ محفِّزًا لعواطفِ المتلقِّي خلالَ تلقِّيه للنصِّ.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٥٢٠-٥٢١.

٢- نفسه، ص ٥٢١-٥٢٤.

ثانيًا: ثقافة القارئ العام مؤثرة في عاطفة الجماعة:

تتشكّل ثقافة القارئ العام من خلال اتّباعه لقائد ما؛ إذ إنّ الاتّباع -عادةً- يكونون متوافقين مع ثقافة قائدهم، وهذه الثقافة تعمل من خلال تحريك عاطفة الجماعة، وهنا سنرصد مواضع تأثرت فيها عاطفة الجماعة من خلال تلقّيها للنصوص، ويمكن قياس هذا التأثير في النصوص من خلال بعض الوقائع التاريخية أو من خلال المراسلات بين الجماعة أنفسهم، أي بالاستشهاد بنصوص من خارج مدونة البحث المقتصرة على الرسائل المتبادلة بين عليّ ومعاصريه، ونبدأ بتلقّي الجماعة لكتاب عليّ إلى طلحة والزبير لما تعبأ القوم للقتال: "أما بعد: فقد علمنّما -وإن كتمنّما- أنّي لم أريد الناس حتّى أراهم، ولم أبايعهم حتّى بايعوني، وإنّكما لممن أراهم وبإيعني، وإنّ العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر... وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثمّ يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل..."^(١)، ويمكن قياس تأثر عاطفة الجماعة هنا بالوقائع التاريخية التي حصلت جرّاء هذا الكتاب؛ إذ تحرّكت عواطف الجماعة نحو الحرب، وبنّت في نفوسهم عاطفة الغضب على عليّ، ويدلّ على هذا ردّ طلحة والزبير على عليّ إذ ورد فيه: "أما أنت فلست راضيًا دون دخولنا في طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبدًا، فاقض ما أنت قاضٍ"^(٢).

وفي كتاب لعلّي بعثه إلى معاوية يقول: "أما بعد فإنّ بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشّام، لأنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشّاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضا، وإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج عنه، فإنّ أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا..."^(٣)، ثمّ ذكر في هذا الكتاب بيعة طلحة والزبير وحرب الجمل، ويذكر براءته من دم عثمان ثمّ يقول: "وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي، وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايعه، ولا قوة إلا بالله"^(٤).

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٢-٣٣٣.

٢- نفسه، ص ٣٣٤.

٣- نفسه، ص ٣٤٠-٣٤١.

٤- نفسه، ص ٣٤١.

نرى في ختام النص أن الإمام علياً بعث بالرسالة إلى مُتَلَقِّين؛ خاصٍ وهو معاوية، وعامٍ وهم (مَنْ قَبْلَ) معاوية فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص^(١) و"فشا كتاب معاوية في العرب، فبعث إليه الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط (وهو أخو عثمان لأُمّه)"^(٢): [الطويل]

"مُعَاوِيَّ إِنَّ الشَّامَ شَأْمُكَ فَاعْتَصِمْ	بِشَأْمِكَ لَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْأَفَاعِيَا
وَحَامَ عَلَيْهَا بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا	وَلَا تَكُ مَوْهُونَ الدَّرَاعِينَ وَإِنِّيَا
وَإِنَّ عَلِيًّا نَاطِرٌ مَا تُجِيبُهُ	فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُشِيبُ التَّوَاصِيَا
وَالَّا فِلسَمٌ، إِنَّ فِي السِّلْمِ رَاحَةً	لِمَنْ لَا يُرِيدُ الْحَرْبَ، فَاخْتَرْ مُعَاوِيَا
وَإِنَّ كِتَابًا يَأْبَنُ حَرْبٍ كَتَبْتُهُ	عَلَى طَمَعٍ يُزْجِي إِلَيْكَ الدَّوَاهِيَا
سَأَلْتُ عَلِيًّا فِيهِ مَا لَنْ تَنَالَهُ	وَلَوْ نِلْتَهُ لَمْ يَنْقُ إِلَّا لِيَالِيَا
وَسَوْفَ تَرَى مِنْهُ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا	بَقَاءٌ، فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْكَ الْأَمَانِيَا
أَمِثْلَ عَلِيٍّ تَعْتَرِيهِ بِخُدَعَةٍ	وَقَدْ كَانَ مَا جَزَيْتَ مِنْ قَبْلُ كَافِيَا" ^(٣)

إذ نرى أن ثقافة الثَّارِ أَجَبَتْ عاطفة الغضبِ عند الوليد بن عُقبة، وقد تَأَجَّجَتْ عاطفة الانتقامِ عنده أيضاً، ويدل على ذلك الأبيات الواردة، فالأبيات من البحر الطويل، وهو من أطول بحور الشعر العربي، "ونعمه من اللطفِ بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعرُ به"^(٤)؛ فاستخدمه الوليد في بناء أبياته لينفذ بها إلى قلب معاوية ويؤثر فيه، هذا بالإضافة إلى استخدامه مُعْجَماً لفظياً قائماً على التقرُّع والتَّحذير من مسالمة علي.

وهذا الأمرُ نراه في الكتاب الآخر الذي بعثه إلى معاوية، وأشار فيه عليه ألا يكتب جواب جريز، وقد استخدم البحر نفسه ومعجم التحذير نفسه أيضاً ليشكل عامل ضغط على معاوية حتى لا يكتب إلى علي ولا يجيبه إلى ما يريد ويحرّضه على حربهِ والأخذ بثأر الخليفة عثمان:

"مُعَاوِي: إِنَّ الْمُلْكَ قَدْ جُبَّ غَارِبُهُ وَأَنْتَ بِمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُ

١- انظر: نفسه، ص ٣٤١-٣٤٣.

٢- نفسه، ص ٣٤٤.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٥.

٤- عبد الله الطيّب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م، ج ١ / ص ٤٤٣.

أَتَاكَ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ بِخَطِّهِ هِيَ الْفَصْلُ فَاخْتَرِ سِلْمَهُ أَوْ تُحَارِبُهُ
فَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَاتِرِينَ مَوَدَّةً وَلَا تَأْمَنِ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْتَ زَاهِبُهُ
وَحَارِبُهُ إِنْ حَارَبْتَ حَرْبَ ابْنِ حُرَّةٍ وَإِلَّا فَسِلِّمْ لَا تَدْبُ عَقَارِبُهُ
فَإِنَّ عَلِيًّا غَيْرُ سَاحِبٍ ذَيْلِهِ عَلَى خُدَعَةٍ مَا سَوَّغَ الْمَاءُ شَارِبُهُ
وَلَا قَابِلٌ مَا لَا يُرِيدُ وَهَذِهِ يَقُومُ بِهَا يَوْمًا عَلَيْهِ نَوَادِبُهُ
فَلَا تَدْعَنَّ الْمُلْكَ وَالْأَمْرَ مُقْبِلٌ وَتَطْلُبُ مَا أُعِيثَ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ
فَإِنْ كُنْتَ تَتَوَيَّ أَنْ تُجِيبَ كِتَابَهُ وَقَدْ كَانَ مَا جَرَيْتَ مِنْ قَبْلُ كَافِيَا
وَإِلَّا فَسِلِّمْ، إِنَّ فِي السِّلْمِ رَاحَةً فَتَقْبَحُ مُمْلِيهِ وَقُبْحُ كَاتِبِهِ
وَإِنْ كُنْتَ تَتَوَيَّ أَنْ تَرُدَّ كِتَابَهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مَحَالَةَ رَاكِبُهُ
فَأَلْقِ إِلَى الْحَيِّ الْيَمَانِينَ كَلِمَةً تَتَالُ بِهَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
تَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَهُ عَدُوٌّ وَمَالَاهُمْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
أَفَانِيئُ مِنْهُمْ قَائِلٌ وَمُحَرِّصٌ بِلَا تَرَةٍ كَانَتْ وَآخِرُ سَالِبُهُ
وَكُنْتُ أَمِيرًا قَبْلُ بِالشَّامِ فِيكُمْ فَحَسْبِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبُهُ
فَجِئُوا (وَمَنْ أَرَسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ) تَدَافِعُ بَحْرٍ لَا تَرُدُّ غَوَارِبُهُ
فَأَقْلِلْ وَأَكْثِرْ مَا لَهَا الْيَوْمَ صَاحِبٌ سِوَاكَ فَصَرِّحْ لَسْتُ مِمَّنْ تُوَارِبُهُ" (١)

وقد بعث عليّ كتابًا إلى الخوارج بالنّهر يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب، ومن معهما من الناس:

أما بعد: فإنّ هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله، واتّبعوا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة، ولم يُنفِذا للقرآن حكما. فبرئ الله ورسوله منهما وصالح المؤمنين، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا، فإنّا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنّا عليه، والسلام" (٢).

في هذا النصّ يستهدف عليّ إثارة عاطفة الغضب لدى الخوارج على معاوية، ويحاول أن يُغمل سلطنة الدين بذكره براءة الله ورسوله وصالح المؤمنين من عمل الحكمين، ويستهدف

١- نفسه، ص ٣٤٥-٣٤٦.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٤٢.

كذلك عاطفة الانتقام لديهم ليسيروا بجيشهم للقاء العدو، ولكنّ الخوارج لم تتأثر عاطفتهم بهذا، بل كان تأثير الكتاب عكسيًا؛ إذ قالوا: "أما بعد: فإنّك لم تغضب لربك، إنّما غضبت لنفسك، فإنّ شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين"^(١)، وهذا الرد يدلّ على أنّ كلّ الخوارج بالنّهر كانوا على الرّأي نفسه، إذ كان كتاب عليّ موجّهًا لهم جميعًا، فقرأوه وردّوا عليه بما في نفوسهم، فصار لفعل القراءة أثر في الردّ، وصار لعاطفة الجماعة أثر أيضًا في توجيه دفة الردّ.

لقد وجدنا في هذا المبحث أنّ ثقافة المتلقّي (خاصّا كان أم عامّا) لها دور في تشكيل تأثيره بالنّص، وقد كان للمتلقّي العامّ، وهم جماعة المتلقّين، تأثيرًا كبيرًا في الوقائع التاريخيّة التي حصلت، وإن لم يكن لأكثرهم حضور بارز في المدوّنة، وفي المبحث الأخير من هذا الفصل سنستعرض تأثير تغيير وجهة الحوار في نفس المتلقّي.

١ - نفسه والصفحة نفسها.

المبحث الثالث: التأثير العاطفي لتغيير وجهة الحوار

تتخذ الرسائل المتبادلة عادةً شكل الحوار بين المتراسلين؛ إذ يتحوّل المرسل إلى متلقٍ، ويتحوّل -تبعاً لذلك- المتلقّي إلى مرسل، وإذا كان المتراسلون أنداداً فإنّها تأخذ مسلك المناقشة والاعتراض وتعدّد وجهات النظر، وقد يعمد كلّ مرسل إلى دحض أطروحة خصمه، فيتخذ كلّ واحد الكلمة والحجّة وسيلةً لتغيير الأفكار والمعتقدات بدلاً من سلك مسلك السيف؛ فتكون الكلمة وسيلةً للإقناع، وقد يلجأ المتراسلون إلى العنف اللفظي القائم على التّكذيب والعناد دون الدّخول في معترك السيوف، وفي هذا يستمرّ ما يُسمّى بتغيير وجهة الحوار أو مسلك (البوليميكوس)^(١)، إذ تدلّ هذه الكلمة (السّجال) (polemic) على "الهجوم المكتوب على الآراء والسياسات"^(٢)، وهو كذلك "نظام في الخطاب يكون فيه للكلام مقصد دحضيّ قوي"^(٣)؛ فهو إذن يعتمد على خطابٍ حجاجيّ يتطلّع إلى وضعيّة القضاء على حجة الخصم إن لم يكن يتطلّع إلى القضاء على الخصم نفسه"^(٤)، وذلك قبل اللجوء إلى الحلّ بالسيف، وهو بالضبط ما نراه في مدوّنة البحث، إذ يعمد المتراسلون إلى حلّ كثير من الأمور من خلال التّراسل، وفي هذا المسلك من الحوار يستمرّ المتراسلون عواطف طرف ثالث أو متلقٍ آخر هو ما أطلقنا عليه سابقاً اسم (القارئ العام) الذي يشهد مجريات هذا الحوار، ويعمد المتراسلون إلى إثارة أهوائه ونوازعه ليكسبوا تأييده^(٥).

هذا النوع من الحوار سلبيّ في أحد جوانبه إذ يعتمد على العنف اللفظي من خلال استهداف حجة الخصم أو استهداف شخصيّته من خلال فضحه والتّشنيع عليه، ولكنّه إيجابيّ في جانب آخر إذ به تُحفظ الأرواح من خلال استمالة الخصم (القارئ الخاص) و(القارئ العام) دون اللجوء إلى الحرب.

وعلى ذلك نجد أنّ في مسلك (الباتوس) للإقناع ثلاثة أطراف، هي المرسل والمتلقّي و(القارئ العام) الذي يُشكّل قاعدةً أساسيّةً في عمليّة الإقناع والتّأثير، وهو كذلك يكون موجوداً

١- انظر: الججاج الجدلي، خصائصه الفنيّة وتشكلاته الأجناسيّة، ص ٣٢٩-٣٤٢.

2- The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms، pp. 198-199.

٣- معجم تحليل الخطاب، ص ٤٢٧.

٤- معجب العدوانى وضياء الكعبي، الخطاب السّجاليّ في الثقافة العربيّة، مقاربات تأويليّة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١١.

٥- انظر: الججاج الجدلي، خصائصه الفنيّة وتشكلاته الأجناسيّة، ص ٣٣٠.

في المسلّكين الآخرين (الإيتوس) و(اللوغوس)، ولكنّه أكثر حضوراً في المسلّك العاطفي؛ لأنّ مخاطبة عواطف الجمهور تكون أكثر نجاعةً من مخاطبة عقله، ولأنّ "الإنسان يتأثر بوجوده أكثر ممّا يتأثر بعقله"^(١).

إذن، نجد أنّ مسلّك (البوليميكوس) وتغيير وجهة الحوار من أجل إقناع المتلقين حاضر بقوة في مدونة البحث، وعلى ذلك سنرصد في هذا المبحث المواضيع التي غيّرت فيها المتراسلون وجهة الحوار للتأثير في عاطفة المتلقي خاصاً كان أم عاماً، ولا بدّ أن يكون لهذا التغيير مظاهر وصور، منها أن يصمّت المتلقي عن رسالة المرسل أو عن بعض ما ذكره في رسالته ليؤثّر في عاطفته أو عاطفة (القارئ العام)، ومنها أن يردّ المتلقي -بعد تحوّلِهِ إلى مرسل- على رسالة المرسل بأمور لم يذكرها فتتغيّر وجهة الحوار.

أولاً: الصّمت مغيراً لوجهة الحوار:

تتخذ الحوارات والمناظرات في العادة باستراتيجيات الرّد على النقاط التي يطرحها المحاور أو المناظر، وقد يلجأ الطرف المقابل إلى السكوت عن بعض النقاط المذكورة، فيكون لهذا الصّمت وظيفة نفسية إذ يملأ المتلقي البياض فيكون أكثر تأثراً في نفسه لأنّه مُنْشئ المعنى^(٢)، وقد يجسّد الصّمت رغبةً في التّصل من نتائج المناظرة والتّهرب من إلزام الحجة^(٣)، ولأنّ استهداف العواطف والأهواء "قد يكون صريحاً يعتمد أحياناً وسائل مباشرة وأحياناً وسائل غير مباشرة، وقد يكون خفياً يعتمد الإيحاء"^(٤)، وبما أنّ الرسائل المتبادلة تُنمى إلى أدب الرّدود كما تقدّم، فإنّ استراتيجية السكوت في بعضها حاضرة ولها ذات الوظيفة ووظائف أخرى، وهُنا سنحاول رصد مواضع الصّمت في مدونة البحث وكيف أثّرت في تغيير وجهة الحوار.

نبدأ بكتاب عليّ إلى السيّد عائشة قبل نشوب حرب الجمل^(٥) يطلب منها عدم الخروج للحرب والرجوع إلى المدينة ويدعوها إلى تقوى الله كعادة الوعّاظ، وهو كتاب ردّت عليه السيّد

١- في بلاغة الججاج، ص ٢٦٣.

٢- انظر: استراتيجيات السكوت والإسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي، ضمن كتاب "المسكوت عنه"، ص ١٧٠.

٣- عبد الطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ١٩٠.

٤- في بلاغة الججاج، ص ٢٨٥.

٥- انظر: جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٣.

عائشة بقولها: "جَلَّ الأمرُ عن العتابِ، والسلام" ^(١)، وتتجلى أمورٌ كثيرةٌ في هذا الردِّ على كتابِ عليٍّ؛ إذ سكنت السيِّدة عائشةٌ عن كتابِ عليٍّ كاملاً وبعثت له برِّاً يحملُ في طيّاته شحنةً عاطفيّةً كامنةً؛ إذ تقول إنَّ العتابَ لا يجدي في هذا الأمر، وإنَّها على رأيها في محاربتِهِ، ويُسكِّلُ هذا تغييرًا لوجهةِ الحوار؛ إذ نجدُ في ابتداءِ عليٍّ توجيهًا للحوارِ ناحيّة السِّلْمِ ولكنّه توجّه ناحيّة الحربِ في ردِّ السيِّدة عائشة، ويدلُّ على ذلك ردُّ طلحة والزبير على عليٍّ إذ قالوا: "أما أنتَ فلستَ راضيًا دون دخولنا في طاعتِكَ، ولسنا بداخلين فيها أبدًا، فاقضِ ما أنتَ قاضٍ" ^(٢)، وهو أمرٌ يشي برأيِ (القارئ العام) من أصحابِ الجَمَلِ الذين يرون رأيَ قادتهم في حربِ عليٍّ.

وفي مراسلةِ بين عليٍّ ومعاويةَ لما بويغ بالخلافة طلبَ عليٍّ من معاويةَ البيعةَ ^(٣)، فكان من معاويةَ أن ردَّ على الرسالة بالآتي: "من معاوية إلى عليٍّ، أما بعدُ: فإنَّه: [الخفيف]

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكُلَى وَصَرْبِ الرِّقَابِ" ^(٤)

فمعاويةُ من خلالِ ذكرِ هذا البيتِ يجعلُ الصِّمْتَ عن طلبِ عليٍّ البيعةَ مُعَيَّرًا لوجهةِ الحوارِ بالتهديد بالحربِ إذ تازرت لدى معاويةَ عاطفةُ الغضبِ وأرادَ أن يُثيرَ عاطفةَ الخوفِ لدى عليٍّ، وقد استعانَ معاويةُ بالبيتِ نفسه في ردِّه على كتابِ آخرَ لعليٍّ بعثه إليه وإلى مَنْ قَبْلَهُ من قريشٍ ^(٥) ذكرَ فيه حالَ قريشٍ في بدايةِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ وعداوتها للنبيِّ (صلى الله عليه وآله)، ثمَّ دعاهم إلى البيعةِ، فردَّ عليه معاويةُ بالبيتِ المذكور، "فقال عليٌّ عليه السلام لما أتاه هذا الجواب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾" ^{(٦)(٧)}، ويتبيَّن من تعليقِ عليٍّ أنَّ عاطفةَ الغضبِ لدى المتلقِّي قد تازرت فغيَّرَ وجهةَ الحوارِ من الردِّ على الكتابِ وما ورد فيه إلى الردِّ بهذا البيتِ الذي يُنبئُ بأنَّه لا يقبلُ إلَّا بالحربِ.

وقد صمَّت معاويةُ عن كتابِ لعليٍّ بعثه إليه بعد حربِ الجملِ قال فيه: "أما بعدُ: فإنَّ القضاءَ السَّابِقَ، والقَدَرَ النَّافِذَ، ينزلُ من السَّمَاءِ يَقْطُرُ كَالْمَطَرِ، فتمضي أحكامُهُ عَرَّ وجلَّ، وتنقُذُ

١- نفسه، ص ٣٣٤.

٢- نفسه والصفحة نفسها.

٣- انظر: نفسه، ص ٣٣٨-٣٣٩.

٤- نفسه، ص ٣٣٩.

٥- انظر: نفسه، ص ٤٠٨-٤٠٩.

٦- القصص/٥٦.

٧- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٠٩.

مشيئته بغير تحابِّ المخلوقين، ولا رضا الأدميين، وقد بلغك ما كان من قتلِ عثمانَ رِحمَهُ اللهُ، وبيعةِ النَّاسِ عامَّةً إِيَّايَ، ومصارِعِ النَّاكِثينَ لي، فادْخُلْ فيما دخل النَّاسُ فيه، وإِلَّا فَأَنَا الَّذِي عَرَفْتُ، وحولِي من تعلُّمه، والسَّلامُ"^(١)، فكتب إليه معاويةُ ردًّا عنوانه: "من معاويةَ إلى عليٍّ" وداخله: "بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ" لا غير. فعَرَفَ أَنَّ معاويةَ محارِبٌ له"^(٢)، إذ يَتَبَيَّنُ من هذا الكتابِ أَنَّهُ يُفَصِّلُ السَّكُوتَ على الرَّدِّ، ولهذا السَّكُوتِ دلالةٌ تَبَيَّنَتْ من التَّعليقِ على الكتابِ إذ عَرَفَ عليٌّ أَنَّ معاويةَ لن يبايعه وأَنَّهُ سيحارِبُهُ، وهذا تَغْيِيرٌ لوجهةِ الحوارِ.

وفي رَدِّ لعلِّي^(٣) على كتابٍ لمعاويةَ كان قد ختمه بشعرِ كَعْبِ بنِ جُعِيلٍ: [المتقارب]

"أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مَلِكَ الْعِرَاقِ	وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِيْنَا
وَكَلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا	يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ	وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا
فَقَالُوا: عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا	فَقُلْنَا: رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا: نَرَى أَنَّ تَدِينُوا لَهُ	فَقُلْنَا: أَلَا لَا نَرَى أَنَّ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ	وَصَرْبُ وَطْعُنُ يَفُضُّ الشُّؤُونَا
وَكُلُّ يُسْرٍ بِمَا عِنْدَهُ	يَرَى غَتًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا
وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُسْتَعْتَبٍ	مَقَالٌ سِوَى ضَمِّهِ الْمُخْدِثِينَا
وَإِثَارِهِ الْيَوْمَ أَهْلَ الذَّنُوبِ	وَرَفَعَ الْقِصَاصِ عَنِ الْقَاتِلِينَا
إِذَا سِيلَ عَنْهُ حَدَا شُبْهَةٌ	وَعَمَّى الْجَوَابَ عَلَى السَّائِلِينَا
فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ	وَلَا فِي النُّهَاهِ وَلَا الْأَمْرِينَا
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرُّهُ	وَلَا بُدٌّ مِنْ بَغْضٍ ذَا أَنَّ يَكُونَا" ^(٤)

١- نفسه، ص ٣٤٠.

٢- نفسه والصفحة نفسها.

٣- نفسه، ص ٣٥٣-٣٥٤.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١-٣٥٢.

فلم يرد عليّ على الشعر في حين أنّه ردّ على كلّ الكتاب، وسنبحث ردّه في فصل آخر من البحث تحت عنوان حجاجيّة الترتيب^(١)، ويهّمنا هنا صمّت عليّ عن الشعر الذي أوردّه معاوية إذ إنّ سكوتّه هذا يحمل شحنة حجاجيّة عاطفيّة لا تُلقِي بالاً لما ذُكر في الأبيات وتُغيّر من وجهة الحوار من خلال تغيير جُزء الختام في رسالة معاوية، ليستهدف عاطفة الغضب لدى متلقّيه.

ثانيًا: عاطفيّة تغيير وجهة الحوار:

تحدّثنا سابقًا عن اندراج الرّسائل المتبادلة تحت بند أدب الردود، الذي هو أحد تجلّيات الحوار والمناظرات، ولكنّه مناظرة مكتوبة، وكما في المناظرات والحوارات، فإنّ للمتحوّرين أساليب حواريّة يتميّزون بها، فبعضهم يردّ على نقاط المُحاور المقابل واحدةً بواحدة، وبعضهم يصمّت عن محاوره فلا يردّ عليه، وبعضهم يردّ بنقاط غير النّقاط التي ذكرها مُحاوره، فيحوّر الحوار ويُغيّر وجهته، وفي مدوّنة البحث توجد هذه الأنواع الثلاثة، أمّا النوع الأوّل فسنبحثه في فصل آخر تحت عنوان حجاجيّة الترتيب، وأمّا النوع الثّاني فقد تحدّثنا عنه أعلاه في حجاجيّة الصّمت، والنوع الأخير هو محور الحديث في هذا المبحث.

في كتاب معاوية بعثه إلى عليّ قبل ليلة الهيرير بعد أن قال عليّ: "لأنّا جزئهم مُصْبِحًا"، فبعث إليه معاوية كتابًا يُغيّر من وجهة الحوار، وليس الكتاب ردّا من معاوية على كتابٍ لعليّ، بل هو ردّ لهذا القول الذي تناقله النّاس؛ قال معاوية: "قد رأيتُ أن أعاودَ عليًّا وأسأله إقرارًا على الشّام، فقد كنتُ كتبتُ إليه في ذلك فلم يُجب إليّ، ولأكتبنّ ثانيةً، فألقي في نفسه الشكَّ والريّة"^(٢)، فكتب إليه: "أمّا بعد: فإنّك لو علمتَ وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت، لم يجنّها بعضنا على بعض، ولئن كُنّا قد غلبنا على عقولنا، لقد بقي لنا منها ما نندمُ به على ما مضى، ونُصلحُ به ما بقي، وقد كنتُ سألتُكَ الشّام على أن لا تلزمني لك بيعةً وطاعة، فأبيتَ ذلك عليّ، فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، ولا أخافُ من الفناء إلّا ما تخاف، وقد والله رِقّ الأجناد، وذهبت الرّجال، ونحن بنو

١- في الصفحة ١١٢ من هذا البحث.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٢٠.

عبد مناف ليس لبعضنا على بعضٍ فضلٌ، إلّا فضلٌ لا يُستَدَلُّ به عزيزٌ، ولا يُستَرَقُّ به حرٌّ، والسلام»^(١).

في هذا الكتاب يتوسَّل معاويةً بالعاطفة ليؤثِّر في نفسِ عليٍّ، فهو يُريدُ أن يستهدفَ في نفسه عاطفةَ الشَّفَقَةِ على من مضى من المسلمين ممَّن أكلته الحرب، ويستهدفُ كذلك عاطفةَ الحميَّةِ القبليةِ، ويتبيَّن أيضًا من مقدِّمة كتاب معاوية أنَّه يقصِّدُ من كتابه أن يلقيَ في نفسِ عليٍّ الشَّكَّ والرِّقَّةَ، وهذا واضحٌ في تضاعيف كتابه، ويظهرُ أيضًا من الكتاب ومن مقدِّمته مدى التَّغيير في وجهةِ الحوار؛ فعليُّ يُهدِّدُ بالمناجزةِ مصيِّبًا، ومعاويةُ يطلبُ وقفَ الحربِ متوسِّلًا باستهدافِ عواطفِ المتلقِّي، وإنَّ كلمةَ عليٍّ "لأنَّنا جزئهم مُصِيبًا" فشَّت -كما تقدَّم- بين النَّاسِ فتلقَّاها (القارئ العام) و(القارئ الخاص)، فصار كتاب معاوية كأنَّه رأي جماعته والَّذين يتبعونه بعدَ أن استُهدِفَتْ لديهم عاطفةُ الخوفِ.

وبعدَ أن اشتدَّ القتالُ في صفَّين وُفِّعَت المصاحِفُ كتب معاوية إلى عليٍّ: "أمَّا بعدُ: فإنَّ هذا الأمرَ قد طال بيننا وبينك، وكلُّ واحدٍ منا يرى أنَّه على الحقِّ فيما يطلب من صاحبه، ولن يُعطيَ واحدٌ منا الطَّاعةَ للآخر، وقد قُتِلَ فيما بيننا بشرٌ كثيرٌ، وأنا أتخوِّفُ أن يكونَ ما بقي أشدَّ ممَّا مضى، وإنَّا سوفُ نُسألُ عن هذه المواطنِ، ولا يُحاسبُ غيري وغيرك، وقد دعوتك إلى أمرٍ لنا ولك فيه حياةٌ وعذرٌ وبراءةٌ وصلاحٌ للأمةِ، وحقٌّ للدماءِ، وألفَةٌ للذِّين، وذهابٌ للصَّغائن والفتن: أن نُحكِّمَ بيني وبينكم حَكَمين مُرضيَّين، أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك، فحكَّمان بيننا بما أنزلَ اللهُ، فهو خيرٌ لي ولك، وأقطعُ لهذه الفتن، فانَّك اللهُ فيما دُعيت إليه، وارضَ بحكم القرآنِ إن كُنْتَ من أهله، والسلام»^(٢).

إنَّ استهدافَ عاطفةِ المتلقِّي واضحٌ في هذا الكتاب؛ إذ يستعينُ المرسلُ بسلطةِ القرآنِ الكريمِ ليؤثِّرَ في نفسِ المتلقِّي، ويستعينُ كذلك بعاطفةِ الشَّفَقَةِ على من مضى من المسلمين بسببِ الحرب، وعاطفةِ الخوفِ على من بقيَ منهم، وهذا الكتابُ باستهدافِهِ للعاطفةِ مُعَيَّرٌ لوجهةِ الحوار، لأنَّ الحالَ هي حالُ حربٍ، ومعاويةُ بهذا الكتاب يُريدُ أن يُغيِّرَ من هذه الحالِ إلى حالٍ أخرى من خلالِ تحكيمِ الحَكَمين، وقد أثَّرت هذه الرِّسالةُ في الطَّرَفِ الثالثِ للمراسلةِ (القارئ العام) الَّذين انقسموا فريقيْن في جيشِ عليٍّ، فريقٌ مالَ إلى رأي معاوية وهم الأكثرُ، وفريقٌ يأبى إلّا القتالَ، فصارَ لهذه الرِّسالةِ قوَّةٌ عاطفيَّةٌ ججاجةٌ دَفَعَتْ بغايتها إلى التَّحقُّقِ.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٢٠.

٢- نفسه، ص ٤٢٤.

وقد غَيَّرَ عليٌّ من وجهةِ الحوارِ في مراسلةٍ بينه وبين معاوية، وكان لهذا التَّغيير استهدافٌ لعاطفةِ المتلقِّي، إذ أرسل معاويةً إلى عليٍّ ردًّا اتَّهمه فيه بالإغراءِ بدمِ عثمان، فردَّ عليٌّ عليه بقوله: "أما بعد، فقد أتاني كتابُك كتابِ امرئٍ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاهُ الهوى فأجابته، وقاده فاتَّبَعَه..."^(١)، في هذه المقدِّمة يستهدفُ عليٌّ عاطفةَ المرسلِ من خلالِ تغييرِ وجهةِ الحوارِ، فمعاويةُ لم يقدِّم بمقدِّمة يستهدف بها عاطفةَ عليٍّ، ولكنَّ عليًّا وجَّهَ نقدًا للكتابِ وللشَّخصِ من خلالِ استهدافِ شخصيَّته، وقد تحدَّثنا عن حجةِ (آد هومنين) باستهدافِ إيتوس المتلقِّي وما فيها من شحنةٍ عاطفيَّة^(٢).

ختامًا لهذا المبحثِ نقولُ إنَّ لتغييرِ وجهةِ الحوارِ شحنةً حجاجيَّةً عاطفيَّةً من خلالِ جعلِ الصِّمتِ وسيلةً لاستهدافِ العاطفةِ، فيكونُ، هذا الصِّمتُ تغييرًا لوجهةِ الحوارِ من خلالِ بثِّ بعضِ العواطفِ في نفسِ المسكوتِ عنه، وكذلك بحثُ هذا المبحثِ عاطفيَّةً تغييرِ وجهةِ الحوارِ بالزَّردِ على النُّصوصِ بمقاصدٍ أخرى غيرِ المقصدِ الموجودِ في رسالةِ الابتداء.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

٢- في الصفحة ٤٣ من هذا البحث.

خاتمة الفصل الثاني

في هذا الفصل من البحث تحدّثنا عن استهدافِ عواطفِ المتلقّي بحجّة (الباتوس)، وقد عرّفنا هذه الحجّة بذكرِ مظاهرها، ثمّ انتقلنا في المبحثِ الأولِ إلى استهدافِ عواطفِ المتلقّي من خلال استثمار التناصّات المختلفة التي تتمثّل بسلطة النصّ الديني بالتناصّ مع القرآن الكريم والحديث الشريف، ثمّ التناصّ الأدبيّ مع الشعر والأمثال، ثمّ التناصّ التاريخي، وكيف تستهدف هذه التناصّات أهواء المتلقّي، وفي المبحث الثاني كانت الاستعانةُ بنظرية التلقّي من خلال كون فعل القراءة وأفق التوقّعات مؤثّرين في عواطف المتلقّي، وكان قياسُ تأثّر المتلقّي من خلال تحوّلِه إلى مرسل، وكيف تأثّرت عاطفة الجماعة أو (القارئ العام) بثقافتهم بعد قراءة المراسلات، أمّا المبحث الأخير فقد كان الحديث فيه عن التأثير العاطفي لتغيير وجهة الحوار، وتجلّي التغيير في أمرين، الصمت والتغيير، وكيف كان للسّجال اللفظي (البوليميكوس) أثر في توجيه الحوار والوصول إلى الغاية دون اللجوء إلى الحرب، وتطرّقنا إلى الحديث عن (القارئ العام) وكيف تأثّر بهذا التغيير في وجهة الحوار.

الفصل الثالث

استثمار الحُجَجِ العقلية (الوُغُوس)

الفصل الثالث: استثمار الحُجَجِ العقلية (اللوغوس)

توطئة:

في الفصل الأول تحدّثنا عن الإيتوس، وتبيّن أنّ (الإيتوس) مرتبطٌ بالإقناع والتأثير^(١) وهو الحجّة الخاصّة بالمرسل، وفي الفصل الثاني كان الحديث عن (الباتوس)، الأمر الذي كان ألصقٌ بالتأثير منه بالإقناع وهي حُجّة تستهدف المتلقّي، وفي هذا الفصل نحن نتحدّث عن (اللوغوس) الذي سيُتبيّن في هذه التوطئة أنّه حُجّة عقلية مرتبطةً بالعبارة، أو بمعنى آخر هي الصّلح الثالث من مثلث الحجاج؛ فالنص الحجاجي مثل أي نص -كما اتّضح- لا بُدّ فيه من مُرسلٍ ومتلقٍّ ورسالة، وقد أشار أرسطو إلى هذا المثلث فينّ أنّ كلّ مسلكٍ من مسالك الإقناع مرتبطٌ بأحد زوايا هذا المثلث، وبذلك نكون قد أحطنا بطرائق الإقناع والتأثير في مدونة البحث.

وقبل أن نستعرض آليات الحجاج بـ(اللوغوس) لا بُدّ من تعريف هذا المصطلح ومعرفة حدوده.

إنّ (اللوغوس) هو الإقناع بالحجّة العقلية، ونعني بالحجّة العقلية أن تكون متعلّقةً بالقول نفسه^(٢) وهو "يُحيل أيضًا في اليونانية على اللغة وتضام مفرداتها في أقوال مؤلّفة"^(٣)، في حين أنّ الحُجَّتَيْن الأخرَيْنِ متعلّقتان بالخطيب والمتلقّي، فهي حُجّة "تأتي من اللغة ذاتها"^(٤)، وقد عرّفت بأنها تعني "استخدام الطرائق العقلية أو الموضوعية في الحجاج"^(٥)، وعلى هذا يمكن القول إنّ (اللوغوس) هي كلّ عملية ذهنية يقوم بها المرسل لبناء خطابٍ ليتمكّن من إقناع متلقّيه، خاصًا كان أم كونيًا، وفي أكثر الأحيان تتوجّه حُجّة (اللوغوس) إلى المتلقّي الخاص والكوني؛ إذ يعمل النصّ على إقناع المتلقّي الخاص، ومن جهة أخرى يُحاول إقناع المتلقّي الكوني بصحّة آرائه فيُدعّن لها أو يزيد من درجة إزعاجه، ولحُجّة العبارة مظاهرٌ متعدّدة تظهر في الخطاب، فصناعة القياس وصناعة المغالطة من حُجّة العبارة، وكذلك يمكن عدّ بناء النصّ متماسكًا ومرتبًا

١- فصلنا القول في التمهيد حول هذين المصطلحين، وقلنا إنّ الإقناع مرتبطٌ بالحجج العقلية والتأثير مرتبطٌ بالعاطفة.

٢- انظر: الخطابة، ترجمة بدوي، ص ٣٠، وترجمة قنيني، ص ١٦.

٣- في الخلفية النظرية للمصطلح، ص ١٣.

٤- السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، ص ٧٢٠.

٥- في بلاغة الحجاج، ص ٧٢.

من حُجَّة العبارة؛ وذلك لأنَّ عمليَّتي التماسك والترتيب تتكوَّنانِ في ذهن المرسل، وقد تنتقلانِ إلى ذهن المتلقِّي فتكوَّنانِ خطابًا على الخطاب، وبينانِ ردًّا على الرسالة.

وهذا ما يتَّضح من خلالِ استقراءِ مدوِّنة البحث، إذ إنَّ هذه المدوِّنة ليست بدِّعًا من أيِّ خطابٍ آخر، يتوسَّلُ مُنشئوها بكلِّ الوسائلِ المناسبةِ للإقناع والتأثير، وحُجَّة العبارة ضلَعُ رئيسٍ في مثلث الإقناع كما تبين، إذ عمد المتراسلونَ إلى خطاباتهم فبنوها بناءً إقناعيًا، فسعوا إلى جعلِ نصوصهم متماسكةً، واستعانوا بالقياساتِ لبناءِ الحُجج، ورَتَّبوا هذه الحُججَ في نصوصهم بشكلٍ يُمكنُهم من إقناعِ المتلقِّي.

والأمورُ السابقةُ هي ما يمكنُ أن نرصده في مدوِّنة البحث؛ إذ سيتكوَّنُ هذا الفصل من مباحثٍ ثلاثة؛ الأولُ سنبحثُ فيه حِجاجةَ التماسكِ النَّصِّيِّ بمستوياته المختلفة مع الاستعانةِ بالروابطِ الحِجاجةِ في دعمِ استراتيجية (اللوغوس) للإقناع، أمَّا المبحثُ الثاني فسنتطرَّقُ فيه إلى توظيفِ القياسِ وكيف يملأُ المتلقِّي البياضَ المتمثِّلُ في القياس والاستعارة، وكيف تسهِّمُ هذه الاستراتيجية في الإقناع، وهل للقياس المغالط حضورٌ في المدوِّنة، وفي المبحثِ الثالثِ سنبحثُ حِجاجةَ الترتيب، إذ سنستقرئُ كتابًا وردًّا على هذا الكتابِ لبحثِ ترتيبِ الحُججِ فيهما.

وعلى ذلك، سيستعينُ البحث -إضافةً إلى المنهج الحِجاجةِ الحاكم- بالمنهج المنطقيِّ ومناهج لسانيَّات النَّصِّ، ومستعينينَ بالمنهجِ البنيويِّ بشكلٍ محدودٍ لرسمِ صورةٍ متكاملةٍ للمشهدِ الحِجاجةِ في المدوِّنة.

المبحث الأول: حجاجية التماسك النصي

يُشكّل مفهوم التماسك النصي^(١) أحد المفاهيم المهمة في علم النص "إذ به يُميّز بين النص وغير النص"^(٢)، وعلم النص هو علم تجاوز نحو الجملة الشائع في الدراسات وانطلق إلى نحو النص الذي هو "تمطُّ من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة، تمتدُّ قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص (أو الخطاب) بتمامه"^(٣)، ونحن لسنا بصدد عرض الآراء في ترجمة مصطلح Cohesion واختلافها بين الباحثين بين التماسك والتضام والانسجام والاتساق وغيرها، ولكننا سنختار مصطلح التماسك لشيوعه في الدراسات أكثر من غيره وانطباقه على أكثر معاني المصطلحات الأخرى^(٤)، ويمكننا تحديد مفهوم التماسك بما حدّدته دراسة الوداعي بقوله: "إنّه تعلّق وحدات النص بعضها ببعض، بواسطة علاقات أو أدوات شكلية ودلالية، تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى؛ لتكوّن في النهاية رسالة يتلقاها متلقٍ فيفهمها ويتفاعل معها سلباً أو إيجاباً"^(٥).

١- للمزيد حول مفهوم التماسك، انظر مثلاً،

- عيسى الوداعي، التماسك النصي في نهج البلاغة، المركز العلمي للرسائل والأطاريح، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصّاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- محمد الأخضر الضبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٨٠ وما بعدها.

- جمعان عبد الكريم، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، مجلة علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج ١ المجلد ١٦ مايو، ٢٠٠٧، ص ٢٠٩-٢٢٠.

- Halliday, M.A., K., Ruqaiya Hasan; Cohesion in English, Longman, London, 1976.

٢- التماسك النصي في نهج البلاغة، ص ١١.

٣- سعد مصلوح، العربية، من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث ضمن الكتاب التذكاري، عبد السلام هارون، معلماً ومؤلفاً ومحققاً، إعداد، د. وديعة النجم، و د. عبده بدويل، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، ص ٤٠٧.

٤- انظر: التماسك النصي في نهج البلاغة، ص ٣٠-٣٧.

٥- التماسك النصي في نهج البلاغة، ص ٣٨.

ونرى في عناصر هذا التعريف أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسلك (اللوعوس) إذ يتعلّق التماسك بالنصّ الذي هو ميدان حجة العبارة (اللوعوس)، وهذا التماسك يكون رسالةً إلى متلقٍ، وهذا هو جوهر الحجاج الذي يتكوّن من مرسِلٍ ومتلقٍ ورسالة.

وقد حدّد التعريف أنّ التماسك يكون بوساطة أدوات (شكلية ودلالية) وهذا يدلّ على وجود قسمين من التماسك؛ شكلي وداخلي، وعلى هذا سنقسّم هذا المبحث^(١).

أولاً: التماسك الشكلي:

نتحدّث هنا عن التماسك الشكليّ في نصوص المدونة، والتماسك الشكليّ ينقسم بدوره إلى مستويين؛ التماسك المعجمي والتماسك النحوي، وسنحاول التمثيل -بعد توضيح المفاهيم- لكلّ مستوى بعددٍ من الشواهد؛ إذ لا يمكن الفصل بين مستويات التماسك إلّا لأغراض بحثية.

١ - التماسك المعجمي:

وهذا المستوى من التماسك يكون عبر ظاهرتين لغويتين هما التكرار والمصاحبة المعجمية، والتكرار يكون عبر إعادة العنصر المعجمي أو الترادف بين الكلمات أو عبر وضع كلمة شاملة وتكرار ألفاظ تدلّ عليها وترتبط بها^(٢)، أمّا المصاحبة المعجمية فهي "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"^(٣)، وقد تحدّثنا عمّا يشبه هذه الظاهرة في الفصل الأول عند الحديث عن المعجم الحربي والمعجم الهوويّ لبناء الفضيلة^(٤)، وسنفضّل القول حول هاتين الظاهرتين عند الاستشهاد من نصوص المدونة على حجاجيتهما.

أ- التكرار: قلنا إنّ التكرار في النصّ يجعله متماسكاً لدى المتلقّي ممّا يسهم في فهمه، ويكون التكرار كما تقدّم بإعادة العنصر المعجمي نفسه أو من خلال مرادفه أو لفظ متعلّق به، وعند النظر في نصوص المدونة وجدنا التكرار ظاهراً فيها، ومثالاً على ذلك قول عليّ في كتاب

١- هذا التقسيم قسمه الوداعي في دراسته حول التماسك النصّي في نهج البلاغة.

٢- انظر: التماسك النصّي في نهج البلاغة، ص ٦٠-٦٦.

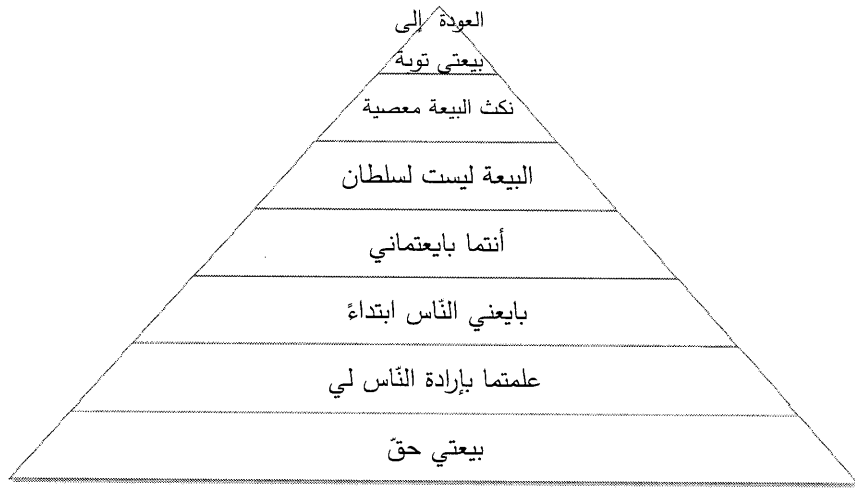
٣- انظر:

Cohesion in English, p284.

٤- في الصفحة ٤٠ من هذا البحث.

إلى طلحة والزبير: "أما بعد: فقد علمتُما -وإن كنتمُما- أني لم أريد الناسَ حتى أُرادوني، ولم أباعِهم حتى بايعوني، وإنكما لمِمن أُرادني وباعيني، وإن العامة لم تباعيني لسلطان غالبٍ ولا لعرضٍ حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعاً وتوباً إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية..."^(١).

فعلي في هذا النص يُكرّر مشتقات لفظ (البيعة) بصيغها المختلفة ليذكر طلحة والزبير بما كان منهما حينما بايعاه، وهو بهذا التكرار لا يذكرهما فقط بهذه البيعة وإنما يوضح لهما صحة موقفه من خلال توضيح رأي الناس في بيعته، وهذا التكرار -أيضاً- جعل النص متماسكاً ليتمكّن من إقناع المتلقّي ويمكن التمثيل لهذا التماسك بالشكل الآتي:



في هذا الشكل الهرمي يمكننا القول إن القاعدة التي وضعها علي -وإن كانت غائبة نصّاً- هي أن بيعته حق، وذلك من خلال ترتيب الحجج بطريقة تجعل النص متماسكاً ومتنامياً؛ فكل حجة في هذا الشكل تجر الحجة التي بعدها لتبني من خلال التكرار نصاً متماسكاً يُراد به إقناع المتلقّي بقاعدة الهرم (أحقية البيعة)، هذا العنصر المعجمي (البيعة) شكّل محوراً يدور حوله النص، وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه (تكرار التبيين) وهو "تكرار عنصر معجمي (بلفظه تاماً أو جزئياً أو بمراحله) أو تكرار صيغة تركيبية في نص ما بهدف إدارة النص عليها وجعلها محوراً له"^(٢).

ويمكن التمثيل لتكرار التبيين هذا بكتاب معاوية إلى علي: "أما بعد: فإننا بني عبد مناف لم نزل من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائنا على

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٣٢-٣٣٣.

٢- التماسك النصّي في نهج البلاغة، ص ٦٥.

قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، وألفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرمُ العرق، ويحونا شرفُ النّجار، ويحنو قوينا على ضعيفنا، ويواسي غنيّا فقيرنا، قد خلّصت قلوبنا من غلّ الحسد، وطهرت أنفسنا من خُبث النّيّة، فلم نزل كذلك حتّى كان منك ما كان من الإذهان في أمر ابن عمك...^(١)، فهو يجعل في هذا النّص كلمة (بني عبد مناف) بؤرة دار حولها هذا النّص المقتطع، وما جعل النّص متماسكاً بدورانه حول هذه البؤرة / المحور هو تكرار الصيغة التركيبية (اسم + الضمير (نا) "المضاف إليه") وذلك في الألفاظ التالية: (بعضنا) و(قائنا) و(قاعدنا) و(كلمتنا) و(ألفتنا) و(دارنا) و(قوينا) و(ضعيفنا) و(غنيّا) و(فقيرنا) و(قلوبنا) و(أنفسنا)، وقد تكرر هذا الضمير العائد على البؤرة (بني عبد مناف) في قوله: "يجمعنا كرمُ العرق، ويحونا شرفُ النّجار" بصورة (الفعل المضارع + الضمير (نا) "المفعول به")، هذا البناء المتماسك لهذا القسم من النّص ينبغي أن يكون عند المتلقّي صورة نصيّة مُقنعة لينتقل إلى غرض النّص الأساسي الذي هو التعريض بالإمام عليّ، فهو عندما يفتتح خطابه بمديح بني عبد مناف ثم ينتقل إلى هجاء عليّ ويذكر ما صنع بعثمان، وكيف تسبّب بقتله فإنّه انتقل بالمتلقّي من فضاء إلى فضاء آخر أكثر قتامةً وسوداويةً، بما يجعل الكلمات والأساليب اللغوية المستخدمة أكثر قوّة وتأثيراً في المتلقّي ويهيئه للدفاع عن نفسه^(٢).

وبهذا نكون قد استشهدنا بمثالين من نصوص المدونة على التكرار والأمثلة على ذلك وافرة، يدور الأول حول تكرار المفردة، ويدور الثاني حول تكرار الضمير العائد على البؤرة وبتكرار الصيغة التركيبية.

ب- المصاحبة المعجميّة: "هي ارتباط كلمة بكلمة أخرى، كارتباط (القضاء) ب(القدر)، و(الدنيا) ب(الآخرة)"^(٣) والناظر في هذا المثال يجد أنّ العلاقة الرابطة بين الألفاظ تجعل النّص متماسكاً الأمر الذي يسهّل الفهم على المتلقّي، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المتلازمات اللفظيّة)، إذ يعمد المرسل إلى إحكام تماسك النّص بكلمات أو عبارات تتعلّق بعضها ببعض الظواهر كالطباق أو الجزس الموسيقي أو بعلاقة أخرى، ويمكننا أن نمثّل للتماسك من خلال المصاحبة المعجميّة بكتاب الإمام عليّ إلى معاوية: "أما بعد: فإنّ القضاء السابق، والقدّر النّافذ،

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٦.

٢- عيسى عودة برهومة وماهر أحمد مباضين، الخطاب السجالي في رسائل عليّ ومعاوية، آلياته وتقنياته، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٣، الملحق ٤، الجامعة الأردنية، ٢٠١٦م، ص ١٨٥٨، والجدير بالذكر أنّ الباحثين استخدموا هنا مصطلح التأثير بالكلمات وقد آثرنا استخدام مصطلح الإقناع لغرض الحجاج بالكلمة والعبارة (اللغوس).

٣- التماسك النصّي في نهج البلاغة، ص ١١١.

ينزل من السماء يُطَرّ كالمطر، فتمضي أحكامه عز وجل، وتنقذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين، ولا رضا الأدميين، وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله، وبيعة الناس عامة إياي، ومصارع الناكثين لي، فادخل فيما دخل الناس فيه، وإلا فأنا الذي عرفت، وحولي من تعلمه، والسلام»^(١).

يتكئ المرسل في بذبه النص على التصوير، وقد استخدم في هذا التصوير متلازمات لفظية كالقضاء والقدر، والأحكام والمشية، والمضي والتفاد، إذ كَوّن بينها مصاحبة معجمية كي يُرسي في ذهن المتلقي الدلالة الكبرى للنص، وهي أن بيعة الناس إياه أيضًا من قضاء الله وقدره، فلا يُجهّد المتلقي تفكيره بل يقتنع بالفكرة الرئيسية بسهولة ويُسر بعد أن تؤدي المصاحبة المعجمية وظيفتها في النص إذ تُحدث قوة سابقة حين تبرز في جمل متجاوزة^(٢).

وفي الموضوع نفسه نجد أن عليًا استخدم الطباق ليُنْعِج معاوية بأحقية موقفه فقال في ردّ عليه: «أما بعد: فإننا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرّق بيننا وبينكم أمسّ أمّا آمنّا وكفرتم، واليوم أمّا استقمنا وفُتِنْتُمْ، وما أسلم مسلمكم إلا كُرْهًا، وبعد أن كان أنف الإسلام كلّهُ لرسول الله صلى الله عليه وآله حرباً»^(٣)، إذ نجد الطباق في الكلمات الآتية: (الألفة والجماعة / فرّق)، (وأمس / اليوم)، و(أمّا / كفرتم) و(استقمنا / فُتِنْتُمْ)، إذ إنّ وجودها في جمل متجاوزة جعل النص متماسكًا ممّا يُسهّل إقناع المتلقي بالغرض الأساس من النص كما في النص السابق.

٢ - التماسك النحوي:

تشكّل القواعد والأدوات النحوية رباطات تربط النص ببعضه ببعض، وقد فطن النحاة إلى دور الأدوات النحوية ففصلوا القول فيها وفي معانيها وطرق ربطها للنصوص، وتماسك النص نحويًا بهذه الأدوات يعني أنّه يؤدي لتيسير الفهم لدى المتلقي الذي لن يجد صعوبة في فهم المراد من النص ليقتنع بما فيه، وهذه هي غاية الحجاج كما هو معروف.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠.

٢- انظر:

Cohesion in English, p286.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٨-٣٦٩.

ولمّا كانَ للأدوات النّحويّة هذه الأهميّة فقد أولاهما ديكرو وأنسكومبر اهتماماً في نظريتهما عند حديثهما عن الرّوابط الحجاجيّة والعوامل الحجاجيّة، وهما يفرّقان بين هذين المفهومين؛ فالرّوابط الحجاجيّة هي "ما يربطُ بين الأقوال من عناصر نحويّة مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ^(١) وأما العوامل الحجاجيّة فهي "ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنّفي أو مكوّنات معجميّة تُحيلُ في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفيّة و"تقريباً" و"على الأقل"... إلخ ^(٢)، فالرّوابط إذن "تسند لكلّ قولٍ دوراً محدّداً داخل الاستراتيجية الحجاجيّة العامّة" ^(٣)، وأما العوامل فإنّها "تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة لقولٍ ما" ^(٤)، وقد يُضمَرُ الرّابط الحجاجيّ، كما قد تُضمَرُ الحجّة أو النّتيجة ^(٥).

وإذا درجَ النّحاة القدماء على دراسة الرّوابط من خلال التّركيز على خصائصها الدّلاليّة والمعنويّة من خلال الكتب الّتي اختصّت بالأدوات النّحويّة، فتحدّثوا عن معاني هذه الأدوات / الرّوابط، وفصلوا فيها في كتب مطوّلة ^(٦)؛ فإنّ "الرّواية الّتي أطلّت منها البحوث اللسانيّة التّداوليّة على هذا الموضوع تختلف جذريّاً عن سابقتها. ووجه الاختلاف يتمثّل في التّركيز على البعد التّداوليّ والحجاجيّ للرّوابط" ^(٧)، إذ إنّ الرّابط الحجاجيّ "يوسّع مفهوم العاطف التّقليديّ بجمع عبارات تنتمي إلى مقولاتٍ نحويّة متنوّعة من أدوات العطف، وأدوات وعبارات الرّبط التّعليقيّ والمردائف" ^(٨) فهي إذن "روابط ذات طاقات استدلاليّة حجاجيّة تخدمُ الخطاب في بناء قصديّته وفق المعهود اللغويّ خارج إجراءاتها التّعديديّة" ^(٩).

١- شكري المبخوت، نظريّة الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريّات الحجاج في التّقاليد الغربيّة، ص ٣٧٦-٣٧٧.

٢- نفسه.

٣- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة ضمن كتاب، الحجاج، مفهومه ومجالاته، ج ١، ص ١٩٩.

٤- نفسه.

٥- انظر: عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآنيّ، دراسة في نصوص التّرجيب والتّرهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٦، ص ١٤٩ وما بعدها.

٦- انظر على سبيل المثال، مغني اللبيب لابن هشام، الأزهية للهرويّ، الجنى الذاني للمراي.

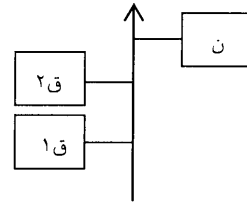
٧- جواد ختام، التّداوليّة أصولها وأثباتها، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٦م، ص ١٥١.

٨- معجم تحليل الخطاب، ص ١٢٧.

٩- أحمد كروم، الرّوابط الحجاجيّة وطاقات الاستدلال، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة الكويت، العدد ١٣٦، السنة، ٣٤، خريف ٢٠١٦م، ص ٦٦.

وليس النحاة فقط الذين درسوا الروابط، بل نجد في كتب البلاغة موضوع الفصل والوصل الذي يتحدث عن الروابط أو غيابها، ولعل أهم المصادر القديمة التي تحدثت عن هذا الموضوع وبالأخص في نظرية النظم هو كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني^(١).

وتساهم الروابط الحجاجية في تماسك النص كما تقدم من خلال توجيه السلم الحجاجي الذي هو "علاقة ترتيبية للحجج"^(٢) "إذ تُبنى الحجج وفق علاقة ترتيبية تجعل أقواها (ق ٢) يقع على رأس السلم وأضعفها (ق ١) يقع في أسفله"^(٣) وهذا الترتيب في الحجج يخدم النتيجة (ن)، ويمكن أن نرمز للسلم الحجاجي بما يأتي:



وبذلك يمكن أن نقول إنَّ الحجة الأضعف لا يمكن أن تأتي في مكان الحجة الأقوى؛ لأنَّ خدمة الحجة الأقوى للنتيجة أكثر من خدمة الحجة الأولى (الأضعف)، وللسلم الحجاجي قوانين تنظمه؛ وهي^(٤):

١- **قانون النفي:** إذا كان القول (أ) مستخدماً لخدمة نتيجة معينة، فإنَّ نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

٢- **قانون القلب:** يرتبط بالقانون السابق ومفاده: السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية؛ فمنفي الحجة الأولى أقوى من منفي الحجة الثانية، مع الانتباه إلى أنَّ الحجة الثانية أقوى من الأولى حسب السلم الحجاجي.

٣- **قانون الخفض:** إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

١- دلائل الإعجاز، ص ٢٢٢-٢٤٨.

٢- آليات الججاج القرآني، دراسة في نصوص الترهيب والترهيب، ص ٥٦.

٣- كمال الزماني، حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (عليه السلام)، ضمن كتاب، التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٦م، ص ٤٨٥.

٤- تلخيص من، الحجاج في اللغة، ج ١، ص ١٩٥-١٩٨.

ويوجد مفهوم آخر هو مفهوم الموجّهات الجاجيّة وهي "مجموع العبارات -غير البريئة- التي يوظّفها المتكلّم مستفيدًا من دلالتها ومستعينًا بالسياق الذي أنتجت فيه لتسويغ تدخل ذاته في بلوغ المعنى المراد وتقوية الوجهة الجاجيّة المأمولة"^(١) وتقوم الروابط الجاجيّة بدور التوجيه للانتقال من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى وصولًا إلى النتيجة.

وبناءً على ما تقدّم سنرجع إلى مدوّنة البحث لتحليل نصوصٍ وُظّفت فيها هذه الروابط لبناء نصّ متماسكٍ نحويًا، وكيف ساهم هذا التماسك النحوي في توجيه السّلم الجاجي، لأنّ "الها القدرة على أن تُسلسل القضايا، من هنا تنقل الروابط الجاجيّة الملفوظ من بنية الإخبار والإبلاغ إلى بنية الجاج"^(٢) حتّى يتمكّن المرسل من إقناع المتلقّي من خلال حُجّة العبارة (اللوغوس)، وسنركّز في التحليل على نصوص كاملة من الرسائل وليس على نصوصٍ مُجتزأة كما في الأمثلة السابقة واللاحقة لنقف على هذه الظاهرة من ظواهر التماسك.

وسنُحلّل هنا نصًّا واحدًا كاملاً من رسالة ردّ لمعاوية على عليّ يقول فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن صخرٍ إلى عليّ بن أبي طالب: أمّا بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان، لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغزيت بدم عثمان المهاجرين، وخدّلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شوري بين المسلمين، وإنما كان الحجازيون هم الحُكّام على النَّاس والحق فيهم، فلمّا فارقه كان الحُكّام على النَّاس أهل الشام، ولعمري ما حُجّتك عليّ كحُجّتك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك ولم أبايغك، وما حُجّتك على أهل الشام كحُجّتك على أهل البصرة، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام؛ فأما شرفك في الإسلام، وقربتك من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وموضعتك من قريش فلست أدفعه"^(٣)، وقد ختم الكتاب بشعرٍ لا داعي لاستعراضه.

بيّنّا أنّ الروابط الجاجيّة تساهم في توجيه السّلم الجاجي؛ فيكون النصّ في كُليّته داعيًا للنتيجة النّهائيّة للسّلم، و"غالبًا ما تكون الحجّة الأولى المطروحة في الخطاب مُهيأة"^(٤) للمتلقّي ومحفزة لذهنه على التّواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعديّة على وفق قوتها؛

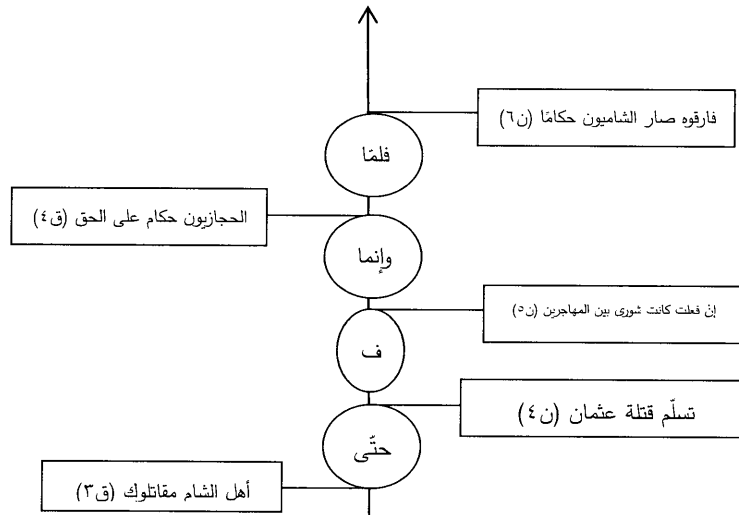
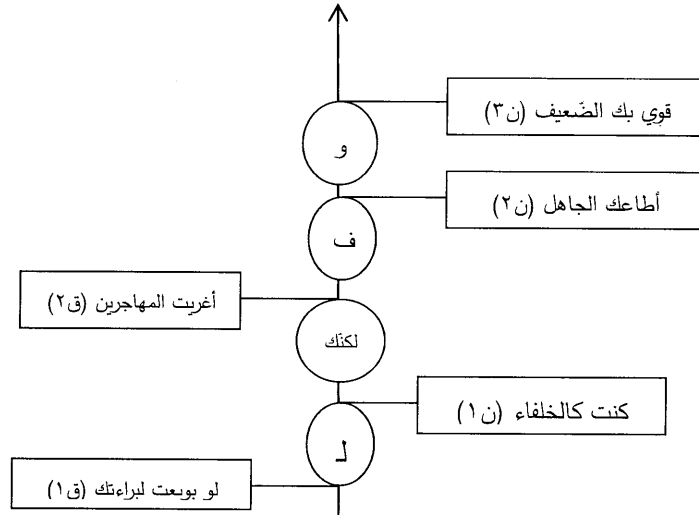
١- أحمد قادم، "بانث سعاد" لكعب بن زهير-مقاربة جاجيّة-، ضمن كتاب، التحليل الجاجي للخطاب محكّمة)، ص ٥٧٢.

٢- أسلوبيّة الجاج التّداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص ٧٣.

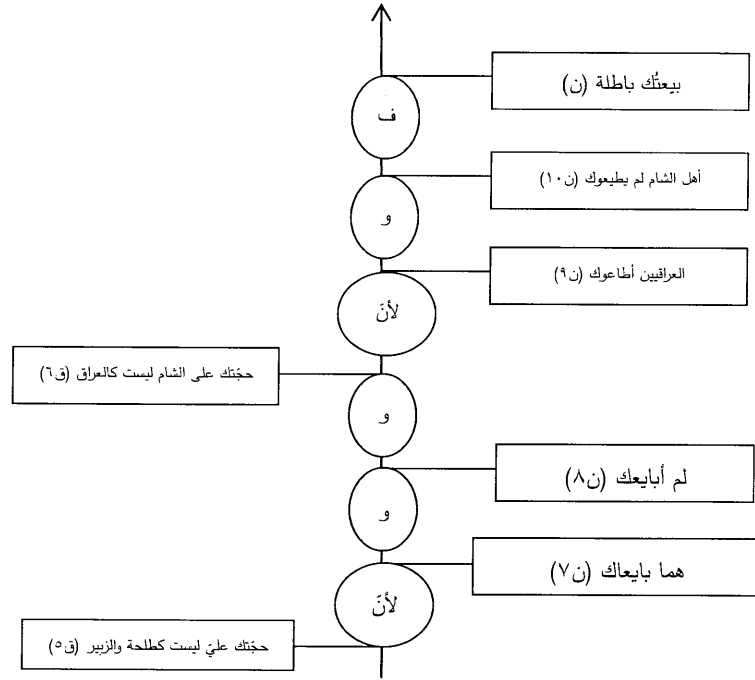
٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

٤- كان الأجر به أن يكتبها، مُهيّئة، بصيغة اسم الفاعل.

لاستمالة المتلقّي وإذعانه^(١)، وإنّ الحُجَجَ مُجْتَمِعَةً في هذا النَّصِّ تدعمُ أطروحةَ المرسلِ (النّتيجة) من عدمِ أحقيّةِ البيعةِ للمتلقّي، وتُشكّلُ أيضًا كُلَّ مجموعةٍ من الحُجَجِ برباطاتها الخاصّة بين بعضها أطروحاتٍ جزئيّةٍ (نتائج) يُريدُ المرسلُ بجمعها أن يُقوِّي حُجَّتَه لِيُذعنَ لها المتلقّي، وعلى ذلك سنضعُ سلّمًا حجاجيًا لترتيب كلّ الحُجَجِ بنتائجها الجزئيّة وتبيين كيفية توجّيه الرّوابط لهذه الحُجَجِ على جِدة، وصولًا إلى النّتيجة النّهائيّة، إذ ستكونُ الرّوابطُ في كلّ سلّمٍ من السّلام الآتية في وسطِ السّلّم، وستكونُ الأقوال (الحُجَج) على يسارِ السّلّم، وستكونُ النّتائج على يمينه:



١ - أسلوبيّة الحجاج التّداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ص ١٢١.



في هذه السلالمة الثلاثة أعلاه نجد أنَّ الروابط عملت عمل التوجيه للحجج، هذا التوجيه كان من الحجة الأضعف في أسفل السلم الأول والتي رمزنا لها بالرمز (ق ١) إلى أن وصلت إلى الحجة الأقوى في السلم الثالث التي رمزنا لها بالرمز (ق ٦)، ونجد أنَّ النتائج التي وصل إليها التحليل بعد كل مجموعة من الحجج (الأقوال) تُفضي في نهايتها إلى النتيجة الكبرى المرموز لها بالرمز (ن) وهي عدم أحقية البيعة لعلي كما يقول معاوية، ولكن هذه الحجة الكبرى وربطها (ف) جاءا مُضمَرين في تضاعيف الكلام، والذي يؤيد هذه النتيجة خاتمة الرسالة التي لم نضعها في السلم ولكن لها ولربطها مكان في دعم الحجة، وهي قوله: "قاماً شرفك في الإسلام، وقربتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعك من قريش فلست أدفعه"^(١)، فالفاء التي شككت رابطاً جعلت النص متماسكاً وبنّت -مع الروابط السابقة- حاجة متسلسلة ينبغي أن تُفضي إلى إذعان المتلقي أو إلى جعله يفكر في ردّ متماسك مبني على الحجج العقلية، وهذا ما فعله علي في رده^(٢)؛ إذ بنى رده على نقض أطروحة معاوية بالحجج العقلية مستخدماً ذات الروابط التي تُوجّه الحجج عند معاوية، ولعل في عدم ردّ معاوية على ردّ علي إزعاعاً خفياً لحججه.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١.

٢- انظر: نفسه، ص ٣٥٣-٣٥٤.

ثانيًا: التماسك الداخلي:

في هذا القسم نتحدث عن مستويين يشكّلان التماسك الداخلي للنصوص، هما التماسك الدلالي والتماسك التداولي، وسنوضح المقصود من كلّ مستوى ونمثّل له من نصوص المدونة.

١- التماسك الدلالي:

التماسك الدلالي هو "الذي يتمّ على مستوى البنية العميقة للنصّ، أي على مستوى التّصورات والمفاهيم والعلاقات الرّابطة بين هذه المفاهيم"^(١)، وقد وُضعت معايير لهذا التماسك، ومن ذلك ما وضعه دي بوجراند، إذ وضع ثلاثة معايير؛ وهي^(٢):

١- العناصر المنطقيّة كالسببيّة والعموم والخصوص.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣- السّعي إلى التماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانية، ويتدعّم بتفاعل المعلومات التي يعرضها النصّ مع المعرفة السابقة بالعالم.

والناظر في هذه المعايير يرى ارتباطها الوثيق بحجّة (اللوعوس)، من حيث إنّ نصوص المدونة مليئة بالعناصر المنطقيّة وبالمعلومات وهي كذلك متفاعلة مع المعرفة السابقة للعالم، وسنرصد ذلك في نصوص المدونة من خلال هذه المعايير الثلاثة، وإنّ أولى خطوات البحث في التماسك الدلالي هي رصد موضوع النصّ وكيفيّة بنائه^(٣).

٢- التماسك التداولي:

ترتبط التداوليّة بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، ذلك أنّها "اتّجاه في الدّراسات اللسانية يُعنى بأثر التّفاعل التّخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبّع هذا التّفاعل دراسة كلّ المعطيات اللغويّة

١- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٤١.

٢- انظر: روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٠٣.

٣- التماسك النّصّي في نهج البلاغة، ص ٢٣٨.

والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق^(١)، ويتبين من هذا التعريف أنَّ الفعل الجاجي في الأساس فعلٌ تداوليٌّ لأنه متعلقٌ بأثر التفاعل الخطابي، والنص في النظرية التداولية متعلقٌ بسياقه^(٢)، وهذا ما سنحاول تتبعه، فكيف يبني السياق النص لتكوين حجة (لوغوسية) يقتنع بها المتلقي؟

سنستشهد هنا -كما فعلنا سابقاً- بنصٍ كاملٍ من نصوص المدونة، وسننظر في سياقه غير اللغوي لنعرف كيف أثر هذا السياق في بناء النص، النص هو ردٌّ من أحد ولاته وهو قيس بن سعد واليه على مصر، يقول سعد: "أما بعد يا أمير المؤمنين: فقد عجبْتُ لأمرِك! أتأمرني بقتال قوم كافرين عنك، مُفرغيك لقتال عدوك، لم يمدُّوا يداً للفتنة، ولا أرسدوا لها؟ وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك، فأطعني يا أمير المؤمنين واكفُف عنهم، فإن الرأي تركهم، والسلام"^(٣).

إنَّ سياق هذه اللغة التي يتحدَّث بها قيس مع عليٍّ هي ما ورد في المكاتبات بين قيس ومعاوية، وقد بلَغ عليًّا أنَّ قيساً قد بايَعَ معاويةً وذلك لأنَّ معاويةً قد اختلق كتاباً على قيس بن سعد يُعطي فيه البيعة لمعاوية، فكتب عليٌّ إليه ليقاتل جماعةً من الناس فردَّ عليه بهذا الردِّ، فعزَّله عليٌّ عن ولاية مصر وولى محمَّد بن أبي بكر عليها^(٤).

بعد معرفة هذا السياق يمكن أن نقرِّر أنَّ النص ينبغي له أن يؤدِّي غرضه، خاصة وأنَّ المرسل قد حاول أن يبني حُججاً منطقيةً من قبيل قوله: "أتأمرني بقتال قوم كافرين عنك" وقوله: "وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك"، وغيرها من الحجج، وهكذا رأينا أنَّ السياق قد بنى نصاً إقناعياً، والملاحظ أيضاً أنَّ مستويات التماسك كلها تتضافر ولا يمكن الفصل بينها إلا لغرض البحث والتحليل.

عرَضنا في هذا المبحث قضية التماسك النصي وعرفنا طاقتها الإقناعية التي توجه الخطاب من أجل جلب اقتناع المتلقي بما يرد في الخطاب، وقد قسمنا التماسك إلى قسمين؛ شكلي يتمثل في التماسك المعجمي والتماسك النحوي، وداخلي يتمثل في التماسك الدلالي

١- عثمان بن طالب، البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، سلسلة اللسانيات، العدد ٦، الجامعة التونسية، ١٩٨٦م، ص ١٢٥.

٢- انظر: معجم تحليل الخطاب ص ٤٤٣.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٤٦٦.

٤- انظر: نفسه، ص ٤٥٩-٤٦٩.

والتّماسك التّداولي، وفي المبحث التّالي سنستعرض قضية أخرى تستدعي إعمال العقل من أجل
الاقتناع وهي قضية ملء نقطة البياض.

المبحث الثاني: ملء نقطة البياض

المقصود من نقطة البياض هنا هو المحلّ الشاغر الذي هو الجانب الخفي أو الضمني والغامض، والذي يجب على المخاطب الكشف عنه وإظهاره انطلاقاً من عناصره البارزة حتى يملأه من خلال عملية ذهنية يقيس فيها المتلقي ما قدّمه إليه المرسل ليملاً ما أضمره^(١)، وتعتمد هذه العملية على ثقافة المتلقي وسعة مداركه، ولعملية ملء نقطة البياض هذه عدّة أشكال، ويُعنى البحث هنا بشكّلين منها؛ القياس والاستعارة، على أنّ الاستعارة قياس ولكنها مرتبطة بالبلاغة أو المجاز خصوصاً، في حين أنّ القياس مرتبط بالمنطق، وعلى ذلك سيكون لهذا المبحث قسمان، الأول متعلّق بالقياس والثاني متعلّق بالاستعارة، وسنعرف كلّ مصطلح بما يفيد منه البحث ونذكر أشكال كلّ مصطلح ومفاهيمه في حينه ومدى وروده في مدونة البحث، وكيف استثمره المترسلون لإقناع المتلقين بأرائهم وأطروحاتهم.

أولاً: توظيف القياس:

القياس عملية منطقية عقلية تُعرف بأنها قول مركّب من قضيتين أو أكثر، متى سلّم لزم عنه لذاته قول آخر (يسمى النتيجة)، نحو: العالم متغيّر، وكلّ متغيّر حادث، فهذا قياس مركّب من مقدّمتين:

أولاهما: العالم متغيّر. (صغرى)

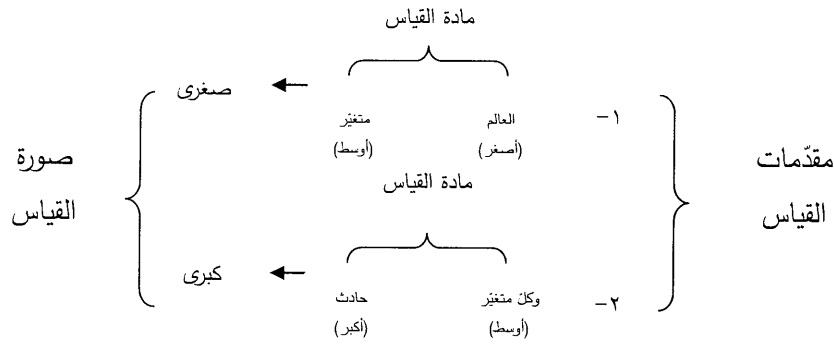
وثانيتهما: وكلّ متغيّر حادث. (كبرى)

فإذا سلّمهما الخصم لزمهما قول آخر وهو: فالعالم حادث. (النتيجة)

١- انظر: كمال الزماني، حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ضمن كتاب، التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ٤٧٤.

فلا نتيجة فيه إلا بعد تسليم المقدمتين^(١)، وللقياس أنواعٌ أوصلها بعض الباحثين إلى ٢٨ نوعاً^(٢).

وثمة اصطلاحات يستعملها المنطقي في بحث القياس نجمها في الترسيم التالية^(٣):



النتيجة ← العالم حادث = المطلوب

(أصغر) (أكبر)

وقد كان في شرح الشيخ ميثم البحراني على نهج البلاغة حضور لهذا النوع من الاستدلال العقلي المرتبط بحجة العبارة (اللوغوس)، وعلى ذلك سنستعين به في رصد بعض مواضع هذا القياس في مدونة هذا البحث وبخاصة في رسائل الإمام علي، إذ يقول الإمام علي في رسالة إلى معاوية: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه"^(٤)، وفي هذا القول "صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الأول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغاية صدقها بصدق ملزومها، وتقدير الكبرى: وكل من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم أن يختار غير من بايعوه ولا للغائب عنها أن يردّها، ينتج عنها أنه ليس لأحد ممن حضر أو غاب أن يردّ بيعتهم له، وذلك يستلزم كونه لازمة لمن حضر أو غاب، وهذه النتيجة هي قوله: "فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ"^(٥).

١- السيد جعفر الحسيني، معجم مصطلحات المنطق، دار الاعتصام، قم، الطبعة الأولى، بلا تاريخ، ص ٢٤١.

٢- انظر: نفسه، ص ٢٤٣-٢٥٤.

٣- انظر: محمد صنقور علي البحراني، أساسيات المنطق، حوزة الهدى للدراسات الإسلامية، البحرين، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٠ - ص ٣٦٣.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٤٠.

٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، تصحيح، عدد من الأفاضل، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، دون تاريخ، ج ٤ / ص ٣٥٣.

والمقصود من الشكل الأول "قياس يكون الحد الأوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى"^(١)، إذ قدر الشارح كبرى القياس، وهو نقطة البياض التي ينبغي للمتلقى أن يملأها، فالإمام ينشئ قياساً يبين فيه صحة مبايعته من خلال مبايعة الناس الذين بايعوا الخلفاء الراشدين قبله له.

وقد استعمل الإمام في أحد كتبه إلى معاوية قياس ضميرين، وذلك في قوله: "فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك"^(٢)، وهذا القول "في قوة صغرى ضميرين تقدير كبرى الأول: وكل ما كان منقطعاً زائلاً وجب أن يُقطع الأمل فيه لانقطاعه وتجاذب الشيطان في دعوته إليه، وتقدير كبرى الثاني: وكل ما كان قريباً فينبغي أن يستعد لوصوله بالعمل"^(٣).

وليست كتب الإمام علي فقط التي يُستخدَم فيها القياس؛ إذ نجد في مراسلات معاصريه أيضاً استخداماً للقياس، يقول معاوية في ردّ على الإمام علي: "فحتّام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية، والأفاعي القاتلة، ولا تستبعدنّها فكل ما هو آت قريب"^(٤)، فهو يضع كبرى القياس، وتقدير الصغرى: إن لقاء الليوث الضارية والأفاعي القاتلة آت، وكل ما هو آت قريب، والنتيجة أن هذا اللقاء قريب.

ونراه كذلك في ردّ آخر لمعاوية على الإمام علي إذ يقول: "أمّا بعد: فدع الحسد، فإنك طالماً لم تنتفع به، ولا تُفسد سابقة جهادك بشرة نخوتك، فإن الأعمال بخواتيمها"^(٥)، فصغرى القياس هي "لم تنتفع بالحسد"، وتقدير الكبرى أن الحسد لا ينفع، والنتيجة قوله: "دع الحسد".

والحديث عن القياس يجزئنا إلى الحديث عن القياس المغالط، أو صناعة المغالطة، والمغالطة هي "قياس مركّب من مقدّمات شبيهة بالحق، ويُسمّى سفسطة. أو شبيهة بالمقدّمات المشهورة، ويُسمّى مشاغبة"^(٦)، فمورد المغالطة هو القياس الفاسد^(٧)، وقد تنبّه جامع المدونة إلى وجود مغالطة في إحدى الرسائل إذ يقول معاوية: "... ثم كان منك بعد ما كان من قتلك شيخني المسلمين أبي محمد طلحة، وأبي عبد الله الزبير ... هذا إلى تشريك بأم المؤمنين عائشة ... ثم

١- معجم مصطلحات المنطق، ص ١٦٣.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٧١.

٣- شرح نهج البلاغة، ج ٥ / ص ٧١.

٤- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٧٣.

٥- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٨١.

٦- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٧١٦.

٧- انظر: أساسيات المنطق، ص ٥٠٤-٥٠٦.

ترك دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: "إن المدينة لتنفى خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد" فلعمري لقد صحَّ وعده وصدق قوله، ولقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها، فأقامت بين المصرين، وبعدت عن بركة الحرمين، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الحوزتين والحيرة، عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة^(١)، إذ قال جامع المدونة: "وأنت إذا تدبرت هذا الكتاب وجدت أسلوبه أسلوب مغالطة في إلصاق هذه التهم بعلي، فإن علياً لم يقتل طلحة والزبير، وإنما قُتِلَا بخروجهما عليه، ولم يشرّد بعائشة، بل هي شرّدت بنفسها... والعجب كل العجب أن يصم علياً بتركه دار الهجرة، وأن يقول إن المدينة قد نقتك عنها لأنك خبث، مع أن هذا القول مردود عليه هو، فقد نفت المدينة عنها منذ ولي الشام من عهد عمر فهل هو إذن خبث!..."^(٢)، وهذه المغالطات التي يتحدث عنها جامع المدونة هي من قبيل المغالطات المستقلة عن الخطاب إذ أسند لعلي هذه الاتهامات وهو بريء منها؛ فهي إذن مغالطة متعلّقة بالعرض^(٣)، وكذلك استشهاده بحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تبيّنت المغالطة من كلام جامع المدونة.

وتوجد في نصوص المدونة أمثلة أخرى كثيرة حول موضوع القياس لملء نقطة البياض، ولكننا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة.

ثانياً: توظيف الاستعارة:

الاستعارة هي "استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى"^(٤) فالاستعارة تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه، والاستعارة لا تكون "مظهراً لغوياً صرفاً، بل تكون مظهراً ثقافياً عامّاً تتأثر به اللغة كما تتأثر به سائر المظاهر الأخرى"^(٥)، ومعنى هذا أن الاستعارات تملأ كلّ حياة الإنسان

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٦-٣٦٧.

٢- نفسه، ص ٣٦٨ (حاشية جامع المدونة).

٣- انظر: بلاغة الججاج، الأصول اليونانية، ص ١٢٤-١٢٥.

٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص ٢٥٨.

٥- جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٢ (مقدمة المترجم).

فَتَكُونُ لُغَتُهُ وَتَتَكَوَّنُ بِهَا، وَتَكُونُ تَفْكِيرُهُ وَتَتَكَوَّنُ بِهِ، فَالاستعارة ليست لُغَةً فَحَسْبُ؛ بَلْ هِيَ نَسَقٌ تَصَوُّرِيٌّ نَحْيَا بِهِ^(١).

والاستعارة "يمكنها أن تكون حُجَّةً، عندما تخدم الإقناع"^(٢)، فالاستعارة حُجَّةٌ عندما تُسْتَعْدَمُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَطْرُوحَةٍ^{(٣)(٤)}، وَتَهْدَفُ إِلَى إِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ فِي الْمَوْقِفِ الْفِكْرِيِّ أَوْ الْعَاطِفِيِّ الْعَاطِفِيِّ لِلْمَتَلَقِّي^(٥)، وَيُوجَدُ فِي اسْتِخْدَامِ الْإِسْتِعَارَةِ قُوَّةٌ كَامِنَةٌ وَطَاقَةٌ حِجَابِيَّةٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الْحِجَابِ فِي الْمَفْرَدَاتِ... تَبْدُو فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْإِسْتِعَارِيَّةِ أَقْوَى مِمَّا نُحِسُّهُ عِنْدَ اسْتِخْدَامِنَا لِنَفْسِ الْمَفْرَدَةِ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ^(٦) وَكَلَّمَا كَانَتْ الْإِسْتِعَارَةُ جَدِيدَةً كَانَ تَأْثِيرُهَا أَقْوَى وَقَدْرَتُهَا عَلَى الْإِقْنَاعِ أَشْمَلُ وَأَعَمُّ لِأَنَّهَا "حِينَ تَتَكَرَّرُ تَضْعَفُ، وَتَتَوَارَى"^(٧)، وَتَأْتِي قُوَّةُ الْإِسْتِعَارَةِ فِي عَمَلِيَّةِ الْإِقْنَاعِ "مِنْ أَنَّهَا تَسْتَمْتِرُ مَا تَسْعِفُهَا بِهِ الْبَنِيَاتُ الدَّلَالِيَّةُ لِللُّغَةِ"^(٨).

الحديثُ عَنِ الْإِسْتِعَارَةِ كَانَ فِي مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنْ مَلءِ نَقْطَةِ الْبَيَاضِ، لِأَنَّ "الأصلَ فِي الْإِسْتِبدَالِ الْإِسْتِعَارِيِّ هُوَ قِيَاسٌ... إِلَّا أَنَّهُ قِيَاسٌ مَخْتَزَلٌ، أَيْ قِيَاسٌ خُذِفَتْ مَقْدَمَاتُهُ، وَاكْتَفِيَ بِالنَّيْجَةِ"^(٩) وَهَذَا مَا نَجِدُهُ فِي مَدَوْنَةِ الْبَحْثِ، إِذْ إِنَّ الْمَتَرَاْسِلِينَ يَلْجَأُونَ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْإِسْتِعَارَاتِ الَّتِي يَمْلَأُ الْمَتَلَقِّي نَقْطَةَ بَيَاضِهَا، فَتَكُونُ حِجَابِيَّةً أَقْوَى لِأَنَّ اسْتِنتَاجَ الْمَتَلَقِّي لِأَمْرٍ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي اقْتِنَاعِهِ، وَلَا تَخْفَى عِلَاقَةُ الْإِسْتِنتَاجِ بِمَسَلِّكِ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ (الْوُغُوسِ)، وَلِذَا سَنَرِصُدُ فِي الْمَدَوْنَةِ الْمَوَاضِعَ الَّتِي اسْتَعْدَمَ فِيهَا الْمَتَرَاْسِلُونَ اسْتِعَارَاتٍ تُوْدِي إِلَى رَفْدِ الطَّاقَةِ الْإِقْنَاعِيَّةِ لِلرَّسَالَةِ، وَمَا هِيَ نَقْطَةُ الْبَيَاضِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَمْلَأَهَا الْمَتَلَقِّي فِي هَذِهِ الْإِسْتِعَارَاتِ.

١- انظر: نفسه، ص ٢١-٢٣.

٢- الحجاج في التواصل، ص ١٢٢.

٣- نفسه، ص ١٢٣.

٤- انظر ما قاله الفيلسوف (بيتر رامو) حول الأساس المنطقي للاستعارة وكون الاستعارة حُجَّةً، تيرنس هوكس، الاستعارة، ترجمة، عمرو زكريا عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ٣٤-٣٦.

٥- عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٢١٩.

٦- ميشيل لوجيرن، الاستعارة والحجاج، ترجمة، الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، الرباط، السنة الثانية، مايو ١٩٩١م، ص ٨٧.

٧- الحجاج في التواصل، ص ١٢٤.

٨- الاستعارة والحجاج، ص ٩٠.

٩- شوقي المصطفى، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٢٣-٢٤.

يقول معاوية في أحد كتبه إلي علي: "أما بعد: فأنا بني عبد مناف لم نزل من قليب واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، وألفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحونا شرف النجار، ويحونا قوتنا على ضعيفنا، ويواسي غنينا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من غل الحسد، وطهرت أنفسنا من خبث النية، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الإذهان في أمر ابن عمك، وتضريب الناس عليه! حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد... ولكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي وترسل إليه الأفاعي..."^(١).

إذ بدأ معاوية كتابه باستعارة صورة القليب، وهو البئر، وصورة حلبة السباق، وهو بهذا يريد أن يشعر المتلقي بمدى ترابط بني عبد مناف، والمرسل هنا لا يستخدم هذه الاستعارة لغرض تزييني؛ بل هي استعارة حجاجية يجعلها المرسل منطلقاً لاستعارة أخرى يريد منها المرسل هجاء المتلقي باستخدامه صورة الدواهي والأفاعي، فقد عملت الاستعارة المبنية على مدح بني عبد مناف على توجيه دقة الحجاج لغرض الهجاء، وفي الاستعارتين ينبغي للمتلقي -خاصاً كان أم كونيّاً- أن يملأ نقطة البياض فيهما، ونقطة البياض هنا ليس فقط صورة المستعار له أو وجه الشبه بين المستعار له والمستعار منه؛ ولكن نقطة البياض هنا هي هذه الصورة الكبرى التي يرسمها معاوية بغرض استمالة آراء المتلقي الكوني من خلال هجاء المتلقي الخاص.

وفي رد علي على كتاب لمعاوية يقول: "أما بعد: فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابته، وقاده فأتبعه... ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين، أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا"^(٢) استعار هنا لفظ البصر "للعقل باعتبار أن له نوراً يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات، ثم سلب عنه البصر الذي يهديه في سبيل الله إذ كان عقله قد قصر عن إدراك حقائق الدين ومصالحه"^(٣) ونتبين من هذه الاستعارة أن علياً يريد من معاوية أن يدرك ضلال رأيه، وأراد باستعارة الإيراد والإصدار أن يبين لمعاوية براءته من دم عثمان، ولا يستهدف الإمام علي بهذه الاستعارات إقناع معاوية فحسب؛ بل يستهدف أن يستميل آراء المتلقي الكوني كما فعل معاوية في الكتاب الذي حللناه آنفاً.

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٦.

٢- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣.

٣- شرح نهج البلاغة، ج ٤ / ص ٣٥٧.

ويستعير معاوية صورة انجلاء الغبار وانقشاع السحاب عن السماء ليبين لعلِّي أنه على غير حق؛ إذ اتَّبَعَهُ غوغاءُ أهل السَّواد وحمقى الفسطاط، فهو بقوله: "وأيُّم الله لَيُنْجَلِينَ عَنْكَ حَمَقَاهَا، وَلَيَنْقَشِعَنَّ عَنْكَ غَوْغَاؤُهَا انْقِشَاعَ السَّحَابِ عَنِ السَّمَاءِ"^(١) يُرِيدُ مِنْ عَلِيٍّ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ حَوْلَهُ هُمْ مِنْ حَمَقَى النَّاسِ وَغَوْغَائِهَا وَمَا أُسْرِعَ مَا سَيَفْتَرِقُونَ عَنْهُ؛ وَهَذِهِ الِاسْتِعَارَةُ تَسِيرُ وَفَقَّ غَايَةَ الْكِتَابِ الَّتِي بَدَأَ مُعَاوِيَةُ بِذِكْرِ اجْتِمَاعِ أَيْدِيهِمْ وَتَأَلُّفِ قُلُوبِهِمْ حَتَّى اسْتَعَانَ عَلَى أُمُورِهِ بِهِؤُلَاءِ النَّاسِ.

وَفِي رَدِّ عَلِيٍّ عَلَى مُعَاوِيَةَ اسْتِعَارَةُ يُذَكِّرُ بِهَا عَلِيٌّ حَالَ مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِهِ عِنْدَ بَزْوِغِ نَوْرِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ قَالَ: "وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفَ الْإِسْلَامِ كُلَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْبًا"^(٢)، فَاسْتِعَارَةُ الْأَنْفِ لِلْإِسْلَامِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَوَّلِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ؛ فَأَنْفُ كُلِّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ، فَهُوَ يُرِيدُ بِهَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ أَنْ يُذَكِّرَ مُعَاوِيَةَ كَمَا لَجَأَ مُعَاوِيَةُ لِهَذَا التَّذْكِيرِ، فَكَأَنَّ فِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ رَدًّا مُبَاشِرًا عَلَى اسْتِعَارَةِ مُعَاوِيَةَ السَّابِقَةِ.

وَفِي الرَّدِّ نَفْسُهُ يُحَذِّرُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ مِنْ بَطْشِ سَيْفِهِ فَيَسْتَعِيرُ لَهُ صُورَةَ الْعَضِّ فَيَقُولُ: "وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَذِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ"^(٣)، وَإِنَّهُ بِهَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ يُعْطِي نَصَّهُ طَاقَةً حِجَابِيَّةً يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ فَعْلَهَا فِي ذَهَنِ الْمَتَلَقِّي لِيَخْشَى قُوَّةَ السَّيْفِ الَّتِي لَا يُنْكَرُهَا مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ شَهِدَهَا فَيَذْكُرُهُ عَلِيٌّ بِهَا.

وَبَلَّغَةَ التَّحْذِيرِ نَفْسَهَا يَسْتَعِيرُ عَلِيٌّ صُورَةَ الْجِمَالِ الْمُحْمَلَةِ بِالْأَثْقَالِ فَيَقُولُ لِمُعَاوِيَةَ: "وَكَأَنِّي بِكَ غَدًا وَأَنْتَ تَضْجُ مِنَ الْحَرْبِ ضَجِيجَ الْجِمَالِ مِنَ الْأَثْقَالِ"^(٤)، إِذْ إِنَّهُ بِرِسْمِهِ هَذِهِ الصُّورَةَ يُرِيدُ أَنْ يُقَرِّبَ لَذَهْنَ مُعَاوِيَةَ فِكْرَةَ الْحَرْبِ وَيَحْذَرُهُ مِنْ فَتْكَهَا بِهِ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ فِي أَحَدِ رِدْوَيْهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَثَالًا يُمَكِّنُ أَنْ تُعَدَّ اسْتِعَارَاتُ يُرِيدُ بِهَا أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ عَدَمَ صَوَابِ رَأْيِهِ، فَقَدْ قَالَ: "... فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجْبًا، إِذْ طَفِقْتَ تَخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا... فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ النَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ"^(٥) فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ مُعَاوِيَةَ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَا يُنْكَرُهَا وَلَا يَوْجِدُ أَيُّ دَاعٍ لِتَذْكِيرِهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ، وَيَقُولُ فِي الْكِتَابِ نَفْسِهِ: "وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ، وَالسَّائِسُ وَالْمَسُوسُ؟ ... هِيَاهُ لَقَدْ حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ

١- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٦٤.

٢- نفسه، ص ٣٦٩.

٣- جمهرة رسائل العرب، ص ٣٧٠.

٤- نفسه، ص ٣٧٣.

٥- نفسه، ص ٣٩٣.

منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تَرَبِّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ، وتعرفُ قصورَ ذَرْعِكَ" ^(١) إذ يُريدُ أن يُبيِّنَ عَدَمَ صِلَةِ معاوِيَةَ بما احتجَّ به لنفسِهِ إذ فاضَلَ معاوِيَةَ بينَ المسلمين، فبيَّنَ له عليٌّ أنَّ مفاضلَتَهُ مثُلُغُ أن يُخَالِفَ أَحَدُ الْقِدَاحِ صَوْتَ أَخَوَاتِهِ، وهذا يُضْرِبُ لِمَن يفتخِرُ بغيرِ قبيلَتِهِ، واستعارَ له صُورَةَ البعيرِ الَّذِي لَدِيهِ غَمْرٌ في مشيهِ، فأرادَ أن يُبيِّنَ له أنَّ رَأْيَهُ السَّائِرَ عليه هو رأيٌ غيرُ مستقيم.

في ختامِ هذا المبحثِ وجَدنا أنَّ مَلَأَ نِقْطَةَ الْبَيَاضِ عَمَلِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُرْسِلُ مَعَ الْمُتَلَقِّي؛ إذ يَعْمَلُ الْمُرْسِلُ عَلَى وَضْعِ نِقْطَةِ الْبَيَاضِ تَلَكَ فِي نَصِّهِ مِنْ خِلَالِ الْقِيَاسِ أَوْ مِنْ خِلَالِ الْإِسْتِعَارَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ عَمَلُ الْمُرْسِلِ بِمَلَأِ هَذِهِ النِّقْطَةِ مِنْ خِلَالِ إِعْمَالِ عَقْلِهِ، وَسَنَرَى فِي الْمَبْحَثِ الْأَخِيرِ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ مَدَى حِجَاجِيَّةِ عَمَلِيَّةِ التَّرْتِيبِ فِي نصوصِ الْمَدُونَةِ.

١ - نفسه، ص ٣٩٤.

المبحث الثالث: حاجيّة التّرتيب

يُعدُّ ترتيبُ أجزاءِ الخطابِ عمليّةً متعلّقةً بالعقل؛ إذ يَنبني أيُّ مُرسِلٍ خطابَه في ذهنه قَبْلَ أن يبيّنه للمتلقّين، ويُعدُّ -كذلك- عمليّةً عقليّةً عند المتلقّي؛ إذ يستقبِلُ المعلوماتَ ويُرَتِّبُ في ذهنه أفكارها وطُرُقَ التّعاملِ معها إن كانَ استقباليًا إيجابيًا بالإذعان لها أو سلبيًا بالردّ عليها وتفنيدها أو عدم التّفاعلِ مع بعضِ أجزائها؛ فيتحوّلُ المرسِلُ إلى متلقٍّ، ويصير المتلقّي مُرسِلًا، وعمليّةُ ترتيبِ بناءِ الخطابِ عمليّةً مهمّةً إذ "لا بُدَّ للحجّة من موقعٍ وصياغةٍ ملائمَيْن حتّى تظهر للعيان"^(١)، وعلى هذا سنعرّفُ في هذا المبحث التّرتيبَ بذكرِ عناصره الّتي هي عند أرسطو^(٢) الاستهلال والعرض والحجاج والاختتام، وحديث أرسطو حول هذه العناصر متعلّقٌ بالخطابة وهي جنسٌ شفاهيٌّ؛ لذلك نحنُ نسألُ عن مدى ارتباطِ هذه العناصرِ بالرسائل وهي من الأجناس النّثريّة المكتوبة، وعليه فإنّنا في تحليلنا سنركّز على ثلاثة أمورٍ هي الاستهلال والعرض والاختتام لبُحْثِ حاجيّتها؛ وذلك لأنّ بينها تلازمًا شديدًا^(٣)، وقد عدَّ رولان بارت الاستهلال والخاتمة ضمن عمليّة التأثير العاطفيّ، في حين عدَّ السرد والإثبات -اللّذين ندمجهما هنا باسم العرض- ضمن عمليّة البرهان^(٤)، ونحن لا نُعنى هنا بالجانبِ العاطفيّ لترتيب أجزاء النّص بقدرِ اهتمامنا بالجانب المنطقيّ للتّرتيب في نصوص المدوّنة، وقد تقدّم أنّ غرض الفصل بين طرائق الإقناع المختلفة في البحث غرضٌ منهجيٌّ؛ إذ لا يمكنُ الفصلُ بين استراتيجيّات الإقناع والتأثير في أيّ نصّ.

أمّا الاستهلال فهو "ابتداء الخطاب"^(٥) ووظيفته أنّه يدلّ "على الغرض الّذي يستهدفه الخطاب"^(٦)، وتحديدُ حجمِ الاستهلالِ يختلفُ من نصٍّ إلى آخر فقد يطول أو يقصرُ حجمُ

١- في بلاغة الحجاج، ص ٣٢٣.

٢- انظر: الخطابة، ترجمة قنيني، ص ٢٢٢-٢٤٥، وبلاغة الحجاج، الأصول اليونانيّة، ص ٣٤٤-٣٥٣.

٣- انظر: عبد الله البهلول، فواتح الأدب في الثراث النّقدّي، قضايا الاصطلاح وضوابط الافتتاح، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٧٠ (أكتوبر - ديسمبر ٢٠١٦)، ص ١١.

٤- انظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة، عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطّبعة الأولى، ٢٠١١ م، ص ١٢٩.

٥- الخطابة، ترجمة قنيني، ص ٢٢٤.

٦- نفسه، ص ٢٢٦.

الاستهلال بناءً على غاية المرسل وغاية الرسالة^(١)، ولهذا الاستهلال موقعٌ استراتيجي؛ لأنه "اللبنة الأولى في بناء النص والأثر، وأول مظهر بارز من مظاهر إحكام الكاتب صناعة الكلام"^(٢) وسنعمل على تحديد حجم الاستهلال في النص المستشهد به لبحثٍ حجاجيّه.

وأما العرض فهو ما يمكنُ تحديدهُ بأنّه موضوع النصّ، وفيه يستعينُ الخطيبُ بكلِّ القدرات الحجاجيّة التي يتوفّر عليها، فعلى ذلك يكون العرض هو الغاية من النصّ / الرسالة، فيجب أن يكونَ برهانياً مُقنعاً للمتلقين^(٣).

وأما الاختتام فهو ما تختتمُ به الكلام، وقد جعل له أرسطو أربعة عناصر هي: أن تضع المستمع على هيئة جيّدة لتثبت صحّة ما تقول حتّى يميل إليك ويبتعد عن خصمك، وأن تقمّم الشيء المتكلّم فيه وتكبره أو تصغره، وأن تثير انفعالات المستمع، وأن تلخّص ما قدّمته تلخيصاً جامعاً^(٤)، وبهذا نرى أنّه وضع لاختتام عناصر انفعاليّة، وهو ما أثبتته رولان بارت كما تقدّم.

وبما أنّ المبحث يتعلّق بترتيب النصّ فإنّه يقتضي منهجياً أن نستشهد بنصّ كاملٍ دون اقتطاع بعض أجزائه كما فعلنا في مواضع أخرى من البحث، ولما كان البحث يتعلّق بالرسائل المتبادلة فسيكونُ التركيزُ في بحثٍ حجاجيّة الترتيب في رسالة معاوية ثمّ يتبع ذلك التركيزُ على حجاجيّة الترتيب في ردّ الإمام عليّ على هذه الرسالة.

أولاً: حجاجيّة الترتيب في رسالة معاوية:

نبدأ أولاً بعرض كتاب معاوية كاملاً؛ إذ قال: "بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن صخرٍ إلى عليّ بن أبي طالب: أما بعد، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمانٍ لكنتُ كأبي بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريتَ بدم عثمانٍ المهاجرين، وخذلتَ عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلا قتالكَ، حتّى تدفع إليهم قنلة عثمان، فإن فعلتَ كانت شورى بين المسلمين، وإنما كان الحجازيون

١- انظر: ياسين النصير، الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ص ٤١-٤٦.

٢- عبد الله البهلول، فواتح الأدب في التراث النقدي، قضايا الاصطلاح وضوابط الافتتاح، ص ٣٣.

٣- انظر: الخطابة، ترجمة قنيني، ص ٢٣٢-٢٤٠، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص ١٣٤-١٣٨، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص ١٠٧-١١٠، بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، ص ٣٤٩-٣٥٢.

٤- انظر: الخطابة، ترجمة قنيني، ص ٢٤٤.

هم الحَكَّام على النَّاس والحقُّ فيهم، فلمَّا فارقه كان الحَكَّام على النَّاس أهل الشَّام، ولَعَمْرِي ما حُجَّتْكَ عليَّ كُحُجَّتْكَ على طلحةَ والرَّبير، لأنَّهما بايَعَاكَ ولم أبايِعْكَ، وما حُجَّتْكَ على أهل الشَّام كُحُجَّتْكَ على أهل البصرة، لأنَّ أهل البصرة أطاعوك، ولم يُطِعْكَ أهل الشَّام، فأما شرفُكَ في الإسلام، وقربانُكَ من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وموضعُكَ من قریش فلست أدفعه، ثمَّ كتب إليه في آخر الكتاب بشعر كَعْب بن جُعيل، وهو:

[المتقارب]

أَرَى الشَّام تَكَرَّهُ مَلِكَ الْعِرَاقِ	وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا
وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا	يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ	وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُفْرِصُونَا
فَقَالُوا: عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا	فَقُلْنَا: رَضِيْنَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِيْنَا
وَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ	فَقُلْنَا: أَلَا لَا نَرَى أَنْ تَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ	وَضَرْبُ وَطْعُنٍ يُفُصُّ الشُّوْنَا
وَكُلُّ يُسْرٍ بِمَا عِنْدَهُ	يَرَى غَنًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا
وَمَا فِي عَلِيٍّ لِمُسْتَعْتَبٍ	مَقَالٌ سِوَى ضَمِيهِ الْمُحْدِثِينَا
وَإِثَارِهِ الْيَوْمَ أَهْلَ الذَّنُوبِ	وَرَفَعَ الْقِصَاصِ عَنِ الْقَاتِلِينَا
إِذَا سِيلَ عَنْهُ حَدَا شُبْهَةٌ	وَعَمَى الْجَوَابِ عَلَى السَّائِلِينَا
فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ	وَلَا فِي النُّهَاةِ وَلَا الْأَمْرِينَا
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرَّةٌ	وَلَا بُدٌّ مِنْ بَعْضِ دَا أَنْ يَكُونَا ^(١)

١ - حجاجية الاستهلال:

لا بُدَّ أولاً من تحديد حجم الاستهلال في هذا الكتاب إذ إنّ الاستهلال هو في قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب"، ونرى أنَّ حجم استهلاله لا يتعدى أن يكون بسملةً وذكرًا للمرسل والمرسل إليه؛ فالبسملة تعني استعانتَه بالله على ما يريد قوله، وانتسابُ المرسل إلى جدِّه صخر يبيِّن ارتباط الاستهلال بالعواطف الذي جعله يبدأ بهذه العبارة، "فكأنَّ هذا إيدانًا (كذا!) بقبول حربٍ، أو صعوبة استمالةٍ، أو دوام مقاومةٍ، وعدم ترحح العبارة،

١ - جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥١-٣٥٢.

عن موقف^(١)، ولعلَّ في قِصْرِ الاستهلالِ أيضًا تأثيرٌ يستهدفُ وضعَ المتلقِّي في حالةٍ من الاستعدادِ لما سيُقال.

إنَّ عباراتِ الاستهلالِ القصيرةَ مشحونةٌ بطاقةٍ تأثيريةً تستهدفُ التحريكَ العاطفيَّ للمتلقِّي ولكي يمارِس مزيدًا من الضَّغطِ النفسيِّ على المتلقِّي.

٢ - حجاجية العرض:

أمَّا العرضُ فهو موضوع النصِّ، وهو يبدأ من قوله: "فَلَعَمْرِي لو بَايَعَكَ الْقَوْمُ..." إلى قوله: "... وموضعك من قريش فلسْتُ أدفعه"، وفي هذا العرضِ حشدٌ للحُججِ واستثمارٌ للاستراتيجياتِ الحجاجية، فقد استثمرَ حُجج القياسِ بين حالِ بيعةٍ علي وحالِ بيعةٍ من سبقه من الخلفاء الراشدين، وكذلك استثمرَ القياسَ بينَ بيعته وبيعة طلحة والزبير، وبينَ بيعة أهل الشام وبيعة أهل البصرة، وكذلك استخدَمَ حُجَّة التهديد لما بيَّن أنَّه مُطالبٌ بدمِ عثمان الذي يتَّهمُ عليًا بالإغراء به، وحاولَ استهدافَ عواطفِ المتلقِّي من خلالِ إعطائه حقَّه من شرفه في الإسلام وقرباته من الرِّسول وموضعه من قريش؛ فهذا الاستهدافُ بيَّن في أنَّه يُحاولُ استمالةَ عواطفِ عليٍّ ليقتنعَ بحُججه السابقة ويخشى قُوَّته التي بدأ بها مقدَّمته من خلالِ انتسابه إلى صخر، فنجدُ ترابطًا بين غايةِ النصِّ في العرض وبين استهلالِ النصِّ، وهذا الترابطُ أيضًا نراه بين الاستهلال والعرض والاختتام.

٢ - حجاجية الاختتام:

تُشكِّلُ الأبياتُ التي أرفقها معاويةً بكتابه اختتامَ هذا الكتاب؛ ونجدُ فيها -كما تقدَّم- ارتباطًا بغايةِ النصِّ، ونرى فيها أيضًا العناصرَ التي وضعها أرسطو للاختتام؛ فهو بنقله هذه الأبيات يُريدُ أن يُقنِعَ المتلقِّي بما يقول، وفحَمَ أمرَ اتِّهامِ عليٍّ بدمِ عثمان ومطالبةٍ به، وحاولَ إثارةَ انفعالاتِ المتلقِّي بتأكيدِ الاتِّهام، وقدَّم تلخيصًا لموضوع النصِّ وهو -أيضًا- دمُ عثمان وبيعة عليٍّ.

١ - بلاغة الخطاب السياسي، دراسة في التراسل بين عليٍّ ومعاوية، ص ٥٦٠.

ثانيًا: حجاجية الترتيب في ردّ عليّ:

عرَضنا كتاب معاوية ونعرض هنا ردّ الإمام عليّ لبحث حجاجية الترتيب فيه، يقول عليّ: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر: أما بعد: فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابَه، وقاده فاتَّبَعَه؛ زعمت أنك إنما أفسدَ عليك بيعتي خُفري بعثمان، ولَعَمري ما كنتُ إلّا رجلاً من المهاجرين، أوردتُ كما أوردوا، وأصدرتُ كما أصدروا، وما كان الله ليُجمَعَهُم على ضلال، ولا ليُضَرِبَهُم بالعمى، وما أَمَرْتُ فَلَزِمْتَنِي خُطِيئَةُ الأمر، ولا قَتَلْتُ فَأَخَافُ على نفسي قِصاصَ القاتِل.

وأما قولك إنَّ أهل الشَّام هم حُكَّام أهل الحِجاز، فهاتِ رجلاً من قُريش الشَّام يُقْبَلُ في الشُّورى، أو تَحِلُّ له الخِلافة، فإن سَمَّيْتَ كَذَّبَكَ المهاجرون والأنصار، ونحن نأْتِيكَ به من قريش الحِجاز.

وأما قولك ادْفَعْ إِلَيَّ قَتْلَةَ عثمان، فما أنتَ وذاك؟ وها هنا بنو عثمان، وهم أولى بذلك منك فإن زعمتَ أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم، فارْجِعْ إلى البيعة التي لَزِمْتَكَ وحاكم القوم إليّ.

وأما تمييزك بين أهل الشَّام والبصرة، وبينك وبين طَلْحَةَ والزُبَيْر، فَلَعَمري فما الأمرُ هناك إلّا واحد، لأنها بيعة عامّة، لا يتأتَّى فيها النّظر، ولا يُسْتَأْنَفُ فيها الخيار.

وأما شرفي في الإسلام وقرباتي من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وموضعي من قريش، فَلَعَمري لو اسْتَطَعْتُ دَفْعَهُ لَدَفَعْتَهُ^(١).

١ - حجاجية الاستهلال:

حدّدنا حجم استهلال معاوية، ونُحدّد حجم استهلال ردّ عليّ، ويتمثّل الاستهلال في قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عليّ بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر: أما بعد: فقد أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه، ولا قائدٌ يرشده، دعاه الهوى فأجابَه، وقاده فاتَّبَعَه"، فهو بهذا الاستهلال يستهدف -أيضاً- عاطفة المتلقّي؛ إذ تُشكّل البسملة استعانةً بالله، ثم ذكر المرسل ما يفتخِرُ به وهو انتسابه لأبي طالب، ويعرّض بالمرسل إليه من خلال نسبته إلى صخر

١ - جمهرة رسائل العرب، ص ٣٥٣-٣٥٤.

كما نسب نفسه هو؛ فكان علياً يَقلِبُ فخر معاويةَ بهذا الانتسابِ إلى تعريضٍ به، ثمَّ يستهدفُ عاطفته بتبيين مدى ضلالِ الكتابِ الذي بعثه، ومدى ضلالِ مرسلِ هذا الكتاب، فهذا المرسلُ يمشي خلفَ هواه دونَ تبصُّر، فهو مشحونٌ -كسابقه- بطاقةٍ تأثيريةٍ تستدعي من المتلقِّي استعداداً ليتلقَّى الردَّ على رسالته.

٢ - حجاجية العرض:

أما عرض ردِّ عليٍّ فهو من قوله: "زعمت أنك إنما أفسد عليك..." إلى قوله "... ولا يُستأنفُ فيها الخيار"، وفي هذا العرض ردُّ عليٍّ على كلِّ نُقْطَةٍ وضَّعها معاويةُ في رسالته بنقطةٍ مقابلة، ويمكن أن نجملها في الجدول الآتي:

ردود عليٍّ	حُجج معاوية
أنا رجلٌ من المهاجرين، لم أمر بالقتل وما شاركت فيه	لو بايعك النَّاسُ لبراءتك من دم عثمان لَكُنْتُ كالخلفاء قبلك
هاتِ رجلاً من قريش الشام يُقبل في الشورى، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز	أهل الشام هم الحكام على الناس لمفارقة أهل الحجاز الحقَّ
بنو عثمان أولى منك بدم أبيهم	ادفع لي قتلَ عثمان
هي بيعة واحدة، لأنها بيعة عامَّة	بيعتي وبيعة أهل الشام ليست كبيعة طلحة والزبير وبيعة أهل البصرة

وإنَّا واجِدون أنَّ عليّاً ردَّ على كلِّ نُقْطَةٍ بنقطةٍ ولم يسكُت عن أيِّ حُجَّةٍ من حُججِ خصمه، وتتَّوَّعت ردود عليٍّ بين القياسِ وحُجَّةِ الإيتوس، ونرى كذلك ارتباطاً بين موضوع النِّصِّ وهو البراءة من دم عثمان وصحة البيعة وبين استهلالِ النِّصِّ الذي يبيِّن فيه عدم صحة آراء معاوية.

٢ - حجاجية الاختتام:

في هذا الردِّ نرى أنَّ عليّاً لم يُلقِ بالاً للأبيات التي أرفقها معاويةُ بكتابه، ولكنَّه ختم كتابه بقوله: "وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعي من

قريش، فَلَعْمَرِي لو اسْتَطَعَتْ دَفْعَهُ لَدَفَعَتْهُ"، إذ إنَّه ردٌّ على فقرَةٍ من فقراتِ العَرَضِ لدى معاوية بتثبيت فضيلته التي لا يُنكرها معاوية، وهذا الأمر يُحيل إلى عاطفية الاختتام التي تقدّم الحديث عنها، وإنَّ في سكوتِه عن الأبيات حِجَابًا وَاضِحًا^(١) إذ يُعطي هذا السُّكُوتُ طاقةً تأثيريةً للمتلقّي الخاصّ والمتلقّي الكونيّ تتمثّل في أنَّ عليًّا لا يعترفُ بالاتِّهاماتِ التي وردت في هذه الأبيات ولا يُلقِي لها اهتمامًا، وقد يؤدي هذا السُّكُوتُ إلى إثارة انفعال المتلقّي الذي كان مُرسلاً في الأساس، ممّا قد يُعطي النّصَّ شُخْنةً إقناعيةً للمتلقّي.

النَّاطِرُ في حِجَابِيَّةِ التَّرتيبِ بأقسامها الثلاثة أعلاه يجدُ ارتباطَ الاستهلال والاختتام بالعاطفة، وقد وُضِعَتْ في الفصلِ المتعلّق بحجّة (اللوغوس) لأنَّ بناءها ذهنيٌّ بامتياز، ونجيبُ عن التَّساؤلِ حول انطباق حِجَابِيَّةِ التَّرتيبِ على النّصِّ المكتوبِ بإيجابٍ، ونقولُ إنَّ هذا الأمرَ واضحٌ من خلال تحليل النّصِّين أعلاه.

١ - انظر: استراتيجيات السُّكُوت والإسكات في الرسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعري وداعي الدّعاة الفاطمي، ص ١٧٠-١٧١.

خاتمة الفصل الثالث

في هذا الفصل من البحث تحدّثنا عن حُجّة العبارة (اللوغوس) محدّدين مفهومها، ثمّ انتقلنا إلى جِجَاجِيّة التّماسك النّصّي بقسميه الشّكليّ المتمثّل في التّماسك المعجميّ والتّماسك النّحويّ، والدّاخليّ المتمثّل في التّماسك الدّلاليّ والتّماسك الدّداوليّ والذي تبيّن أنّه ظاهرٌ في نصوص المدوّنة، ثمّ كان الحديثُ في المبحث الثّاني عن ملءِ نقطةِ البياض، وهي النّقطة التي يتركها المرسلُ للمتلقّي حتّى يفكّر فيها، وقد تمثّلت نقطةُ البياض هذه في القياس والاستعارة التي يتشاركُ في بنائها المرسلُ والمتلقّي، وقد وجدنا أنّ للقياس المغالط حضورًا طفيفًا في المدوّنة، وكان ختامُ هذا الفصل بالمبحث المتعلّق بجِجَاجِيّة التّرتيب، وقد حلّلنا فيه نصّين كاملين، الأوّل كان كتابًا لمعاوية والثّاني كان ردّ عليّ على هذا الكتاب، وقد تبيّن أنّ المُتَراسِلَيْن يتوّخّيان ترتيب الحجج بدءًا من الاستهلال ومرورًا بالعرض، ووصولًا إلى الاختتام في نهاية المطاف، ممّا يبيّن أنّ للتّرتيب حضورًا في النّصوص المكتوبة مثل حضوره في النّصوص الشّفاهيّة كما درّسها أرسطو في خطابته.

الخاتمة

الخاتمة

سارَ هذا البحثُ بهُدي من المنهجِ الجاجي، هذا المنهج الذي اتَّضح أنَّه جامعٌ لكلِّ المناهج، ويحسُنُ في الختامِ أن نوجِّزَ ما جاء في الدِّراسةِ ثُمَّ نُثَبِّعَ هذا الموجزَ بالنتائج التي ظهرت من خلالها.

وبما أنَّ هذه الدِّراسةَ تنتمي إلى سلكِ الدِّراساتِ الجاجية؛ قسَّمنا هذا البحثَ إلى فصولٍ ثلاثةٍ مهَّدنا لها -بعد المقدِّمة- بمهادٍ نظريٍّ لرسمِ الصورةِ العامَّةِ للبحثِ، فبحثنا في التمهيدِ مصطلحاتِ عنوانِ البحثِ، إذ تحدَّثَ أوَّلاً عن الرِّسائلِ المتبادلة من خلالِ كونها نوعاً أدبيّاً، ثُمَّ انتقلَ إلى الحديثِ عن الظُّرفِ الجاجيِّ الذي كانَ سائداً في تلكَ الحقبةِ من التاريخ، وأخيراً تحدَّثَ عن مفهومَي الإقناعِ والتأثير، فنسبَ مصطلحَ الإقناعِ إلى الحججِ العقلية، ونسبَ مصطلحَ التأثيرِ إلى الحججِ العاطفية وناقشَ قضيةَ ترجمةِ المصطلحاتِ باقتضابٍ، وبهذا اختتمَّ التمهيدِ.

وأما الفصلُ الأوَّلُ فقد بنيناه على مباحثٍ ثلاثة، وكانَ متعلِّقاً بالججاجِ من خلالِ التَّعويلِ على فضائلِ القائلِ (الإيتوس)، فبدأ بتوطئةٍ بيَّنَ فيها باختصارٍ مفهومَ الإيتوس وكيف يمكن الاستفادة منه في البحثِ الجاجيِّ، ثُمَّ انتقلَ في المبحثِ الأوَّلِ إلى استثمارِ الإيتوس لغويّاً، فبحثَ استثمارَ المتراسلين لفضائلهم من ناحيةٍ لغويَّةٍ من خلالِ المرواحَةِ بين الجملةِ الاسميَّةِ والفعلية، أو من خلالِ الأساليبِ البلاغيَّةِ.

وبعد ذلك كان الحديثُ في المبحثِ الثَّاني عن تعضيدِ الإيتوس بالمسلكين الآخرين، اللوغوس والباتوس، فبحثَ أوَّلاً حجةَ العبارة واستثمارها إيتوسياً من خلالِ الججاجِ بالمقارنةِ ومن خلالِ الحُججِ السببية، ثُمَّ بحثَ استثمارَ العواطف والأهواء إيتوسياً، فتساءلَ عن تأثيرِ أهواءِ المرسلِ في عواطفِ المتلقِّي من خلالِ سيميائيَّاتِ الأهواء وتساءلَ عن كيفيةِ بناءِ الفضيلةِ من خلالِ هوى المرسل، وفي المبحثِ الأخير تحدَّثَ البحثُ عن (إيتوس) الآخر وبناءِ الخطاب، إذ يستهدفُ المرسلُ (إيتوس) المتلقِّي وهو ما يسمَّى بحجةِ (آد هومنيم) التي يلجأُ بها الخطيبُ إلى إظهارِ خصمِهِ في صورةٍ سلبية، وكذلك في المصادرةِ على المطلوب، الذي يُعدُّ خطأً ججاجياً، وهو يظهرُ إذا لم يوجد "اتِّفاقٌ مُسبقٌ" بين المتلقِّي والمرسل ممَّا يؤدي إلى تأثيرٍ عكسيٍّ للججاجِ بفضائلِ القائل، واختتمَّ الفصلُ بخلاصةٍ له.

وفي الفصلِ الثَّاني كان الحديثُ عن المسلكِ الثَّاني من مسالكِ الإقناع، وهو (الباتوس)، أو إثارةِ انفعالاتِ المتلقِّي وعواطفه، وقد ابتدأ -كسابقه- بتوطئةٍ حول مفهوم (الباتوس) ووظيفته

في الخطابة الأرسطية، وما هو موقعه في البلاغة العامة، وكيف استثمره المتراسلون للتأثير فيما بينهم، وبعد ذلك انتقل إلى المبحث الأول المتعلق بكيفية استهداف العواطف من خلال التناصّات؛ إذ جاء التناصّ الديني في أوّل القائمة من خلال استثمار نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية للتأثير في المتلقين؛ لأنّ للنصّ الديني سلطةً على المنتمين للإسلام يحتكمون إليها غالباً، ثم جاء التناصّ الأدبي والتاريخي بعد التناصّ الديني من خلال استثمار الشعر والأمثال والوقائع التاريخية لتكون مؤثرات عاطفية تزيد من درجة إذعان المتلقي.

وفي المبحث الثاني كان الكلام على ثقافة المتلقي المؤثرة في عواطفه من خلال فعل القراءة، وتحدّث المبحث عن إشكالية المتلقي وحاول حلّها بما يخدم البحث، فقسم المتلقين إلى قسمين؛ متلقٍ حقيقي، وهو من تُبعثُ الرسالة إليه، ومتلقٍ عام، وهم جماعة المتلقي الحقيقي الذين يؤثرون ويتأثرون بمضامين المراسلات، وكان قياس تأثير ثقافة المتلقي في عاطفته من خلال ردوده أو الوقائع التاريخية التي حدثت في زمن المراسلة.

أمّا المبحث الأخير فكان بعنوان التأثير العاطفي لتغيير وجهة الحوار، وكان الحديث عن مسلك البوليميكوس، وكيف يؤثّر تغيير وجهة الحوار في المتلقي، إذ بحث أولاً قضية الصمت وكيف تؤثر في المتلقي، والصمت هنا هو أن يسكت المتلقي عن بعض ما ورد في رسالة المرسل أو عن الرسالة كلّها، وما هي تجليات هذا الصمت في المدونة، وكيف أثر في المتلقي الذي كان مرسلًا، وهل أثر الصمت وتغيير وجهة الحوار في المتلقي العام؟ وأخيراً اختتم هذا الفصل بخلاصة مختصرة لأهم ما ورد فيه.

وأما الفصل الثالث فكان متعلّقًا بالمسلك الأخير من مسالك الإقناع الأرسطية (اللوغوس) من خلال استثمار الحجج العقلية لإقناع المتلقي، وقُدِّم للفصل بتوطئة حول مفهوم (اللوغوس) ومظاهر وجوده في المدونة، وقد تبين أنّ مظاهر وجوده كانت من خلال أمور ثلاثة شكّلت مباحث هذا الفصل، فالمبحث الأول كان عنوانه حجاجية التماسك النصّي، إذ يرتبط مفهوم التماسك بالعقل ارتباطاً وثيقاً؛ فالمرسل يبني نصّاً متماسكاً ليصل إلى المتلقي بصورة سليمة يقتنع بها، وتبين من خلال التعريف أنّ للتماسك قسمين؛ شكلي وداخلي، وتجلّى التماسك الشكلي في مظهرين؛ معجمي ونحوي، فكان التكرار والمصاحبة المعجمية أهم ما ميّز التماسك المعجمي، وكانت الروابط الحجاجية أهم مظهر من مظاهر التماسك النحوي، وبينّا كيف أثّرت هذه الروابط في توجيه السّلّم الحجاجي ليكون النصّ مقنعاً للمتلقي، وتجلّى التماسك الداخلي في مظهرين أيضاً؛ التماسك الدلالي والتماسك التداولي، إذ إنّ التماسك الدلالي هو ما يكون بالعلاقات على مستوى البنية العميقة للنص من خلال معرفة كيفية بناء النصّ فدرس البحث بعض العلاقات من

خلال وجودها في المدونة وكيف ساهمت في تماسك النصّ دلاليًا، والتماسك التداولي هو من صميم الدراسات التداولية، إذ ترتبط التداولية بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، وفي هذا التماسك يحكم السياق النصّ ليبني بناءً مقنعًا.

والمبحث الثاني كان حول ملء نقطة البياض، ونقطة البياض هي المنطقة التي يجعلها المرسل مُبهمًا وينبغي للمتلقّي أن يخيّن ما يرمي إليه المرسل ثم يملأ هذا البياض، وقد تبين أنّ ملء البياض في نصوص المدونة كان بأمرين هما توظيف القياس وتوظيف الاستعارة، وليست غاية هذا المبحث منطقيّة بحثة؛ ولكنّها تتغيّ بحثًا هذا الجانب من المنطق من جانب حجاجي بما يخدم البحث، فوجد البحث أنّ القياس كان حاضرًا في نصوص المدونة، وهذا ما اتّضح من الاستشهاد بشرح نهج البلاغة للشيخ ميثم البحراني، أمّا الاستعارة فقد اتّضح أنّها حُجّة تخدم الإقناع والدفاع عن الأطروحة، وبما أنّ نصوص المدونة في أغلبها كانت بين الأنداد فقد كان للاستعارة حضور دفاعي في نصوص المدونة، أمّا عن كون وضع الاستعارة في مبحث ملء نقطة البياض فجوابه أنّ الاستعارة قياس مختزل، فالمرسل يستثمر الاستعارة، وعلى المتلقّي أن يملأ نقطة البياض ممّا يجعله أكثر نجاعة في الإقناع.

وفي آخر مبحث في هذا الفصل كان الحديث عن حجاجيّة الترتيب، والترتيب عمليّة ذهنيّة تكون قبل الخطاب ثم تتجلى في الخطاب، فعلى هذا درس هذا المبحث نصّين كاملين من نصوص المدونة كان أحدهما رسالة ابتداء، وكان الآخر ردًا على هذه الرسالة، فتناول حجاجيّة الاستهلال وحجاجيّة العرض وحجاجيّة الاختتام، ثم اختتم -كالفصلين السابقين- بخلاصة حول أهمّ ما جاء فيه.

ويجدر في آخر البحث أن نُوجز بعض النتائج المتواضعة التي توصّلنا إليها:

الأولى: متعلّقة بخصائص الرسائل المتبادلة بين عليّ ومعاوية خصوصًا؛ إذ وجدنا في هذا البحث أنّ حضور استراتيجيّات الحجاج بين هذين المتراسلين واضح وذلك من خلال استثمار مسالك الإقناع الثلاثة، هذه المسالك تتورّع بينهما في الاستخدام؛ إذ وجدنا أنّ عليًا يعتمد على فضائل القائل (الإيتوس) أكثر من اعتماد معاوية عليها؛ لأنّ عليًا يعتزّ بنسبته إلى النّبي وبفعله في الحروب الإسلاميّة، فهو يرى أنّ تاريخه مع النّبي مشرفّ ويجب أن يفخر به، بخلاف معاوية الذي يعتمد على الحجة العاطفيّة (الباتوس) أكثر من اعتماده على (الإيتوس).

الثانية: وجدنا -من خلال البحث ومن خلال الوقائع التاريخيّة- أنّ الحجاج بين عليّ ومعاوية لم يحقّق وظيفته الإقناعيّة والتأثيريّة؛ بل كانت كلّ رسالة بينهما عبارة عن كبريت يزيّد

من أوار الأزمة بينهما؛ فبقدر ما تتقدم المراسلات حجاجياً كانت تتقدم إلى الحسم بالسيف وبالحرب.

الثالثة: وهذه النتيجة تتبني على النتيجة السابقة؛ إذ تدرج الحجاج في الرسائل المتبادلة بين عليٍّ ومعاوية من الجدال بالأقلام إلى الجلال بالمواضي؛ إذ حاولت الكلمة أن تحسم المعارك قبل السيف، ولكن السيف كان هو الحل الأخير، ويمكن عد هذه الرسائل من المعارك الأدبية في تاريخ آداب العربية، في حين عدت الحروب من الوقائع التاريخية.

الرابعة: تتعلق هذه النتيجة بالخطاب السياسي الديني في المدونة؛ فقد عمد المتراسلون باختلاف مشاربهم ومناهجهم إلى دعم آرائهم السياسية بالنصوص الدينية لتكون مؤثرة في المتلقي ومقنعة له، وهذا الأمر لا يختص بالمتلقي الخاص؛ فالمتلقي العام الذي لا يكون له حضور بارز في المدونة يتأثر بشكل أكبر بهذا النوع من الخطاب، ويكون له تأثير خفي في سير الحجاج بالكلمة وبالسيف.

الخامسة: وهي تتعلق بالمنهج، إذ وجدنا أن المنهج الحجاجي منهج جامع لكافة المناهج؛ إذ تبين أن المناهج الأخرى على تنوعها تُقيد البحث الحجاجي وتكون -من خلال توظيفها- عناصر للإقناع، إذ استثمر البحث المنهج اللغوي -نحوًا وبلاغة- واستثمر المنطق ونظرية سيميائيات الأهواء، والمنهج التاريخي، وكذلك استعان بالمنهج اللساني ونظريات القراءة والتلقي وبالمناهج النفسي، وهذا يدل على شمولية المنهج الحجاجي.

السادسة: تبين أن طرائق الإقناع والتأثير هذه كانت حاضرة في أذهان المتراسلين؛ إذ استثمروها خير استثمار لترح رسائلهم للمتلقين أكثر إقناعاً وفي أبهى حلة.

السابعة: أن الثقافة تكون مؤثرة في التلقي؛ فالمتلقي يفهم النص حسب ثقافته، مما يكسب النص طاقة حجاجية.

الثامنة: توصلنا إلى أن النظريات الحديثة ناجعة في دراسة النصوص القديمة، وعلى ذلك يوصي البحث أن تتسع النظرة للنصوص القديمة من خلال منظار المناهج والنظريات الحديثة، وألا يقتصر البحث في النصوص من خلال منظار ضيق.

التاسعة: رأينا أن علماء المسلمين قد انتبهوا إلى طرائق الإقناع والتأثير فتحدثوا عنها في كتاباتهم، فابن سينا وابن رشد والفارابي والبرهاني وغيرهم، كلهم تحدثوا عن آليات الإقناع والتأثير التي ينبغي للخطيب أن يستثمرها ليكون خطابه أكثر نجاعة، وهذا يدل على اهتمامهم بالخطابة الأرسطية، ولم يحصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من البحث.

بقي لي أن أؤكد على أهمية الدراسة الحجاجية للنصوص -قديمها وحديثها- لبحث الطاقة الإقناعية والتأثيرية ورُفد المكتبة العربية بدراسات علمية لإفادة المجالات المختلفة؛ فالدراسات الحجاجية يستفيد منها المعلمون والمتعلمون، ويستفيد منها المحامون وأصحاب الأعمال؛ إذ بالفطنة إلى طرائق الإقناع يُمكن لكل فرد أن يوصل فكرته ليُدعِن لها المتلقي، وتلك غاية الحجاج.

وأود أن أنبّه ختاماً على أن القارئ سيجد -كما وضحت في المقدمة- خللاً في ترتيب بعض أفكار البحث بسبب حذف بعض النصوص وبعض تحليلات هذه النصوص بعد إجازة البحث، والله أسأل أن يوفق لطباعة البحث في صورته الأصلية لتتم الفائدة به وبأفكاره.

هذا ما توصل إليه البحث، وكما كان الحمد أول الكلام، فهو خير ختام، فالحمد لله من قبل ومن بعد.

الفهارس

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٢٤٩	ص ٦١
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٨	ص ٣٥، ص ٤١
سورة الأنعام		
﴿... يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	٢٥	ص ٦٠
سورة التوبة		
﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٣٢	ص ٥٩
﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾	٤٨	ص ٦٠
سورة النحل		
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٦	ص ٦٠-٦١
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	١١٢	ص ٥٩
سورة طه		
﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	٧٢	ص ٥٨
سورة القصص		
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾	٥٦	ص ٧٩
سورة فصلت		
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	ص ٥٩
سورة الفجر		
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	١٤	ص ٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

- ١- "إِنَّ الْمَدِينَةَ لَتَتَفِي حَبْنُهَا كَمَا يَنْفِي الْكَيْرُ حَبْنُ الْحَدِيدِ": ص ١٠٦.
- ٢- "بَشْرٌ قَاتِلٌ ابْنُ صَفِيَّةَ النَّارِ": ص ٦١.
- ٣- "الْكَبِيرُ رِءَاءُ اللَّهِ، فَمَنْ نَازَعَ إِلَهَ رِءَاءِهِ قَضَمَهُ": ص ٦٢.
- ٤- "لَوْ تَمَالَأَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَعَدَنَ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَتَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ": ص ٦٢.

فهرس الأشعار

الباء

القافية	البحر	القائل	الصفحة
الرَّقابِ	الخفيف	عمرو بن الأيهم	٧٨ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٥٠ ، ٣٠
صَلِيبُ	الطَّويل	علي بن أبي طالب	٧١
صاحبُه	الطَّويل	الوليد بن عقبة	٧٤-٧٣

الذال

القافية	البحر	القائل	الصفحة
وَجُلُمُودِ	البسيط	أحد بني أسد	٦٤

اللام

القافية	البحر	القائل	الصفحة
أَصِيلُ	الطويل	معاوية بن أبي سفيان	٦٣
حَمَلُ	الرَّجز	سعد بن معاذ	٦٤

النون

القافية	البحر	القائل	الصفحة
كارِهِينَا	المتقارب	كعب بن جُعيل	١١٣ ، ٨٠-٧٩

الياء

القافية	البحر	القائل	الصفحة
الأفاعيا	الطَّويل	الوليد بن عقبة	٧٣

فهرس الأمثال

- ١- "كناقلِ التمر إلى هجر": ص ٦٤.
- ٢- "داعي مُسدِّدِه إلى النضال": ص ٦٤.
- ٣- "هيهات لقد حنَّ قدحٌ ليس منها": ص ٦٤.

فهرس الأعلام

ابنُ رُشد، ١٢٣	حمّادي صمّود، ١٤
ابن سينا، ١٢٣	الحمزة، ٢٨
ابن عبّاس، ٣٩، ٥٠، ٥١	خيرُ نساء العالمين، ٣٥، ٤١
أبو الأسود الدّؤلي، ٤٩	ديكرو، ٦، ٩٢
أبو بكر، ٣٤، ٦٩، ٧٢، ١٠٤	رولان بارت، ١١١، ١١٢
أبي طالب، ٢٦، ٤١، ٦٩، ٧٠، ٩٤	الزّبير، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤٤، ٥٨، ٦٩، ٧٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤
أرسطو، ١٣، ١٧، ٢١، ٢٢، ٣٢، ٣٧	الزّبير، ٦١
أسدُ الأحلاف، ٤١، ٣٥	زياد بن النّضر، ٤٨، ٤٩
أسدُ الله، ٣٥، ٤١	زياد بن خصفة، ٦١
الإمام علي، ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٥، ١٦، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٩، ٦٤، ٧١، ٩١، ٩٣، ١٠٣، ١٠٤، ١١٥، ١١٢، ١٠٩، ١٠٦، ١٠٥	زيد بن حُصين، ٧٤
أنسكومبر، ٦، ٩٢	زيد، ٢٨
باتريك شارودو، ٣٢	سيّدا شباب أهل الجنّة، ٣٥، ٤١
البحراني، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٢، ١٢٣	السّيّدة عائشة، ٧٧، ٧٨، ١٣٦
بوفون، ٣٢	شريح ابن هاني، ٤٨، ٤٩
بيرلمان، ١٤، ١٨، ١٩، ٣٣، ٤٢، ٤٣	صبيّة النّار، ٣٥، ٤١
٤٤، ٤٦، ٥٨، ١١٢	صخر، ٢٦، ٤١، ٦٩، ٧٠، ٩٤، ١١٢
الجاحظ، ٧، ٨، ١٤، ١٥، ١٨	١١٣، ١١٤، ١١٥
جرير بن عبد الله البجلي، ٧٢	طلحة، ٣١، ٣٣، ٤٠، ٤٤، ٥٨، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٩، ٩٥، ١٠٦، ١١٣
جعفر، ٢٨	١١٤، ١١٥، ١١٦
جوليا كريستيفا، ٥٧	طلحة، ٣٣، ٤٤، ١٠٦
الخديّبة، ١٥	عائشة، ٧٨، ١٠٦
	عبد القاهر الجرجاني، ٢٩
	عبد الله بن وهب، ٧٤

كُعب بن جُعيل, ١١٣	عبد المطَّلب, ٦٤
كبيبي فارغا, ٥٤	عبد مناف, ٣٥, ٣٨, ٤٨, ٨١, ٩٠, ١٠٨
محمَّد بن أبي بكر, ٦١, ١٠١	عُبَيْدَة, ٢٨
محمَّد, ٢, ٧, ١٣, ١٤, ١٥, ١٦, ١٧,	عثمان, ١٦, ٢٥, ٢٦, ٤٠, ٤٤, ٤٥,
٢٢, ٢٤, ٢٧, ٢٨, ٢٩, ٣٠, ٣٤, ٣٥,	٤٧, ٤٩, ٥٠, ٦٣, ٦٥, ٦٨, ٦٩, ٧٠,
٤١, ٤٤, ٤٥, ٤٧, ٦٠, ٦١, ٦٢, ٧٠,	٧٢, ٧٣, ٧٨, ٧٩, ٨٢, ٩١, ٩٤, ١٠١,
٨٧, ٩٥, ٩٧, ١٠٤, ١٠٦, ١١٣, ١١٥,	١٠٩, ١١٢, ١١٤, ١١٥, ١١٦,
١١٧	عقيل بن أبي طالب, ٧١
معاوية, ٢٤, ٢٦, ٢٨, ٣٤, ٤٤, ٤٧,	عمر بن الخطَّاب, ٢٨
٤٨, ٥٩, ٦٠, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٥, ٦٩,	عمر, ٢٨, ١٠٦, ١٠٧, ١١١
٧٠, ٧٣, ٧٨, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٢, ١٠٥,	عمرو بن العاص, ٣٦, ٤٥, ٧٣, ١٣٧
١٠٨, ١٠٩, ١١٠, ١١٤, ١١٦, ١١٧,	الفارابي, ١٢٣
النَّضر, ٤٨, ١٣٧	قريش, ٢٤, ٢٧, ٣٤, ٤٤, ٤٧, ٥٠, ٦٠,
هانز روبرت يابوس, ٦٧	٦٥, ٧٠, ٧١, ٧٨, ٩٥, ٩٧, ١١٣,
وائل, ٤٥	١١٤, ١١٥, ١١٦, ١١٧
الوليد بن عقبة, ٧٣	قيس, ٣٠, ٥٠, ٦٣, ٦٥, ٦٨, ٧٨, ١٠١

فهرس المصطلحات والمفاهيم

- الاتفاق المسبق، ٢٧، ٢٨، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٢
- الأجناس، ٢، ١٣، ١٤، ١١١
- الاختتام، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢
- آد هومنيم، ١١، ٢٣، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٢، ٨٢، ١٢٠
- الاستعارة، ٢٩، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٢٢
- الاستهلال، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٢
- أفق التوقعات، ٦٧
- الإقناع، ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٩، ٣٢، ٣٧، ٤١، ٥٤، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ١٠٧، ١١١، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤
- أنموذج، ٣٦
- الإيتوس، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٧٧، ٨٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢
- الباتوس، ٩، ١٠، ١١، ٢١، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٤١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٧٦، ٨٣، ٨٥، ١٢٠، ١٢٢
- البوليميكوس، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ١٢١
- التأثير، ١٠، ١٨، ١٩، ٣٣، ٥١، ٧٦، ١٢٠، ١٢١
- الترتيب، ١١، ١٩، ٨٠، ٨٦، ٩٣، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٢
- التكرار، ٨٨، ٨٩، ٩١، ١٢١
- التماسك، ١١، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠
- ١٠١، ١٠٢، ١١٨، ١٢١
- التنّاص، ١١، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ١٢١
- الحجاج، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٨، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤
- حجة العبارة، ٣٣، ٨٥، ٨٦، ٩٤، ١١٨
- الخطابة، ٢١، ٢٢، ٥٥
- الرسائل المتبادلة، ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣
- الروابط الحجاجية، ٦، ٨، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٢١
- سيمانيات الأهواء، ٢٣، ٣٨، ٣٩، ١٢٠، ١٢٣
- السيمانيّة، ٩

العرض, ١١١, ١١٢, ١١٤, ١١٦, ١١٧	٣٨, ٣٩, ٤١, ٤٤, ٤٥, ٤٦, ٤٧, ٤٨,
فضائل القائل, ٩, ١١, ٢٠, ٢١, ٢٣, ٢٧,	٤٩, ٥٢, ٥٣, ٥٤, ٥٥, ٥٦, ٥٨, ٥٩,
٣١, ٣٥, ٣٧, ٤٠, ١٢٠, ١٢٢	٦٢, ٦٣, ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٦٩, ٧٠,
القارئ الخاص, ٥٥, ٧٦, ٨١	٧١, ٧٥, ٧٦, ٧٧, ٧٩, ٨١, ٨٢, ٨٣,
القارئ العام, ٧٢, ٧٦, ٧٧, ٧٨, ٨١, ٨٢,	٨٥, ٨٦, ٨٩, ٩٠, ٩١, ٩٢, ٩٤, ٩٥,
٨٣	٩٧, ١٠١, ١٠٣, ١١١, ١١٤, ١١٥,
القياس, ١٠, ١١, ٢٢, ٣٣, ٤٥, ٨٥, ٨٦,	١١٦, ١٢٠, ١٢١, ١٢٢, ١٢٣, ١٢٤,
١٠٣, ١٠٤, ١٠٥, ١٠٦, ١٠٧, ١١٠,	المخاطب, ١٨, ٢١, ٢٢, ٣٢, ٤٣, ٤٥,
١١٤, ١١٦, ١١٨, ١٢٢	٥٥, ٦٨, ١٠٣
اللغوس, ٩, ١١, ٢١, ٢٢, ٣٢, ٣٣,	المصاحبة المعجمية, ٨٨, ٩١
٤١, ٥٤, ٧٧, ٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٨, ٩٠,	المصادرة على المطلوب, ١١, ٤٢, ٤٦,
٩٤, ٩٨, ١٠٤, ١٠٨, ١١٧, ١١٨,	٤٩, ٥٠, ٥١, ١٢٠
١٢٠, ١٢١	المغالطة, ٤٦, ٨٥, ١٠٦
المتلقي, ١٠, ١١, ١٧, ١٨, ٢٢, ٢٣,	
٢٥, ٢٧, ٢٨, ٣٠, ٣١, ٣٤, ٣٦, ٣٧,	

فهرس الرسائل في متن المدونة^(١)

رقم المجموعة	نوع الرسالة	الصفحة
١	ابتداء: من عليّ إلى طلحة والزبير ردّ: من طلحة والزبير إلى عليّ	ص ٣٣٢ ص ٢٣٤
٢	ابتداء: من عليّ إلى السيّد عائشة ردّ: من السيّد عائشة إلى عليّ	ص ٣٣٣ ص ٣٣٤
٣	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ	ص ٣٣٨ ص ٣٣٩
٤	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ	ص ٣٣٩ ص ٣٤٠
٥	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٧٩ ص ٣٥١ ص ٣٥٣
٦	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٦٤ ص ٣٦٥
٧	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٦٦ ص ٣٦٨
٨	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ استئناف: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٧١ ص ٣٧٢ ص ٣٧٢ ص ٣٧٢ ص ٣٧٣ ص ٣٧٣ ص ٣٧٤ ص ٣٧٦ ص ٣٧٧

١- عدد الرسائل المتبادلة ٨٦ رسالة موزعة بين ٣٣ حزمة بين رسالة ابتداء وردّ وتعقيب، نعرضها هنا.

٩	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٧٧ ص ٣٧٨
١٠	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ردّ: من معاوية إلى عليّ	ص ٣٧٨ ص ٣٨١
١١	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٨٤ ص ٣٨٥
١٢	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٣٩٠ ص ٣٩٣
١٣	ابتداء: من زياد بن النّضر إلى عليّ استئناف: من شريح بن هانئ إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى زياد وشريح	ص ٤٠٤ ص ٤٠٤ ص ٤٠٥
١٤	ابتداء: من عليّ إلى معاوية ومن قبله من قريش ردّ: من معاوية إلى عليّ	ص ٤٠٨ ص ٤٠٩
١٥	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٤١٦ ص ٤١٧
١٦	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية	ص ٤١٩ ص ٤٢١
١٧	ابتداء: من معاوية إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معاوية تعقيب: من معاوية إلى عليّ	ص ٤٢٣ ص ٤٢٤ ص ٤٢٥
١٨	ابتداء: من عليّ إلى عمرو بن العاص ردّ: من عمرو بن العاص إلى عليّ استئناف: من عليّ إلى عمرو بن العاص ردّ: من عمرو بن العاص إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى عمرو بن العاص	ص ٤٢٦ ص ٤٢٦ ص ٤٢٧ ص ٤٢٧ ص ٤٢٧
١٩	ابتداء: من عليّ إلى أبي موسى ردّ من أبي موسى إلى عليّ	ص ٤٤٠ ص ٤٤٠
٢٠	ابتداء: من عليّ إلى الخوارج بالنّهر ردّ: من الخوارج إلى عليّ	ص ٤٤٢ ص ٤٤٢

٢١	ابتداء: من قرظة بن كعب إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى قرظة بن كعب	ص ٤٤٥ ص ٤٤٦
٢٢	ابتداء: من عليّ إلى زياد بن خصفة ردّ: من زياد بن خصفة إلى عليّ تعقيب: من عليّ إلى زياد بن خصفة	ص ٤٤٦ ص ٤٤٧ ص ٤٤٨
٢٣	ابتداء: معقل بن قيس إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى معقل بن قيس	ص ٤٥٠ ص ٤٥٠
٢٤	ابتداء: من قيس بن سعد إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى قيس بن سعد تعقيب: من قيس بن سعد إلى عليّ	ص ٤٦٥ ص ٤٦٥ ص ٤٦٦
٢٥	ابتداء: من عليّ إلى محمّد بن أبي بكر ردّ: من محمّد بن أبي بكر إلى عليّ	ص ٤٨٣ ص ٤٨٤
٢٦	ابتداء: من محمّد بن أبي بكر إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى محمّد بن أبي بكر	ص ٤٨٧ ص ٤٨٨
٢٧	ابتداء: من عليّ إلى ابن عبّاس ردّ: من ابن عبّاس إلى عليّ	ص ٤٩٠ ص ٤٩١
٢٨	ابتداء: من عليّ إلى زياد ردّ: من زياد إلى عليّ	ص ٥٠٦ ص ٥٠٦
٢٩	ابتداء: من زياد إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى زياد ردّ: من زياد إلى عليّ	ص ٥٠٨ ص ٥٠٨ ص ٥٠٩
٣٠	ابتداء: من أبي الأسود الدّؤليّ إلى عليّ ردّ: من عليّ إلى أبي الأسود	ص ٥١٤ ص ٥١٤
٣١	ابتداء: من عليّ إلى ابن عبّاس ردّ: من ابن عبّاس إلى عليّ استئناف: من عليّ إلى ابن عبّاس ردّ: من ابن عبّاس إلى عليّ	ص ٥١٥ ص ٥١٥ ص ٥١٦ ص ٥١٦
٣٢	ابتداء: من عليّ إلى ابن عبّاس ردّ: من ابن عبّاس إلى عليّ	ص ٥١٧ ص ٥١٩

ص ٥١٩	استئناف: من عليّ إلى ابن عباس	
ص ٥٢٠	ردّ: من ابن عباس إلى عليّ	
ص ٥٢٠	ابتداء: من عقيل بن أبي طالب إلى عليّ	٣٣
ص ٥٢١	ردّ: من عليّ إلى عقيل	

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ١- أحمد زكي صفوت: **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، دار المطبوعات العربية، القاهرة، دون تاريخ.
- ٢- أحمد قادم: **"بانة سعاد" لكعب بن زهير، مقارنة حجاجية**، ضمن كتاب **التحليل الحجاجي للخطاب**، إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٣- السيد أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٤- أحمد الوظيفي: **الحجاج بالإيتوس في شعر النسيب**، نونية ابن زيدون نموذجاً، ضمن كتاب **التحليل الحجاجي للخطاب**، إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٥- أحمد يوسف: **السيميائيات والحجاج، مقارنة في المرتكزات الإبتيمية**، ضمن كتاب: **الحجاج، مفهومه ومجالاته**، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٦- أرسطو: **الخطابة**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٧- أرسطو: **الخطابة**، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٨م.
- ٨- أرسطوطاليس: **فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ٩- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: **البرهان في وجوه البيان**، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة، دون تاريخ: ص ٢٧٥

- ١٠- الأزهر الزّناد: نسيج النص: بحث في ما به يكون الملفوظ نصّاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ١١- أليبرداس. ج. غريماس وباك فونتنيني: سيميائيات الأهلواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- ١٢- إيف ستالوني: الأجناس الأدبية، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ١٣- إيمان عيسى الناصر: وحدة النصّ وتعدّد القراءات التأويلية في النقد العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وزارة الثقافة والتراث، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ١٤- باتريك شارودو ودومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا والمركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
- ١٥- باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة: أحمد الوردني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- ١٦- بشار سعيدة: سيمياء الانتماء في رواية الانطباع الأخير لمالك حدّاد، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. آمنة بلعلي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، دون تاريخ.
- ١٧- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
- ١٨- أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ١٩- تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، ترجمة: فخري صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م.

- ٢٠- تزفيتان تودوروف: نظرية الأجناس الأدبية، ترجمة: عبد الرحمن بو علي، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ٢١- تيرنس هوكس: الاستعارة، ترجمة: عمرو زكريا عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ٢٢- تيفين ساميول: التناص ذاكرة الأدب، ترجمة: نجيب غزّوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٧م.
- ٢٣- جار الله الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٢٤- السيد جعفر الحسيني: معجم مصطلحات المنطق، دار الاعتصام، قم، الطبعة الأولى، دون تاريخ.
- ٢٥- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢٦- جواد ختام: النّدّاوليّة أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٦م.
- ٢٧- جورج لايفوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٢٨- جوليا كريستيفا: علم النصّ، ترجمة: فريد الزّاهي، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- ٢٩- حاتم عبيد: الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب، من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٣٠- حاتم عبيد: منزلة العواطف في نظريات الحجاج، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

- ٣١- حسن المودن: دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٣٢- الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٣٣- الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٣٤- حسين العمري: الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- ٣٥- حمّادي صمود: بلاغة الانتصار في النقد الأدبي القديم، رسالة أبي بكر الصولي إلى مزاحم بن فاتك أنموذجاً، دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ٣٦- حمّادي صمود: في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمّادي صمود، منشورات كلية الآداب، مكنة، ١٩٩٨م.
- ٣٧- دومينيك مانجينو: مشكلات الحجاج بواسطة الإيتوس، من البلاغة إلى تحليل الخطاب، ترجمة: حسن المودن، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٣٨- ابن رشد: تلخيص الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، دون تاريخ.
- ٣٩- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٠م.
- ٤٠- رملة خضير مظلوم البديري: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة - دراسة لغوية، العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١٢م.
- ٤١- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- ٤٢- رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ٤٣- رينيه وليك، آستن وارن: نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢م.
- ٤٤- سامية الدريدي: دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- ٤٥- سعد مصلوح: العربية: من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث ضمن الكتاب التذكاري: عبد السلام هارون: معلماً ومؤلفاً ومحققاً، إعداد: د. ودیعة النجم، و د. عبده بدویل، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
- ٤٦- ابن سينا: الإشارات والتنبیهاة مع شرح نصیر الدین الطوسی، تحقیق: سلیمان دنیا، مؤسسه النعمان، بیروت، ١٩٩٢م.
- ٤٧- شکري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، متوبة، ١٩٩٨م.
- ٤٨- شهاب الدین ابن حجر العسقلانی: فتح الباری شرح صحیح البخاری، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بیروت، الطبعة الثانية، دون تاریخ.
- ٤٩- شوقي المصطفى: المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٥٠- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي: دار المعارف، القاهرة، الطبعة ١٥، ٢٠٠٩م.
- ٥١- أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد: الكامل في اللغة والأدب، تحقیق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- ٥٢- عبد الجليل العشراوي: آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٦م.

- ٥٣- عبد العالي قادا: حجّاجيّة التّرتيب والاستراتيجيّة الحجّاجيّة في رسالة ابن عبد البرّ على لسان أهل بربرشتر، ضمن كتاب التّحليل الحجّاجيّ للخطاب، إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطّبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٥٤- عبد العزيز شبيل: الأجناس الأدبيّة في التّراث النّثري، جدليّة الحضور والغياب، دار محمّد علي الحامي، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تونس، الطّبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ٥٥- عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ النّحويّ: أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة، الطّبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ٥٦- عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ النّحويّ: كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.
- ٥٧- عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرّباط، الطّبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٥٨- عبد الله البهلول: استراتيجيات السّكوت والإسكات في الرّسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعريّ وداعي الدّعاة الفاطميّ، ضمن كتاب "المسكوت عنه"، جمع ومراجعة وتقديم: محمّد الشّيبانيّ، أعمال ندوة المسكوت عنه، قسم العربيّة بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، صفاقس، نوفمبر ٢٠١٠م.
- ٥٩- عبد الله البهلول: الحجّاج الجدليّ، خصائصه الفنيّة وتشكّلاته الأجناسيّة، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطّبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ٦٠- عبد الله صولة: الحجّاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، بيروت، وكلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ودار المعرفة للنشر، تونس، الطّبعة الثّانية ٢٠٠٧م.
- ٦١- عبد الله صولة: الحجّاج: أطره ومنطلقاته وتقنيّاته من خلال "مصنّف في الحجّاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب: أهم نظريّات الحجّاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجّاج، إشراف: حمّادي صمّود، منشورات كليّة الآداب، منوبة، ١٩٩٨م.
- ٦٢- عبد الله الطّيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطّبعة الثّالثة، ١٩٨٩م.

- ٦٣- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.
- ٦٤- عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٦٥- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: أسباب نزول القرآن، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٦٦- علي الشبّان: الحجاج وقضاياها من خلال مؤلف روث أموسي: الحجاج في الخطاب، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٦٧- علي عمران: حجاجية الصورة الفنية في الخطاب العربي، خطب الإمام علي نموذجًا، دار نينوى، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- ٦٨- علي عمران: أسلوب الإمام علي في خطبه العربية، المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين علي عليه السلام، مشهد، ٢٠١١م.
- ٦٩- علي محمد علي سلمان: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجًا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- ٧٠- عمر أوكان: اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- ٧١- عيسى الوداعي: التماسك النصي في نهج البلاغة، المركز العلمي للرسائل والأطاريح، البحرين، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٧٢- فاطمة عبد الرحمن البريكي: التناص في النقد العربي القديم، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، إشراف: د. ناصر الدين الأسد، ٢٠٠٣م.
- ٧٣- فيليب بروتون: الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد النّهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
- ٧٤- فيلين ناعوموفيتش كوميساروف: علم الترجمة المعاصر، ترجمة: عماد محمود حسن طحينة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- ٧٥- كمال الزّمانِي: حجاجيّة الصّورة في الخطابة السّياسيّة لدى الإمام عليّ، عالم الكتب الحديث، إربد، الطّبعة الأولى ٢٠١٢م.
- ٧٦- كمال الزّمانِي: حجاجيّة الصّورة البلاغيّة في الخطابة السّياسيّة لدى الإمام عليّ، ضمن كتاب: التّحليل الحجاجي للخطاب، إشراف: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمّان، الطّبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٧٧- كمال الزّمانِي: حجاجيّة الأسلوب في الخطابة السّياسيّة لدى الإمام عليّ، عالم الكتب الحديث، إربد، الطّبعة الأولى ٢٠١٦م.
- ٧٨- مثني كاظم صادق: أسلوبيّة الحجاج التّداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السّور المكيّة، دار كلمة للنّشر، بيروت، دار الأمان، الرّباط، دار ومكتبة عدنان، بغداد، منشورات ضفاف، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٧٩- محمّد الأخضر الصّبيحي: مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.
- ٨٠- محمّد الولي: السّبيل إلى البلاغة الباتوسيّة الأرسطيّة: ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٨١- محمّد بن الحسن بن المظفّر: حلية المحاضرة في صناعة الشّعر، تحقيق: جعفر الكتّاني، وزارة الثّقافة والإعلام، دار الرّشيد للنّشر، بغداد، ١٩٧٩م.
- ٨٢- محمّد صنقور علي البحراني: أساسيات المنطق، حوزة الهدى للدراسات الإسلاميّة، البحرين، الطّبعة الثّانية، ٢٠٠٨م.
- ٨٣- محمّد العبد: النّصّ الحجاجي العربيّ، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي، دار ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ٨٤- محمّد مشبال: بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، من كتاب: البلاغة والخطاب لمحمّد مشبال وآخرين، دار الأمان، الرّباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠١٤م.

- ٨٥- محمّد مشبال: في بلاغة الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- ٨٦- أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- ٨٧- معجب العدوانى وضياء الكعبي: الخطاب السجالي في الثقافة العربية، مقاربات تأويلية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- ٨٨- منذر عياشي: اللسانيات والحضارة، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
- ٨٩- منذر عياشي: نظريات القراءة والتلقي، من النص الأدبي إلى النص القرآني، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٦م.
- ٩٠- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة، تصحيح: عدد من الأفاضل، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، دون تاريخ.
- ٩١- ميجان الرّويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.
- ٩٢- ميشيل لوجيرن: الاستعارة والحجاج، ترجمة: الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، الرباط، السنة الثانية، مايو ١٩٩١م.
- ٩٣- هشام الزّيفي: الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨م.
- ٩٤- ياسين النصير: الاستهلال، فنّ البدايات في النص الأدبي، دار نينوى، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

ثانيًا: الدوريات:

- ١- أحمد حياوي السَّعد ورائد مجيد جَبَّار: آليات الحجاج اللغوي في رسائل الإمام علي، الرُّوابط الحجاجية اختصارًا، مجلَّة العميد، السَّنة الثَّالثة، المجلَّد الثَّالث، العدد الخاص الثَّالث، صفر ١٤٣٥هـ: ص ٨١-١٣١.
- ٢- أحمد كروم: الرُّوابط الحجاجية وطاقت الاستدلال، المجلَّة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، جامعة الكويت، العدد ١٣٦، السَّنة: ٣٤، خريف ٢٠١٦م: ص ٦٦.
- ٣- تزفيتان تودوروف: الأجناس الأدبيَّة، ترجمة: سعيد بو عيطة، مجلَّة البحرين الثَّقافيَّة، وزارة الثَّقافة، مملكة البحرين، المجلَّد ٢٠، العدد ٧١، يناير ٢٠١٣: ص ٦٠-٦٥.
- ٤- حسين خمري: هوى الخطاب، سيميائيَّة التمشهد وبلاغة الذات، مجلة فصول، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، العدد ٨١/٨٢، ربيع / صيف ٢٠١٢: ص ٥٢٦.
- ٥- جمعان عبد الكريم: مفهوم التماسك وأهميته في الدِّراسات النَّصيَّة، مجلَّة علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثَّقافي بجدة، ج ١ المجلَّد ١٦ مايو، ٢٠٠٧: ص ٢٠٩-٢٢٠.
- ٦- عبد السلام صحراوي: الأدب العربي ونظريَّة الأجناس الأدبيَّة، مجلَّة علامات في النَّقد، المجلَّد الرَّابع عشر، الجزء ٥٤، النادي الأدبي الثَّقافي، جدَّة، ديسمبر ٢٠٠٤م: ص ٥٣٥-٥٧٠.
- ٧- عبد الله البهلول: فواتح الأدب في الثَّراث النَّقدي، قضايا الاصطلاح وضوابط الافتتاح، مجلَّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٧٠ (أكتوبر-ديسمبر ٢٠١٦): ص ١١، ص ٣٣.
- ٨- عثمان بن طالب: البراغماتيَّة وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربيَّة، سلسلة اللسانيَّات، العدد ٦، الجامعة التَّونسيَّة، ١٩٨٦م: ص ١٢٥.
- ٩- عماد شعير: بلاغة الخطاب السِّياسي، دراسة في التَّراسل بين عليٍّ ومعاوية، مجلة فصول، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، العدد ٨١/٨٢، ربيع / صيف ٢٠١٢: ص ٥٥٤-٥٨٢.

١٠- عيسى عودة برهومة وماهر أحمد مبيضين: الخطاب السّجاليّ في رسائل عليّ ومعاوية، آليّاته وتقنيّاته، مجلّة دراسات، العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلّد ٤٣، الملحق ٤، الجامعة الأردنيّة، ٢٠١٦م: ص ١٨٥٨.

١١- محمد الهادي الطّرابلسيّ: مفهوم التّوظيف في الدّرس الأسلوبيّ الحديث، مجلّة دراسات لسانیّة، جمعیّة اللسانیّات بتونس، المجلّد ٣، ١٩٩٧م: ص ١٣٣.

ثالثاً: المراجع الأجنبيّة:

- 1- Alan Brinton: **A rhetorical view of the ad hominem**, Australasian Journal of Philosophy, Volume 63, March 1985 - Issue 1: pp 50-63.
- 2- Chris Baldick, **The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms**, Oxford University Press, USA, 2001.
- 3- Christian Dahlma, David Reidha, Lena Wahlberg: **Fallacies in Ad Hominem Arguments**, COGENCY, Diego Portales University, Santiago, Chile, Vol. 3, N0. 2 (105-124), Summer 2011: pp 2-3.
- 4- Gabrijela Kišiček: **Ad hominem arguments in political discourse (An analysis of Croatian Parliamentary debate)**, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Zagreb, Croatia: p 2.
- 5- Halliday, M.A.،K., Ruqaiya Hasan; **Cohesion in English**, Longman, London, 1976.
- 6- Irving M. Copi, Carl Cohen, Kenneth McMahon: **Introduction to Logic**, Pearson Education Limited, Edinburgh, UK, Fourteenth Edition, 2014: p. 118.
- 7- J. Michael Sproule, **Argument, Language And Its Influence**, McGraw Hill, USA, 1980, pp.2-4.
- 8- Thomas Conley, **What Jokes Can Tell Us About Argument**, "A Companion To Rhetoric And Rhetorical Criticism, ed, Walters Jost And Wendy Olmsted, Blackwell Publishing, USA, 2006.

Abstract

Methods of Persuasion and Influence in the Messages Exchanged Between Imam Ali and his Contemporaries

Submitted by: Yasser Abdulhadi Abdulla.

Supervised by: Prof. Abdulla Mohammed Albahlool.

This research aims to study the messages exchanged between Imam Ali and his contemporaries as a separate genre because these letters did not receive the attention to be analyzed or researched. Analyzing this genre is based on the argumentation approach, aided with different theories and methods.

In the beginning the research starts with an introduction that explains the concept of the title and the other connotations that to be mentioned in the paper. Like the exchanged letters being in a solo genre, the argumentation, and the matter of influence and persuasion.

First, the research transfers to the first division which is related to the ethical appeal of the sender labeled as “Ethos” demonstrates the ethical appeal and argumentative strength for the metaphors in the text. In addition, the research supported the Ethos credibility with the other two modes of persuasion “Pathos, and Logos”. It also showed how the correspondents aimed to sabotage the image of the other party instead of building their own, which is known as *ad hominem*. However, with that method the direct receiver is not affected as much as the general receiver. Lastly, this division was concluded with the existence of prior argument and how its existence or nonexistence would affect the building of the image that the sender desires or have an opposite effect.

In addition, the second division discussed the Pathos which is a method of convincing people with an argument drawn out through the emotional response of the receiver. In order to fully understand the pathos method; this division was subdivided to three parts. The first one targets the emotions of the receiver by using the different types of intertextual like religious, literature, and historical intertextual. The second sub-division focused on the theory of receiving through the action of reading and the expectations that the receiver must help the sender persuade the receiver. However, the last part studied the emotional effect to change the course of the dialogue and convince the other party without leading to more complications.

Moreover, the research had a third division that was titled “The Investment of Logic Arguments” which discussed the logos and its definition. Then, moved to the argumentation coherence in the text. Lastly, it studied the sequence of argumentation where the research analyzed two letters, the first was from Moaweiah and the second was Imam Ali’s response.

In conclusion the research listed the results and the most important result concluded that the argumentation rarely leads to mutual agreement in the Arabic culture. Actually, it is most common that it leads to separation and war.

UNIVERSITY OF BAHRAIN

College of Arts



Department of Arabic
& Islamic Studies

Methods of Persuasion and Influence in the Messages Exchanged Between Imam Ali and his Contemporaries

A Thesis Submitted in Partial Fulfilment of Requirements for
the Masters Degree in Arabic Language

Submitted by

Yaser Abdulhadi Abdulla

20091696

Supervised by

Dr. Abdulla Mohammed Albahloul

UNIVERSITY OF BAHRAIN

Kingdom of Bahrain

December 2018